



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

كلية العلوم السياسية

## المجلة السياسية والدولية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية العلوم السياسية الجامعة المستنصرية

### البحوث والدراسات

الشرق اوسطية والشراكة المتوسطية

ا د ناضم عبد الواحد الجاسور

الشيخ بشارة الخوري من الرئاسة الى الاعتقال

ا.م.د عبد الامير محسن جبار الاسدي

قوى الحسم في الانتخابات الامريكية لعام ٢٠٠٤

ا.م.د وائل محمد اسماعيل

العولمة واثرها على الامن الاقتصادي العربي

ا.م.د خليل محمد شهاب الجبوري

العولمة ومستقبل الدولة الوطنية في الوطن العربي

ا.م.د حميد نفل النداوي

حقوق الانسان والعولمة

ا.م.د لطيف كريم العبيدي

معنى الديمقراطية ومعوقات قيامها

ا.م.د عزيز جبر شيال

موقف البلاط الملكي العراقي من نشاط الاحزاب السياسية

١٩٢١-١٩٣٩

م قيس جواد علي الحريري

### المراجم

انجراف حلف شمال الاطلسي

ترجمة مصطفى نعمان احمد

### العروض

عرض كتاب قصف العقول

الاستاذ الدكتور ناضم عبد الواحد الجاسور





وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
الجامعة المستنصرية  
كلية العلوم السياسية

## المجلة السياسية والدولية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

خريف ٢٠٠٥

العدد الاول

السنة الاولى

ناظم عبد الواحد الجاسور

عميد الكلية - المشرف العام

رئيس التحرير ..... الدكتور عبد الامير محسن جبار

سكرتير التحرير ..... المدرس المساعد علاء جبار

المدير الفني ..... السيد ماجد قاسم نعمان

### هيئة التحرير

الأستاذ المساعد الدكتور وائل محمد اسماعيل

الأستاذ المساعد الدكتور حبيب محمد القادر الشاوي

الأستاذ المساعد الدكتور طيفه كريم محمد

الأستاذ المساعد الدكتور حميد نعل الشاوي

تم الادرار في المكتبة الوطنية ١١٣ في ١٨ كانون الثاني ٢٠٠٥



## المجلة السياسية والدولية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

الهيئة الاستشارية



الأستاذ الدكتور احمد يوسف احمد

الأستاذ الدكتور ماهر عبد العال الضبع

الأستاذ الدكتور احمد عبد الرحيم الخلايلة

الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني

الأستاذ الدكتور محمد جواد علي

الأستاذ الدكتور جعفر عباس حميدي

الأستاذ المساعد الدكتور ثامر كامل محمد



## قواعد النشر

ترحب المجلة السياسية والدولية والتي تصدرها كلية العلوم السياسية الجامعة المستنصرية بإسهامات الكتاب والمفكرين من الكليات والمختصة بالقضايا السياسية والعلاقات العربية-الدولية، مع الاهتمام بشكل خاص بما يتعلق بالمشروع السياسي والحضاري والنهضوي العربي وتحيطكم علماً بشروط النشر فيها:

١. ان تعالج القضايا بأسلوب علمي موثق.
٢. ان يكون التوثيق بذكر المصادر والمراجع بأسلوب أكاديمي، يتضمن الكتب والمجلات.
٣. معيار النشر هو الموضوعية والدقة ودرجة التوثيق.
٤. ترسل البحوث بنسختين مع قرص مرن.
٥. ان لا يزيد حجم الدراسة او البحث عن اربعة عشر صفحة A4.
٦. يشترط ان لا تكون البحوث او الدراسات قد نشرت في مجلات اخرى.
٧. تخضع البحوث او الدراسات المرسلة الى التحكيم العلمي من جانب اللجنة الاستشارية في المجلة.
٨. تحتفظ المجلة بحقها في نشر المادة المجازة وفق خطة التحرير.
٩. لا تدفع المجلة او الكلية أي مكافآت مالية عما تقبله من النشر فيها ويعتبر النشر إسهاماً معلوياً من الكاتب.

**وهذا الالتزام بالضرورة في البحوث والدراسات المنشورة بالضرورة في**

**رؤي المجلة الدولية**

الاشتراك في المجلة تراجع كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

بغداد- باب المعظم - صندوق بريد ٤٦١٥٩

هاتف ٤١٤٠٨٥١ ، ٤١٤٠٨٥٢ ، ٤١٤٠٨٥٤ ، ٧٩٠١٩٢٣

البريد الالكتروني : [aljiassour\\_8@yahoo.com](mailto:aljiassour_8@yahoo.com)







١

افتتاحية العدد

١ الشرق اوسطية والشراكة المتوسطة "التطابق والتقاطع"  
أ.د. ناظم عبد الواحد الجاسور

١٩ الشيخ بشارة الخوري من الرئاسة الى الاعتقال  
أ.م.أ. عبد الامو محسن جبار الاسدي

٥٥ قوى الحسم في الانتخابات الامريكية لعام ٢٠٠٤  
أ.م.أ. وائل محمد اسماعيل

٧٧ العولمة واثرها على الامن الاقتصادي العربي  
أ.م.أ. خليل محمد شهاب الجبوري

١٠٣ العولمة ومستقبل الدولة الوطنية في الوطن العربي  
أ.م.أ. حميد نفل النداوي

حقوق الانسان والعولمة

أ.م.أ. لطيف كريم العبيدي م.م. ياسين محمد الدليمي  
١٣٩ معنى الديمقراطية ومعوقات قيامها

أ.م.أ. عزيز جبر شهاب  
١٥٩ موقف البلاط الملكي العراقي من نشاط الاحزاب

السياسة ١٩٢١-١٩٣٩

م. قيس جواد علي الغريزي  
١٧١ انجراف حلف الشمال الاطلسي

ترجمة مصطفى نعمان احمد  
١٨١ عرض كتاب قصف العقول

عرض الكتاب الاستاذ الدكتور ناظم عبد الواحد الجاسور

كلية العلوم السياسية  
الجامعة المستنصرية



المجلة  
السياسية  
والدولية

1

خريف ٢٠٠٥



والكلية اذ تخطو خطواتها في سنتها الدراسية الاولى ٢٠٠٥/٢٠٠٦ بعد قرار استحداثها، ولأول مرة في الجامعة المستنصرية منذ تأسيسها عام ١٩٦٣، فأنها تؤكد حضورها العلمي والاكاديمي من خلال اصدارها للعدد الاول من مجلتها العلمية الفصلية "المجلة السياسية الدولية"، والتي تمثل باكورة نشاطها واسهامها للفعال في سجل البحث العلمي الرصين، حيث الدراسات والبحوث التي تتناول مختلف القضايا والمواضيع، من خلال منهجية علمية اختطتها لنفسها، وتحليل موضوعي يوضح ويحدد مسارات الاحداث وقضايا الساعة في اطارها الوطني، الاقليمي والدولي، وتأثيراتها الايجابية والسلبية، ليقدمها الى القارئ العزيز، والمختص، وصاحب القرار السياسي، وطالب العلم والبحث، لعلها تشكل المرجع الذي يعتمد عليه، وعدداً جديداً مضافاً الى ما تصدره كليات الجامعة المستنصرية من مجلات، ودوريات. كما انها تشكل مع نظيراتها من المجلات التي تختص بالعلوم السياسية والقضايا الدولية، اطاراً مرجعياً لطلبة العلوم السياسية في البحث والتقصي، وتأكيد هوية علم السياسة، ومجال اختصاصه، ونطاق عمله.

واذ يستهل العدد بداية عن الشرق اوسطية والشراسة المتوسلية، حيث التطابق والتقاطع والافاق المستقبلية لموقع للعراق بين الدائرتين، فإن لهذا الموضوع اهميته الحيوية، لكونه حديث الساعة وخصوصاً بعد ان تم الاعلان عن تشييد الشرق الاوسط الكبير الذي اتفق في شباط عام ٢٠٠٤ في قمة الدول الصناعية الثمانية، والمشروع الذي سبق وان طرح بعد حرب الخليج الثانية، ولكن الظروف الاقليمية والدولية في ذلك الوقت لم تكن مهيأة لتقبل هذا المشروع الذي يواجه الان معارضة قوية. واذ يقدم العدد ايضاً دراسات ذات طابع تاريخي، فان دراسة الاحداث التاريخية من خلال منطقي وسياسي، فإنه ليؤشر ذلك الترابط الكبير ما بين الماضي والحاضر، حيث الدروس التي يمكن استخلاصها لبناء المستقبل.

وقد شكلت العولمة وحقوق الانسان من المواضيع التي كرس لها المجلة العدد الاكبر من صفحاتها، وذلك لما طرحته من اشكاليات معقدة ليس فقط في اطار التعامل الدولي، وانما في اطار الفكر السياسي العربي.

ما بين مؤيد ومعارض، وخصوصاً ان تداعياتها على حقوق الانسان والديمقراطية تبدو شاخصة اكثر من الميادين الاخرى. وازضافة الى ذلك فقد تضمن

العدد دراسة مترجمة عن حلف الزائر ومهامه المستقبلية في ظروف دولية وإقليمية جديدة، وعرضا عن أحد الكتب المهمة الذي يركز على قصص العقول، وكيفية اقتراحها بالوسائل الإعلامية، ولغة الخطاب السياسي.

ونحن نضع هذه الخطوة الأولى، فإنها بالتأكيد تستمر إلى ألف ميل، مسن البحث العلمي والأكاديمي.

مع

والشكر

الأستاذ الدكتور

ناظم عبد الواحد الجاسور

المشرف العام

## الشرق اوسطية والغراطة المتوسطية

التباين والتقاطع والافاق المستقبلية لموقع العراق في مابين الحائرتين

الاستاذ الدكتور

ناظم عبد الواحد الجاسور

عميد كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

### المقدمة

في الوقت الذي خفت فيه بريق مشروع الشرق اوسطية وبدأ ينتقل من محطات وعواصم عربية وغربية لا تعير اهمية لما يطرحه من تصورات وافكار عارضتها حتى الدول الاوروبية وبعض الدول العربية وخصوصاً الخليجية التي امتنعت عن تمويل صندوقه الذي لا يهدف الا الى انعاش الاقتصاد الاسرائيلي، وان ادارة الرئيس بوش الاب التي كانت وراء هذا المشروع قد غادرت البيت الابيض وتوقفت مسارات التسوية السياسية التي بدأت في مدريد ١٩٩١، وعبر مفاوضات متعددة الاطراف في عواصم عدة، فقد خرج من مياه المتوسط مشروع اخر جديد بأبعاده السياسية والامنية والاقتصادية، واقتصر تجمعه على دول حوض البحر الابيض المتوسط اضافة الى الدول الاوروبية الاخرى الاعضاء في الاتحاد الاوروبي بهدف وأد المشروع الامريكي، وتأكيد حضور اوروبي فعال في سياسات المنطقة بعد ماستريخيت، ولاسيما وان بعض الدول الاوروبية الكبرى قد شعرت بالخسارة الكبيرة لمواقعها واسواقها التقليدية في الشمال الافريقي بالتحديد. وإذا كانت الشراكة المتوسطية قد انطلقت من قمة برشلونة الاسبانية (في نهاية تشرين الاول ١٩٩٥) للدول المتشاطئة على ضفتي الاطلسي، وما يرتبط بالاتحاد الاوروبي من اعضاء خارج هذه المنطقة، فإن الشرق اوسطية بقيت تراوح مكانها متعثرة في خطواتها وقممها السنوية، ومما يؤكد من الجانب الاخر بان هناك مسار جديد ارتسم في العلاقات العربية-الاوروبية بدلاً من المسار الذي اتخذته العلاقات العربية-الامريكية، وان كانت واشنطن في ادارة الرئيس بيل كلنتون انشغلت بأمور اخرى، وخصوصاً في وسط وشرق اوروبا ومشاكل الدخول الامريكية الخاصة. وقد عانت الشرق اوسطية من جديد في ظل ولاية جورج بوش الابن وبعد احتلال العراق، حيث استكملت الهيمنة الامريكية-الاطلسية على قوسي الازمات الشمالي والجنوبي وغدت المنطقة محكومة بقواعد عسكرية واستراتيجية

امريكية شاملة وفارضة قيمها ومعاييرها في المنظومة العالمية لحقوق الانسان وبناء الديمقراطية واجراء الاصلاحات السياسية وبالشكل الذي ينسجم مع متطلبات الوجود الأمريكي في المنطقة.

فالاستجابة العربية لركوب قطار برشلونة رغم وجود مسافر مزعج (اسرائيل) في احدى عرباته، كانت استجابة مريضة ولم يمنع الدول العربية (ما عدا ليبيا) الثمانية من التفاعل الايجابي مع قمم الشراكة المتوسطية على امل تلبية طموحاتها السياسية وتقليل الآثار السلبية لعملية التوسع الاوروبي شرقاً، مما جعلها تحضر بانتظام اجتماعاته السنوية، واسماع الجانب الاوروبي هموم ومشاكل الامة العربية، ومحاولة للتأثير على المواقف الأوروبية بشكل متوازن بصدد القضايا الخاصة بالمنطقة، وبالشكل الذي يجعلها مختلفة عن السياسات الأمريكية التي حاولت توظيف الشرق اوسطية لدعم الكيان الصهيوني سياسياً واقتصادياً، بدون اعارة أي اهتمام لكل المطالب السياسية العربية.

وتأسيساً على ما تقدم، فإن دراستنا سوف تنصب على القراءة السياسية للمشرعين من خلال منهجية مقارنة لتحديد التطابق والافتراق، ثم تحديد الافاق المستقبلية لهما وموقع العراق في الدائرتين، حيث غدا بعد الحرب محور الاستقطاب والتناظر بين المشروعين، او بين السياستين الأوروبية والأمريكية، وخصوصاً ان لكل طرف رؤيته الخاصة في الاصلاح السياسي واعادة رسم المنطقة وعلى وفق مصالحه الاستراتيجية.

#### الشرق اوسطية رؤية امريكية للمنطقة ما بعد حرب الخليج الثانية:

في نهاية كل حرب تخرج منها المنطقة، هناك رؤية امريكية تتجسد في السياسة والامن والدفاع. فاذا كانت حرب الخليج الاولى افرزت تصورات وافكار غربية عما يطلق عليه "بأمن الخليج العربي" وما يستقر عليه من اسس ومرتكزات تختلف عما افرزته حرب ١٩٧٣، فإن حرب الخليج الثانية قد فتحت الباب على مصراعيه لوجود غربي (امريكي بالتحديد)، مثل في القواعد العسكرية الارضية المنتشرة في حفر الباطن والكويت وقطر وبعض دول المنطقة الاخرى، اضافة الى حاملات الطائرات والبوارج الحربية التي تعوم على مياه الخليج والبحر الاحمر ومدخلهما، ناهيك عن الاسطول السادس في حوض المتوسط والاسطول الخامس في المحيط الهندي وبحر العرب. وبدون شك، فإن هذه المنطقة التي استقرت الادبيات السياسية والاستراتيجية الغربية على تسميتها بالشرق الاوسط، ليس الهدف منها فقط شطب الهوية القومية للوطن العربي من الخارطة السياسية، ولحلال هذه التسمية بدلاً منها، ولما امتداد مسرح العمليات العسكرية الأمريكية على قوس الازمات الثاني الذي يمتد من الرباط حتى افغانستان مقابل قوس الازمات الاول الذي يمتد من وسط وشرق

أوروبا الوسطى مروراً بالقوقاز وآسيا الوسطى، حيث الثروات للبترول الهائلة لباقيسي مع خط الأزمات الثاني وفي الأخير مطبقاً على المنطقة كلها، كما حدد هذه لأقواس زيبغينو بريجنسكي الأمن القومي في حكومة للرئيس كارتر<sup>(١)</sup>.

وفي الواقع، إذا كانت مقولة الشرق الأوسط في أدبيات السياسة البريطانية والفرنسية تجسد بعض التعبير لجو-سياسة، استراتيجية وحملت مشاغل وحلول مخططات الدول الكبرى تجاه شرقها بالمعنى الجغرافي، ومن ضمن استراتيجياتها اقتسام مناطق نفوذ فإن هذا التعبير أخذ يكتسي دلالات ومعان جديدة في ظل ظروف الدولية، والسياسات التي خلفتها تداعيات انهيار المعسكر الاشتراكي، واختفاء الاتحاد السوفيتي، والنتائج الكبيرة لحرب الخليج الثانية، والتي تمثلت في عقد مؤتمر مدريد عام ١٩٩١، ومن ثم التوصل إلى اتفاقيات أوسلو، وما ترتب عليها من انحصار كبير في دور النظام الاقليمي العربي المتمثل في جامعة الدول العربية وتقويض اسس العمل العربي المشترك. وعلى ضوء هذه التداعيات، جاءت الافكار والتصورات الغربية للمنطقة راسمة حدودها، وتوجهاتها السياسية. إذ أشار المفكر والكاتب البريطاني الاصل برنارد لويس في ثقافته المشهورة "اعادة التفكير في الشرق الأوسط" موضحاً بأن مفهوم الشرق الأوسط في الماضي قد توسع في جميع الاتجاهات فيما عدا الشمل حيث كان ينظر إلى الاتحاد السوفيتي على أساس أنه حده الشمالي، وباختفاء هذا الحد، فإن المساحة الجغرافية امتدت لتشمل جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية<sup>(٢)</sup>. واذ يشير لويس بالتحديد إلى أن الشرق الأوسط كونه أيضاً "موزائيك" من القوميات والأثنيات والأديان، وبما أن إسلامية العرب تمنعهم من إقامة دولة قومية عصرية علمانية تمارس قطيعة مع الإسلام وتاريخه، على غرار ما فعلت الدولة الكمالية، فإن الشرق الأوسط ولاسيما في قسمه العربي، يصبح مكاناً لتعايش جماعات لثنية ودينية لا يمكن أن يننظم التعايش فيها إلا في إطار مصالح تديرها سلطة من خارج هذا المكان، أو تضبطها سلطة رادعة من المكان نفسه، أي أنه في النهاية يصل إلى أن إسرائيل أو الولايات المتحدة، هما القوتان القادرتان على ضبط إيقاعات هذه المنطقة من خلال "النظام الشرق أوسطي كأطار اقليمي" بدلاً من الانظمة الاقليمية أو الفرعية<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر بحثنا حول توسيع حلف الناتو شرقاً والاستراتيجية الأمريكية، مجلة دراسات دولية، العدد ١١ لسنة ٢٠٠١ مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد.

(٢) صراع القوى في آسيا الوسطى، مجلة قضايا دولية، اسلام آباد، العدد ٢١٣، في ٣١ كانون الثاني ١٩٩٤، ص ٢٢.

(٣) وجه كوثراني، بالشرق الأوسط والتطبيع الثقافي، مجلة دراسات فلسطينية، بيروت، العدد ١١، ١٩٩٥/٢٣.

فهذا المدلول الجغرافي الواسع اختزل الى مدلول سياسي بحث يترتب عليه ادخال دول غير عربية في المنطقة، وإخراج دول عربية ان امكن، اضافة الى اضعاف صفة التعدد والتنوع وليس الوحدة والتمائل<sup>(١)</sup>، أي خليط من الاديان والقوميات التي تسهل تفكيكها وتجزئتها، من اجل السيطرة والهيمنة عليها وفقاً لما تطلبه استراتيجيات القوة العظمى ومصالحها الحيوية ولاسيما في الوطن العربي الذي تحاول تمزيقه الى اجزاء ومناطق، ولا تعامله على انه وحدة متميزة، في الوقت الذي تدور حوله كل الافلاك "العربية"، ويجب ان يكون هذا القطب عنصراً فعالاً في تقرير ترتيباته الامنية ورسم فضاءاته الاقتصادية وسوقه الواسعة، وقد اعاد تأكيد ذلك مساعد وزير الدفاع الامريكي بول ولفويتز وقبل اشهر من شن الحرب على العراق، عندما قال: (ان الدولة العبرية هي حالة مركزية، بل انها الحالة المركزية الوحيدة في الشرق الاوسط، وحيال التفاعلات المحتملة في المنطقة يفترض من ان تكون دورها اكثر فاعلية واكثر وضوحاً في العقود اللاحقة)<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا الاساس فان المشروع للشرق اوسطي يبدو في ظاهره "اقتصادي تنموي" الا ان جوهره يهدف الى رفض القومية العربية كفكرة وحركة سياسية نمت في الشعور الوجداني للانسان العربي، ويحطم كل ما تبقى من مقومات يمكن ان تشيد عليها مستقبل لاس الدولة العربية الواحدة، كما انه لا يعترف بوجود اقتصاد عربي او بنية اقتصادية، ناهيك عن انه ينسف من الاساس الاطار الاقليمي للنظام العربي المتمثل في جامعة الدول العربية.

ومن القراءة المتأنية للادبيات السياسية الامريكية والاسرائيلية يتضح انهما يغرفان من مصدر واحد في التفكير والاليات المحددة لهذا المشروع، وهذا ما كشفه شمعون ببرز في كتابه (الشرق الاوسط الجديد) الذي رسم معالم هذا النظام، وذلك بالعلاقات التعامدية بين دول المنطقة، اساسها الاقتصاد وحيث الدور الاساسي في ذلك هو ما يمسند الى اسرائيل من دور كبير في الهيمنة والتفوق على دول المنطقة من خلال قيام (هيكل اقليمي منظم)<sup>(٣)</sup>. وفي الاطار نفسه، فقد حدد ببرز الامن الاقليمي للشرق الاوسط الجديد من خلال:

- نزع اسلحة التدمير الشامل في المنطقة.
- تفكيك هياكل القوة للدول العربية.
- فرض الرقابة وضبط التسلح.

(١) جميل مطر، علي الدين هلال، النظام الاقليمي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٩.

(٢) صحيفة الاتحاد الاماراتية ١١ تشرين الاول ٢٠٠٢، ص ٢٧.

(٣) شمعون ببرز، الشرق الاوسط الجديد، اصدار دار الجليل، صان ١٩٩٤، ص ١٩٣.



- جمع المعلومات عن النشاطات لدول المنطقة، ويمتدني من كل ذلك اسرائيل على اعتبار ان الظروف المحيطة بها لا تسمح لها بتفكيك اسلحتنا واعادة جنودنا الى بيوتهم<sup>(٧)</sup>.
- وفي الاطار نفسه فقد سبق وان طرح شمعون بيرز في مقالة له نشرت تحت عنوان "ماذا بعد عاصفة الخليج، رؤية عالمية لمستقبل الشرق الاوسط"<sup>(٨)</sup>، لم يوضح فيه فقط مستقبل مدينة القدس التي يمكن تقسيمها الى شقين: سياسي وديني، حيث سياسياً تكون القدس اورشليم (عاصمة اسرائيل)، او دينياً مفتوحة لكل الاديان، وانما حاول طرح تصورات وصيغ لاشكال وانماط العلاقات الاقليمية بمختلف جوانبها، وابعادها: المحلية والاقليمية والولوية. اذ دعا مثل كل دعواته السابقة، وما حاول ان يطرحه الامريكيون انفسهم في جولاتهم الدبلوماسية في المنطقة الى اقامة:
- سوق شرق اوسطية مشتركة على اساس التكامل بين التكنولوجيا الاسرائيلية والمياه التركية والاموال الخليجية السعودية والعمالة المصرية.
- ان السلام في الشرق الاوسط يشكل اولاً وقبل كل شيء هندسة معمارية وتاريخية ضخمة لبناء شرق اوسط جديد متحرر من الصراعات ومستعد اخذ مكانه في العصر الجديد.
- المبادرة الى انتاج المياه وتوفير. فالماء والسلام يجب ان ينسبا معاً.
- انشا مجلس يضم وزراء الزراعة في كل دول المنطقة لكي يشرع في تخطيط حل مشكلة المياه وتزويد سكان المنطقة بالغذاء.
- ضرورة المساعدات الاوروبية الامريكية واليابانية<sup>(٩)</sup>.
- وفي الواقع، فان المشروع الشرق اوسطي الذي يمثل خلاصة التفكير الاستراتيجي لادارة الرئيس الامريكي السابق جورج بوش الاب في صياغة اليات "التعاون" او "الاندماج" بين دول المنطقة في اطار نظام اقليمي واسع، قد شخص بعض المرتكزات الاساسية التي من خلالها يمكن ان يشيد هذا المشروع، وهي:
- للولايات المتحدة وحدها القرار النهائي.
- تكثيف الوجود العسكري الامريكي في المنطقة من خلال احتلال دول المنطقة وتقويتها بمعسكرات ومطارات دائمة، اضافة الى تخصيص الموائم المحددة للبورج الحربية الامريكية.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٩٤.

(٨) شمعون بيرز، ماذا بعد عاصفة الخليج، رؤية عالمية لمستقبل الشرق الاوسط، جمعية الاهرام القاهرة ٩ كانون الثاني ١٩٩٢.

(٩) المصدر نفسه، ص ١١٢.

- تطوير التعاون العسكري الثنائي بين الولايات المتحدة من طرف وحلفاؤها الجدد من طرف اخر.
  - تعزيز التعاون المدني والامن، الاقتصادي والسياسي والثقافي بين دول الشرق الاوسط والولايات المتحدة.
  - بناء منظومة اقليمية نسيجية من التعاون بين الشرق الاوسط كافة.
  - فصل الشرق العربي عن مغربه، ورفض اي تكامل عربي، او أي التقاء اقليمي بين الدول العربية نفسها.
  - احلال الهويات الفرعية: الطائفية، العرقية، الاثنية بدلا من الهوية العربية القومية الحاضنة للامة العربية وشعبها<sup>(١٠)</sup>.
- وبهذا الصدد، يؤكد الاستاذ محمود عبد الفضيل بان المشروع للشرق اوسطي هو في الاساس صياغة اسرائيلية بدعم امريكي يهدف الى بناء نظام اقليمي تكون فيه المحور الرئيسي القيادي، وتكون بمثابة الوسيط المعتمد بين المراكز الراسمالية المتقدمة في الغرب واسيا من ناحية، وبلدان المشرق والخليج العربي من ناحية اخرى<sup>(١١)</sup>. فذا كانت هذه الهندسة المعمارية الجديدة للمنطقة تسمى في الاول والاخر لجعل اسرائيل (الدولة) الطبيعية في المنطقة، ومحورها الاساسي، فان الرؤية الاسرائيلية لمجمل ما خطط له (وما يعاد التأكيد عليه مرة اخرى بعد الحرب واحتلال العراق) هو:
- اقامة علاقات مشتركة وطبيعية بين اسرائيل والدول العربية.
  - امكانية اسرائيل في اختراق المجتمعات العربية.
  - الاقرار بشرعية الوجود الصهيوني على ارض فلسطين، وشطب التساريخ وتمزيق وثائقه، وكتبه للمقدمة.
  - تبقى اسرائيل (الدولة) القوية ولها الحق وحدها امتلاك اسلحة التدمير الشامل.
  - الحصول على نصيب وافر من الثروة العربية، والسيطرة على آليات التنمية العربية ومداخل ومخارج وارداتها وصادراتها وحسابات ميزانها التجاري.
  - السيطرة الاسرائيلية المباشرة على المياه العربية والتحكم بمصادرها.

<sup>(١٠)</sup> سيار الجميل، المجال الحيوي للشرق الاوسط ازام النظام الدولي القادم، من مثلك الازمات الى مريح الازمات، تحديات مستقبلية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ١٨٤، (٦) ١٩٩٤، ص ٢٢.

<sup>(١١)</sup> ينظر محمود عبد الفضيل، الشرق اوسطية ومستقبل التعاون والتكامل الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٢٠ (٦) ١٩٩٧، ص ٨٨.

- إقامة حوض اقتصادي واسع يضع الدورة الاقتصادية والعربية تحت رحمة رؤوس الاموال الامرائيلية والامريكية، ولا مجال لاي تعاون عربي-عربي.
  - الغاء القدرة العربية كقوة يمكن ان تفرض على المنطقة نظاماً اقليمياً عربياً.
  - منح الاقليات العرقية والطائفية والاثنية حق الانفصال والتكثّل لتفتت الامة العربية، وتغليب هذه الهويات الفرعية على الهوية المركزية العربية<sup>(١٢)</sup>.
- وإذا كان الأستاذ غسان ملامة يرى في الابعاد السياسية للتحديات شرق اوسطية متجسمة في: اللاحق، والافتراق، الاختناق، الانسحاق والانشقاق في الجسم العربي المنشط<sup>(١٣)</sup>، فان الأستاذ ناصيف حتي وضع ثلاث مشاهد امام مستقبل النظام العربي:

- الاول: مزيد من الانهيار وغياب اية بلورة لمسياسة الحد الأدنى للنظام العربي، وبالتالي يصبح طرفاً متلقياً، وليس طرفاً فاعلاً في النظام الشرق الاوسطى الجديد.
- الثاني: انتهاء النظام العربي في شكله الحالي وتفككه الى انظمة فرعية مندمجة في انظمة اقليمية تحتوي دولا في المحيط العربي ودولا من غير المحيط العربي، مع اقامة نظام شرق-اوسطى كإطار اوسع لتلك الانظمة الفرعية.
- الثالث: اعادة لحياء للنظام العربي عبر بلورة قيادة لهذا النظام تؤسس على بعض الاطراف الرئيسية الفاعلة<sup>(١٤)</sup>.

سيتم مناقشة هذه السيناريوهات (المشاهد) للثلاث في النقطة الاخيرة من الدراسة، وكيف تجسدت بعد المشهد العراقي على اثر الاحتلال الامريكي.

الشراكة المتوسطية: مشروع بديل ام مسار متواز

إذا كانت هذه هي الصورة التي اطلت من خلالها الشرق الاوسطية، بكل تداعياتها، وتأثيرها على الامة العربية وكيف انتهت بعد اربع مؤتمرات كان اخرها مؤتمر الدوحة<sup>(١٥)</sup>، الذي عجز فيه المشاركون من الاتفاق على تحديد مكان عقد المؤتمر القادم فكان دليلاً واضحاً على التدهور السريع الذي اصاب الفكرة والمشروع من اساسه، فإن الاسئلة التي تطرح تشكل المحور الاساسي للاشكالية بحثاً وهي: هل ان الشراكة المتوسطية التي انطلقت بعدها في نهاية ١٩٩٥، تمثل مشروعاً اوروبياً

(١٢) ينظر كتابنا، الامة العربية ومشاريع التفتت، الاهلية، عمان ١٩٩٨، ص ٧٢-٧٤.

(١٣) غسان ملامة، افكار اولية عن السوق الاوسطية، نقلاً عن سيار الجميل، المجال الحيوي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤.

(١٤) ناصيف حتي، النظام الاقليمي العربي.. الى اين، الهلال، شباط ١٩٩٤، ص ٤١-٤٢، نقلاً عن لدوة التحديات الشرق اوسطية والوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٤، ص ١٤٧.

(١٥) للمزيد من الاطلاع عن مؤتمر الدوحة ١٩٩٧، ينظر لهرمين السعدني، مؤتمر الدوحة الاقتصادي، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٣١، كانون الثاني ١٩٩٨.

بديلاً ام مسار متواز؟ وما هي نقاط التوافق والافتراق بين المشروعين؟ وما هي الافاق المستقبلية للمنطقة بعد الحرب التي شنت ما اعقبها من احتلال امريكي للعراق؟ بدون شك، ان القراءة السياسية للمشروع المتوسطي تبين بأن هذا المشروع لم يكن الا احد اركان السياسة الأوروبية التي انطلقت بعد ماستريخت (شباط ١٩٩٢) وامتداداً للسياسات الأوروبية السابقة التي تبنتها المجموعة الأوروبية في اطار علاقاتها مع دول الجنوب، وتستند الى علاقات حضارية وتاريخية في حوض المتوسط بين جهاته كافة. ولكن، فان هذا المشروع بقدر ما يعبر عن رغبة الدول الأوروبية في تعزيز نفوذها مقابل النفوذ الأمريكي المتعاظم بعد حرب الخليج الثانية، ومؤتمر مدريد، فهذا المسار الذي انطلق من برشلونة، حيث شكل محطته الرئيسية، فان سكة طريق طولية قطعها قبل ان يصل الى هذا المستوى من الانضباط في قممه السنوية والحضور المستمر لاجتماعه رغم الخلافات الناشبة بينهم.

في الواقع فان هذا المشروع، لم يكن الا منافسة للمشروعات الشرق-اوسطية، وابرار دور الأوروبي الفعال في تقرير مستقبل المنطقة الحيوية للأمن الأوروبي، وخلق مجال كبير لنفوذ فرنسي في حوض المتوسط قد يعادل المجال الألماني في وسط وشرق أوروبا، اضافة الى الاندك الأوروبي الجمعي بأن المخاطر المحتملة التي تواجه حوض المتوسط لا يمكن مواجهتها بمفردها ضمن اطار الاتحاد الأوروبي، انما بشراكة فعالة مع دول الجنوب، الذي شخص في السنوات الاخيرة بأنه مصدر الازمات، ولاسيما بعد اختفاء المواجهة ما بين الشرق والغرب.

وبدون شك، فان المجموعة الأوروبية راهنت منذ بروزها كقوة اقتصادية على ارساء سياسة أوروبية متوسطة قائمة على المصالح المشتركة بين الدول الأوروبية الغربية أولاً، ومن ثم بين ضفتي المتوسط وخصوصاً في الأمن والتعاون ثانياً. واستمرت هذه المراهنة سنين طويلة وكانت تتقدم وتراجع حسب الظروف الدولية ومتغيراتها، ومن بينها ان العنق الأوروبية لم تبلور سياسة متجانسة بصدد الصراع ما بين الشرق والغرب، وحتى التعاون بين ضفتي المتوسط حيث السياسات الانتقائية في التعامل، بسبب الارتباطات الاطلمية لقسم من دول المجموعة، والسداف عن هذه الرابطة (المقدسة)، والمناهضة الواضحة التي ابدتها فرنسا الديغولية، وما زالت، ضد الهيمنة الأمريكية. وما بين مسيرة الحوار العربي-الأوروبي منذ عام ١٩٧٣، وما تجسد في مؤتمر هلسنكي عام ١٩٧٥ للأمن والتعاون الأوروبي، مروراً بالمبادرات التي طرحت من هذا الجانب او ذلك<sup>(١٦)</sup>، وحتى قمة مؤتمر الاتحاد الأوروبي في لشبونة عام ١٩٩٢ بعد ثلاثة اشهر على معاهدة ماستريخت، التي اكدت على قرار

(١٦) عماد جواد، الامن والسلام في البحر المتوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد ٩١ كانون الثاني ١٩٨٨، ص ص ٢٠٧-٢٠٨.

حظي بالاجماع من "ان الضفة الجنوبية والشرقية للبحر الابيض المتوسط منطقتان تنطويان على اهمية قصوى لمجموعة الاوروبية من حيث الأمن والاستقرار الاجتماعي"<sup>(١٧)</sup>. وبغية استكمال هذا المسعى فقد صادق المجلس الاوروبي على قرار الشراكة في الاجتماع الذي عده في مدينة أسن الالمانية في كانون الاول/ديسمبر ١٩٩٤، مؤكداً من "اسس الشراكة الجديدة بين دول معاهدة ماستريخت والبلدان المتوسطية الثالثة) تهدف الى اضافة استراتيجية تعاون سياسي واقتصادي شامل"<sup>(١٨)</sup>، بين دول الاتحاد الاوروبي نفسها على سياسة موحدة، وثانياً، امكانية تقاوم الاتحاد مع دول الجنوب الاخر من المتوسط<sup>(١٩)</sup>. ولكن يبدو ان هذين الشرطين لا يمكن تحقيقهما بشكل كامل، ولا سيما ان التقاوم بين دول الاتحاد الاوروبي بعيد المنال وهذا ما اكنته احداث يوغسلافيا والمنافسة القوية بين دول الاتحاد نفسها حول الاسواق الخارجية، ناهيك عن ان دول المتوسط الجنوبية تمر بظروف صعبة نتيجة الحروب والصراعات التي لم تصل الى تسويتها بالطرق التي تؤدي الى الاستقرار السياسي الذي تبحث عنه الدول المتوسطية.

وفي حقيقة الامر، اذا كانت الشراكة الجديدة التي تمخضت عن مؤتمر برشلونة (٢٧-٢٨ تشرين الاول ١٩٩٥) خضعت لمفهوم ومنطق معاهدة ماستريخت وتوازن علاقة اوروبا مع المتوسط واوربا الشرقية والوسطى، فان اهدافها تنحصر في ان تكون متركزة على الاستقرار والأمن والحريات والتنمية، ولا سيما وان اوروبا الغنية والمتطورة تنظر بتوجس كبير الى ما يجري في دول جنوب المتوسط وخصوصاً العربية منها التي تحتل مساحة واسعة من حوض المتوسط، اضافة الى امتدادها الشرق اوسطي، لذلك فان المجموعة الاوروبية بدولها التي تعدت الخمسة وعشرون دولة ادركت بانه لا أمن بدون استقرار سياسي مركّز على تماسك اجتماعي ينعم بوضع اقتصادي جيد لكي تكون صورة المستقبل ايجابية وتعطي الشراكة ثمارها، وهذا ما طرحته المجلة الايطالية (الاسبكتاتور) في عددها الصادر في خريف عام ١٩٩٤ (حول الشراكة المقترحة بين المجموعة الاوروبية ودول البحر المتوسط الجنوبية الشرقية)، والذي اشارت فيه الى أن نقطة الضعف التي يتميز بها هذا الاقليم هي (حالات عدم الاستقرار التي كثيراً ما تسود هذا الاقليم بالذات.. والتي تتطلب

(١٧) الشذالي العياري، اتفاق التكامل في البحر الابيض المتوسط، نشرة المنتدى، عمان العدد ١١٤، آذار/ مارس ١٩٩٥، ص ٦.

(١٨) مصطفى البجلاوي، المقاربة حريصون على تطوير التعاون، والاتحاد الاوروبي يطلب باستراتيجية واحدة، مجلة المجلة، بيروت، العدد ٧٧١، ٢٠-٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٤، ص ٥. وينظر كذلك الشاذلي العياري، مصدر سابق ذكره، ص ٦.

(١٩) حوار مع الاستاذ عثمان سلامة، صحيفة الدستور الاردنية، عمان، ٢ تموز ١٩٩٥، ص ٢٧.

معالجتها قنراً اكبر من التعاون، والا فليس اسهل من ان تتحول المنطقة الى مصدر لاحتكاك والتنازع، ناهيك عن العداوة والاضرار بالامن الدولي كله<sup>(٢٠)</sup>. واكدت المجلة الإيطالية على ان "الاضراع الاقتصادية اللا متوازنة يضاف اليها عوامل سياسية واجتماعية وثقافية ودينية من شأنها إثارة انعكاسات على الأمن والاستقرار في حوض البحر المتوسط كله، ويبدو ان الحل لا يكمن في مجرد ان يكسب جانب من خسارة الجانب الاخر، وبضاعف من استدامة وتفاقم الازمة اضافة الى سياسات الحماية والضغط الخارجية مما يجر الحكومات ناحية خيارات عدائية لانه ما من دولة تستطيع ان تحل منفردة ازمة اكبر منها تشمل هذا الاتساع والحجم الضخم"<sup>(٢١)</sup>.

وهذا هو بالتحديد ما دفع الاوروبيين الى عقد مؤتمر برشلونة، حيث احتل هاجس الأمن والاستقرار صلب البيان الختامي الذي جاء فيه: يعبر المشاركون عن قناعتهم بان السلام والاستقرار والامن في منطقة البحر المتوسط تشكل مكسباً مشتركاً يتعهدون بتتبعه وتوطيده بكل الوسائل التي في حوزتهم. من اجل هذا يوافق المشاركون على اجراء حوار سياسي مكثف ومنظم يركز على احترام المبادئ الجوهرية للتعاون الدولي ويعاونون للتأكيد على عدد من الاهداف المشتركة في مجال الاستقرار الداخلي والخارجي<sup>(٢٢)</sup>.

ومما يلاحظ في اعلان برشلونة الذي لقرته الدول (٢٧ دولة) ممثلة بوزراء خارجيتها، انه استند الى ثلاثة مبادئ اساسية: سياسية، اجتماعية واقتصادية، حيث شغل الشق الامني والسياسي صلب المحادثات على مدى يومين متتاليين، حيث الصعوبات الكبيرة التي نجمت عن الاختلاف بين وجهات النظر حول العديد من النقاط ولاسيما الارهاب، فيما الهدف كان مواجهة (التيار الاسلامي) بحد ذاته، وكذلك حق تقرير المصير، وخطر الانتشار النووي، وهي النقطة التي عارضها اسرائيل، وكذلك وجهة النظر السورية التي كانت تؤكد على حق الدفاع عن النفس<sup>(٢٣)</sup>.

في الواقع، فاذا كان للمجموعة الاوربية اهدافها العلنية من انعقاد مؤتمر برشلونة ومن بينها البحث عن دور اوروبا السياسي، وايجاد الحلول للمشاكل التي تواجهها من خلال شركاء جدد وان لتركيا ايضاً نواياها الخاصة في ذلك واتقان الاتحاد على حسن سلوكها، فان لاسرائيل اهدافها العلنية والسرية وهي بالتاكيد كانت الرابح

(٢٠) التعاون والاستقرار في البحر المتوسط، بنود هامة في الشراكة المقترحة، مجلة الاسبيكتاتور الإيطالية، نشرة المنتدى، عمان العدد ١١٤ آذار ١٩٩٤، ص ١٦-١٨.

(٢١) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٢٢) صحيفة بابل البغدادية في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٩٥، ص ٣.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٣.

الاول والاخير من تلك الشراكة، لان الدول العربية حضرت ولم تحصد غير الوعود. لقد كان مؤتمر برشلونة الطريق المفتوح امام اسرائيل للاندماج الطبيعي في المنطقة، بعد مؤتمر عمان الاقتصادي تشرين الاول ١٩٩٥ وسبقه مؤتمر الدار البيضاء عام ١٩٩٤ حيث المشاريع التي لم تأت الا دعم الاقتصاد الاسرائيلي. لقد اشار الاستاذ جميل مطر في مقالته الى تلك المخاطر الجسيمة المتأتية من تلك المشاريع التي انتهت على المنطقة، وترتيباتها الاقتصادية والامنية كانت الشرق اوسطية، او المتوسطية، مؤكداً على ان كلا من هذه الترتيبات يقوم على (تجزئة العرب الى اجزاء اخرى جغرافية منفصلة ومتشابكة مع اجزاء اخرى من الاقتصاد العالمي... جزء كبير في الاقليم الشرق الاوسط، وبعض هذا الجزء مع جزء اخر في الاقليم المتوسطي)<sup>(٢٤)</sup> ومن جانبه فان المفكر والباحث اللبناني خليل احمد، ذهب الى اتجاه المقارنة بين المشروعين، ويؤكد على النقاط بينهما في نقطتين استراتيجيتين تحكمان سلوك الغرب العسكري والاقتصادي، وتوطدان علاقته المستديمة بالكيان الصهيوني على حساب العرب ومصالحهم:

□ توسيع حلف الاطلسي شرقاً، ليشمل منطقة الشرق الاوسط من ضمنها المشرق العربي وتركيا وايران والكيان الصهيوني. هذا ما طرحه مستشار الامن القومي السابق بريجنسكي، ثم الاشارة الى ذلك في الصفحات الماضية.

□ تثمين النهب الاقتصادي الاستراتيجي لهذه المنطقة الغنية بالنفط من جهة والثروات المائية من جهة اخرى، وجعلها جزءاً من سوق اقتصادية راسمالية عالمية (هي اقطاعية جديدة) يسودها الراسمال اليهودي وغير اليهودي، ويكون فيها العرب والمسلمون هم للطرف الرسمالي الاضعف بعد استنزاف مواردهم وثرواتهم في حروبهم الداخلية والحدودية<sup>(٢٥)</sup>. ثم يضيف بان (المتوسطية مشروع رديف مواز ومساعد لمشروع الشرق الاوسطية). والواقع في شرك احدهما سيجد نفسه حكماً في شرك ثانيهما<sup>(٢٦)</sup>.

لقد وصف الاستاذ برهان الدجاني اعلان برشلونة بانه (عبارة عن قسار صغير وسط انواء متلاطمة وعواصف مضطربة فالبحر الابيض المتوسط بحر هائج

(٢٤) جميل مطر، وثائق المنظومة الاقليمية الاعظم في الشرق الاوسط، صحيفة الحياة ١٠ كانون الاول، ذكر في محمود عبد الفضيل الشرق اوسطية ومستقبل التعاون، مصدر سبق ذكره، ص ٩١.

(٢٥) خليل احمد خليل، المشرق العربي، بين المتوسطية والمشرق اوسطية، مجلة دراسات عربية، بيروت، العدد ٩-١١، ١٩٩٦، ص ٤.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٥.

فكلما تباعدت عاصفة مهيبة له ابتدعت عاصفة جديدة<sup>(٢٧)</sup>. ومن هنا، فإن حالة اللاتكافئ بين ضفتي المتوسط، وخصوصا العرب، وعدم تعامل الاتحاد الاوربي والتزامه بمعيار واحد في جميع الامور والعلاقات بين شطري المتوسط اضافة الى فرضه الشروط السياسية في تعاملاته التجارية ادى الى اتساع الفجوات بين الطرفين، وحولهم الى شركاء ابعاد على الرغم من تقاربهم، ومواجهتهم لمشاكل مشتركة، في الوقت الذي شهدت فيه علاقات الاتحاد الاوربي مع اسرائيل (علاقات شراكة وتعاون) متقدمة قياساً مع الدول العربية الاعضاء في هذه الشراكة<sup>(٢٨)</sup>.

وفي الواقع، اذا كان البعض يرى في المشروع المتوسطي وانجذاب العرب بانه يمكن ان يسمى بتتويج الشركاء وهي الحالة التي تشهدها المرحلة الحالية في تاريخ العلاقات العربية مع القوى الدولية نتيجة للظروف الدولية والاقليمية وغدت بعض الدول العربية اكثر تفاعلاً مع المشروع الاوربي المتوسطي على مشروع الولايات المتحدة واسرائيل الشرق الاوسط اوسطي<sup>(٢٩)</sup>، فان المشروعين يسعيان الى دمج اسرائيل في المنطقة، واحدهما يكمل الاخر في تنفيذ الاستراتيجية الصهيونية وفي مساراتها المتعددة، وان انعكاسات ذلك لا بد وان تقضي الى:

- ان اية محاولة تطبيع العلاقات مع اسرائيل سوف لن تؤدي الا الى وضع الامة العربية في دوامة الاضطرابات والعنف والحرب الاهلية والطائفية .
- وتحت نريعة مواجهة الارهاب لن يتم الا بتصفية القوى الوطنية والقومية التقدمية، واقامة نظم موغلة بالتبعية وتنويه الثقافة العربية الاسلامية من خلال غزو ثقافي مدروس عبر قنوات مختلفة لاحتواء المنطقة بصيغ جديدة من بينها الشراكة والتعاون وترتيبات اقليمية امنية وتقويض كل مقومات الامن القومي العربي وازالة مؤسسات العمل العربي.
- احكام ربط السوق العربية بالسوق العربية ، وتقويض كل المكتسبات التي حققتها الجماهير العربية على مدى السنين الماضية في بناء قطاع عام يلبي الحاجات الاساسية للشعب العربي.
- خلق علاقة اقتصادية ثلاثية الاضلاع ما بين اوربا واسرائيل والعرب، الامر الذي يترتب عليه:

(٢٧) برهان الدجاني، النواحي الاقتصادية والمالية لاعلان برشلونة، مجلة اوراق اقتصادية، اصدار الامانة العامة للاتحاد لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية، بيروت، العدد ١٢، كانون الاول ١٩٩٦، ص ٢٢.

(٢٨) انصات اذاعة مونت كارلو الساعة الثامنة ٢٠ تشرين الثاني ١٩٩٥.

(٢٩) عمادة قنورة، الاوروبيين والامريكيون في التوازنات العربية الراهنة، مجلة قضايا دولية، العدد ٣٧٠-٣ شباط ١٩٩٧، ص ٣١.



□ انتهاء الحالة العدائية مع اسرائيل واقامة علاقات تجارية واقتصادية وثقافية وفي المجالات كافة.

□ اعادة التكوين السياسي للمنطقة بحيث تكرر تفكيك الوطن العربي ومشرقه عن مغربه، والاسلامي عن العربي ويحدث مزيد من الطمس والتغيب للهوية العربية الى درجة يمكن ان نرى معها دول المغرب العربي تسير في -الفلك الاسرائيلي- الامريكي.

وعلى الرغم من ان قطار برشلونة استمر في مسيرته ومن خلال مؤتمراته السنوية التي انعقدت بانتظام (ويحضرها العرب بدون غياب او تحفظ) وفي محطات متعرجة في المدن الاوربية (٣٠)، اخرها في نابولي (كانون الاول ٢٠٠٣) تحت ظل الرئاسة الايطالية، والتي شهدت انسحاب امين عام الجامعة العربية احتجاجاً على تصريحات رئيس الوزراء الايطالي برلسكوني، وامتناع سوريا ولبنان التوقيع على بيانها الختامي احتجاجاً على السياسة الاسرائيلية، فان المشواغل الاوربية مازالت شاخصة، حيث يقف على راسها موجات الهجرة السرية، والتطرف الاسلامي، ناهيك عن غياب الديمقراطية، وظواهر عدم الاستقرار في الضفة الجنوبية للمتوسط، وعدم ارساء حل عادل للقضية الفلسطينية بالشكل الذي ينهي حالة الصراع، ويجنب المنطقة مشاكل اضافية. وهذه هي بالتأكيد الملفات التي تنتقل من مؤتمر الى مؤتمر اخر، ماعدا التوصل الى بعض اتفاقيات الشراكة مع عدد من الدول العربية املتها ظروف الوضع الدولي والاقليمي.

العراق بين الدائرتين : الشرق اوسطية ام المتوسطية:

كثرت النقاشات حول الصيغة التي تتركب منها المشروع المتوسطي، ولاسيما ان هناك بعض الدول الاوربية لا تقع ضمن الدائرة المتوسطية، وليس لها اهتمامات سياسية بالمنطقة بقدر ما هي اعضاء في تنظيمات اقليمية. وهذا ما انسحب على اشترك السويد والمانيا، ودول البينلوكس البعيدة عن المنطقة. الا ان هذا النقاش اغلق لكون هذه الدول اعضاء في الاتحاد الاوربي، ومن الوزن السياسي والاقتصادي الذي يعتمد عليه في اطلاق قاطرة الشراكة، ومنطقة التجارة الحرة الموعودة لدول المنطقة. وقد طرحت بعض الافكار التي تبلورت في الاروقة السياسية الاوربية والعربية بهدف اشراك العراق في هذه الشراكة المتوسطية، وذلك لما يتمتع به من علاقات اقتصادية وتجارية مع الاعضاء الرئيسيين في الاتحاد الاوربي، اضافة الى علاقاته السياسية والدبلوماسية المتطورة مع دول الحوض ولاسيما قبل حرب الخليج الثانية ولما يتوقع من عودة العراق الى وضعه الطبيعي بعد رفع الحصار. كما ان الافكار نفسها قد اعيد طرحها فيما يتعلق بانتماء العراق الى للشرق اوسطية بعد رحيل النظام السابق، وهي الفكرة التي ظهرت الى السطح بشكل واضح خلال الاعلان عن سياسة

الاحتواء المزيج للعراق وايران من قبل مارتن انديك مسؤول الشرق الاوسط في مجلس الامن القومي السابق في حكومة كلنتون. واذا كانت هذه مجرد افكار فهل يمكنها الان ان تترجم الى فعل ملموس على ارض الواقع الجديد بعد الحرب والاحتلال الامريكي للعراق؟

يبدو بعد الان ان سقطت للتفاحة العراقية في الملة الامريكية، من الصعب ان يكون للعراق مكاناً في الدائرة المتوسطة، او حتى علاقات اقتصادية وتجارية مع الاتحاد الاوروبي بذلك المستوى الذي كانت عليه سابقاً، الا ما عدا الدول التي ساهمت في المجهود العسكري الامريكي، ومساندت القوات الامريكية في احتلال العراق ضمن (قوات التحالف) مثل بريطانيا واسبانيا وايطاليا وبقية الدول الاخرى في شرق اوربا. وحتى هذه العلاقات سوف لا تكون باكثر ما تمن به اليد الامريكية من فتات على حلفائها، اما ما هو متوقع، فان العراق سيكون قلب الدائرة الشرق اوسطية الجديدة والذي من خلال دوره (السياسي والاقتصادي) سيتم اعادة رسم المنطقة، وبالشكل الذي يمكن فيه اقامة (الولايات المتحدة الشرق اوسطية) التي وضع هندستها الجوسياسي مساعد وزير الدفاع الامريكي السابق بول ولفوويتز ومدير البنك الدولي حالياً عندما رأى ان خريطة الشرق الاوسط هي خريطة اوروبية تمكس على الاقل النزاع الاستراتيجي المتقدم بين بريطانيا وفرنسا<sup>(١)</sup>. الا ان الولايات المتحدة، وحسب افكاره، وهي التي ترسم الخرائط، ومن مفهوم مستقبلي محدد، مما يقتضي معه اعادة للنظر بتلك الخريطة، ثم يضيف موضحاً الخطة الامريكية التي تقضي بتفكيك الدول العربية، مؤكداً على ان العرب مارسوا عقدهم التاريخية بمنتهى السوء حيال الاقليات العرقية الدينية، وعلى هذا الاساس يفترض اعادة للنظر بالدول بطريقة تركيبها وبطريقة بناء السلطة، لا مشكلة اذا تطلب الامر تفكيك دولة او ارساء صيغة فيدرالية او كونفدرالية في دول اخرى). وقد سبق وان طرح ولفوويتز فكرة قيام دولة كونفدرالية موسعة في الشرق الاوسط يكون مستوحي من تسمية الولايات المتحدة الامريكية، هل تكون الولايات المتحدة الشرق اوسطية؟ اما اسرائيل فيرى ولفوويتز يجب ان تكون جزءاً عضوياً من تلك للكونفدرالية التي تربط فيما بينها باحكام دستورية بالغة الدقة بحيث تحفظ لكل ولاية شخصيتها العرقية او المذهبية، حتى هنري

(١) لقد كانت اوربا من بين اكثر الاطراف الدولية معارضة لقرار تعيين بول جاكوب (ياكوف) ولفوويتز رئيساً جديداً للبنك الدولي، حيث موافقه اليمينية المتطرفة وانعكاساتها السلبية على المؤسسة المالية الدولية، حيث انه كان من اخطر منظري العنف الامريكيين، والحرب على افغانستان والعراق، حيث حرص ادارة بوش الابن بشن الحرب على العراق بعد ساعات قليلة من هجمات ١١/سبتمبر، حيث الاسس التي وضعها للحرب الوقائية و"مكافحة الارهاب" من خلال اسقاط الانظمة "المارقة" ومحاصرتها.

كينسجر قد اعلن صراحة (لماذا لا تكون اورشليم عاصمة الشرق الاوسط)<sup>(٣٠)</sup>. وتأكيداً لهذه، الطروحات الغربية، واستمرار لهذا النهج والمخطط المرسوم، فقد صرح وزير الدفاع الاسرائيلي شاول موفاز ((بانه لا يوجد الا ان عالم عربي، بل شرق اوسط))<sup>(٣١)</sup>.

ويبدو ان من بين الاهداف الاخرى التي سعت اليها واشنطن من عقد مؤتمر مدريد للدول المانحة لاعمار العراق (حيث اغلبية عقود الاعمار اعطيت الى الشركات الامريكية ذات رؤوس الاموال الاسرائيلية هو اعادة طرح من جديد مشروع الشرق اوسطية<sup>(٣٢)</sup>)، ولكن بصيغة جديدة، اهمها خروج العراق كمصدر للتهديد الاستراتيجي لاسرائيل، وان احتلال العراق، كما افصح كولن باول بانه سيتيح للولايات المتحدة فرصة "اعادة ترتيب المنطقة بما يخدم مصالحها"<sup>(٣٣)</sup>. والسؤال الذي يطرح ماهي صيغة مشروع الشرق الاوسط الكبير الذي طرحته ادارة الرئيس بوش الابن من جديد في منتصف عام ٢٠٠٤؟ وهل هو نسخة معدلة من مشروع والده الذي انطلق بعد حرب الخليج الثانية؟ وما هي ردود الافعال الاوروبية تجاه هذا المشروع والتي كانت بالاساس معارضة للمشروع في صيغته الاولى؟ وما هي، دود الافعال العربية، وبالتحديد النظام الاقليمي العربي المتمثل في جامعة الدول العربية؟

في الواقع، ان المشروع الشرق الاوسط الكبير لم يأت بشيء جديد مختلف عن الاهداف والمبادئ التي سطرها المشروع الاول، ما عدا التأكيد على عبارات الاصلاح السياسي والتنمية والديمقراطية على وفق المتغيرات الجديدة بعد الحادي عشر من سبتمبر وتداعيات الحرب الاستباقية في افغانستان والعراق. وقد اثار الرئيس الامريكي بوش الابن في فترة رئاسته الثانية اهداف سياسة (اعادة رسم المنطقة) في خطاب الاتحاد في ٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٤ في خطاب حالة الاتحاد مؤكداً بانه "طالما بقي الشرق الاوسط فريسة للاستبداد وفقدان الامل والعنف، فانه سيستمر في تفرغ الرجال والحركات التي تهدد امن الولايات المتحدة واصدقاؤها. ولذلك فان الولايات المتحدة ستبذل استراتيجية تحرير الشرق الاوسط. سنتحدى الاهداء بالاصلاح"<sup>(٣٤)</sup>.

وان المحور الثاني في هذه الاستراتيجية ينصب في تشييد مجتمعاً من المعرفة، حيث الاهداف المحددة: تخفيض الى النصف معدلات الامية من هنا حتى

(٣٠) صحيفة الاتحاد الاماراتية في ٣ تشرين الثاني ٢٠٠٢، ص ٢٧.

(٣١) صحيفة الاتحاد الاماراتية في ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٤.

(٣٢) نادر فرجاني، احتلال العراق بين ادعاءات التحرير ومطامع الاستعمار، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٩٣، ٢٠٠٣، ص ٥.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١١.

(٣٤) Les objectifs definis par George Bush, Le monde 5 mars 2004, p.4.

٢٠١٠، تأهيل ١٠٠ ألف معلم من هنا حتى ٢٠٠٨. اضافة الى الاجراءات الاخرى في "اعادة اصلاح التعليم في الشرق الاوسط"، و"تحرير القطاع الخاص" لمعالجة التأخر الاقتصادي من خلال رصد الاموال الكافية التي تقدر ما بين ٤٠٠-٥٠٠ مليون خلال خمس سنوات والمساعدة حوالي ١,٧ مليون شخص بينهم ٧٥٠ ألف امرأة للخروج من حالة الفقر. ويبدو ان البنك الذي اقترحه المشروع الاول الذي يجب ان يمول باموال اوروبية وخليجية قد تم اعادة طرح تشكيله من جديد: بنك للتنمية "للشرق الاوسط الكبير" على نموذج البنك الاوروبي لاعادة البناء والتنمية، يسمح بجمع الاموال من الدول الغنية في المنطقة ومجموعة الثماني. وبهدف معالجة الضعف في التجارة ما بين دول الاقليم (وخصوصاً ما بين اسرائيل وجيرانها)، يقترح المشروع الامريكي حلاً عديدة، من بينها انشاء "منطقة التجارة" حيث تتمتع المنتجات بأحقية الوصول الحر الى اسواق دول مجموعة الثمانية<sup>(٣٥)</sup>.

ومن قراءة ردود الافعال الدولية والاقليمية لهذا المشروع الامريكي، يتضح بأنها اكثر الردود انتقاداً جاءت من الضفة الاخرى من الاطلسي، حيث وصفه نيكول نيزوتي مديرة معهد الدراسات الاستراتيجية في الاتحاد الاوروبي بأنه جاء نتيجة للمشاكل التي تواجهها ادارة بوش ليس فقط في العراق، واكن ايضاً في علاقة الولايات المتحدة مع بقية العالم. "لقد كان من المفروض على جورج بوش ان يبحث عن افكار مقنعة من تلك التي أثارها في غزوة العراق. كان يجب عليه في سنته الانتخابية ان يصلح امريكا مع حلفاءها وكذلك مع التيارات المختلفة في اداراته.." <sup>(٣٦)</sup>. ويبدو ان ادارة بوش قد اعترفت لأول مرة بأن التخلف والفقر والتأخر الاقتصادي تمثل فني مجملها الجنور الاساسية للارهاب وعدم الاستقرار السياسي. وهي الافكار التي طالما دافعت عنها باستمرار الدول الاوروبية، والتي اكدت على اكثر من ذلك من ان أي التزام بالاستقرار والمساعدة في الاصلاح في هذه المنطقة يجب ان ينطلق من التسوية الجزرية للصراع بالفلسطيني-الاسرائيلي، ولن الشراكة المتوسطية التي انطلقت ايضاً من مسار برشلونة في عام ١٩٩٥ هدفها ارماء علاقات التعاون مع الضفة الاخرى من المتوسط، ومساعدتها في التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي خصصت له مليارات من اليورو في الوقت الذي لم تقدم فيه الولايات المتحدة وهي تطرح مشروعها سوى ١٥٠ مليون دولار<sup>(٣٧)</sup>. وقد عبر الاوروبيون عن قلقهم من ان

(٣٥) Ibid.,

(٣٦) Claive Trean, Laure Zecchini, "Les Etats-unis lancent leur projet d'en "Grand Moyen-orient", Lemonade, 5 mars 2004, p.4.

(٣٧) Ibid.

الولايات المتحدة يمكن ان تجعل من المؤسسات الاوروبية هدفها لتقدم رؤيتها الجيوبوليتيكية في منطقة الشرق الاوسط، وتطلب منا تمويل خططها التكتيكية<sup>(٢٨)</sup>. ومن يلاحظ عن المشروع الامريكي بأنه يتخذ من المبادئ والاهداف التي سطرت في الشراكة المتوسطية وسيلة للتأكيد مرة اخرى على العلاقة مع دول المنطقة ولكن تحت العباءة الامريكية في ارساء الاصلاح السياسي، الذي كان من المفروض ان ينطلق من داخل دول المنطقة، على حد تعبير خافير سولانا منسق السياسة الخارجية والامنية الاوروبية.

وقد كان رد الفعل العربي مقتصرأ في حدة انتقاده للمشروع الامريكي على وسائل الاعلام والايواسط الاكاديمية، والاحزاب السياسية في الوقت الذي لانث فيه الانظمة بالتصريحات، على الرغم من ان الجماهير العربية توافقة الى التغيير والاصلاح السياسي وديمقراطية للسلطة اكثر من الولايات المتحدة، الا ان طرح المشروع من قوة كانت الى الامس القريب، هي التي دعمت ورعت هذه الانظمة وعززت من سلطاتها الدكتاتورية والاستبدادية، ومدتها بكل وسائل القهر والتعذيب ضد شعوبها، فكيف بها الان تتقلب بين ليلة وضحاها لتطرح نفسها "رسول للديمقراطية والقيم العالمية لحقوق الانسان". واذا كانت بعض الاوساط الرسمية قد اعلنت عن عدم موافقتها على ما جاء في اهداف هذا المشروع فان الدكتور محمد سيد احمد في مركز الدراسات السياسية في الاهرام، قد اعلن بان تأييد مبادرة بوش يكشف عن انتماء سياسي "بالنسبة للانظمة العربية، حيث صرح وزير الخارجية المصري السابق احمد ماهر بأنه "لا ننتظر التوجيهات من أي شخص للقيام بالاصلاحات". وقد اعلن الامين العام لجامعة الدول العربية بان تجاهل الملفات الساخنة مثل فلسطين والعراق تؤثر على الاستقرار في المنطقة. وفي بيان مشترك مصري-سعودي، اعلن على عدم موافقتهم على نموذج خاص للاصلاح يفرض من الخارج على الدول العربية والاسلامية، مشدداً على ضرورة ايجاد الطول العادلة للقضايا العربية والامة الاسلامية، وبشكل خاص للقضية الفلسطينية والعراقية<sup>(٢٩)</sup>.

وبعد الحرب على نفط العراق، وبقيّة نفوط المنطقة، ليس هناك ممن عوائق مالية تحول دون تنفيذ الادارة الامريكية لتنفيذ مشروع الشرق الاوسط طالما ان هناك من يمول هذا المشروع (وهو العراق)، تحت غطاء اعادة اعماره، ومن الصندوق العراقي الذي وعدت بعض الدول بالمساهمة فيه وهي نفسها الدول التي سبق وان رفضت تمويل "الشرق اوسطية" عندما طرحت في مطلع عقد التسعينات. وسيتم جمع

(٢٨) Ibid.

(٢٩) Sophie Shihab, "Les dirigeants arabes recusent les" recettes imposées de l'extérieur", le monde, 5 mars, p.4.

اموال هذا الصندوق من خلال (تعهدات) على شكل مساعدات وقروض. كما ان العراق اضحى الباب المؤدية الى تغيير حاسم واعمق في خارطة المنطقة وتوزيع جديد لثرواتها البترولية وتركيباتها الاجتماعية، ومن خلاله سيتم رسم خارطة المبادرات النفطية الامريكية المستقبلية، حيث ما يأخذ في الحسبان هو ديمومة المصالح الاستراتيجية الحيوية لامريكا، وتأمينها من أي خطر محتمل في المنطقة، يستدعي اعادة رسم خريطة كيانية جديدة للعراق لا تقوم فيه دولة مركزية قوية، وتفصيل تلك الخريطة على مقياس اهلي عسبوي يمنع قيام نظام سياسي قوي على مقربة من آبار النفط واسرائيل<sup>(٤٠)</sup>.

(٤٠) عبد الاله بلقزيز، المشروع الممتنع: في الغزوة الكولونيالية للعراق، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٠٠٣/٥، ص ٥٢-٥٣.

## الشيخ بشارة الخوري من الرئاسة الى الاعتقال

"دراسة في الأزمة اللبنانية-الفرنسية عام ١٩٤٣"

الأستاذ المساعد الدكتور

عبد الأمير محسن جبار الأسدي

كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

### المقدمة

نالت دراسة الشخصيات السياسية في تاريخ الوطن العربي المعاصر باهتمام عدد من الباحثين، واضحى هذا النمط من المنهج التاريخي اتجاهاً يحظى بالمتابعة، وينال قسطه من البحث والتمحيص، لما له من أهمية في كتابة وتوثيق المراحل المختلفة من التطورات السياسية من تاريخ الوطن العربي المعاصر، ولأنك إن هذا من الدراسات يعد من أصعب الأنواع، بسبب غلبة الجانب الذاتي على الموضوعي منه في أحداثها، لذا يجب توخي الحذر ومسايرة الأمانة العلمية خشية من الانزلاق في طريق التحيز والمحاباة.

وبالرغم من أن العديد من الاقطار العربية قطعت شوطاً في هذا النوع من الدراسة، فإن لبنان لازال في بدايته، وهذا ما دفعنا الى تسليط الضوء على الدور السياسي الذي مارسه رجل بارز من رجال لبنان في مرحلة تعد من أهم وادق واعقد المراحل التاريخية في حياة لبنان السياسية وهو الشيخ بشارة الخوري.

لقد اختط الشيخ بشارة الخوري لنفسه نهجاً ادارياً وسياسياً مستقلاً وغير تابعة للسلطات الفرنسية، إذ أنه في الوقت الذي يرفض سياسة الانتداب للفرنسي، إلا أنه قد تعامل معها على أساس أنها امر واقع لا بد منه، ولذا رأى ضرورة أن يتعامل الوطنيون اللبنانيين مع سياسة الانتداب بمواقف استقلالية وعقلانية لتخفيف وطأة الانتداب، والاستفادة من نولة قوية مثل فرنسا لها تقاليداً الادارية ليتعلم منها اصول الحكم، من أجل أن يصبح اللبنانيون قادرين على تحمل المسؤولية، وبذا فهو رفض المقاومة قبل الاعداد لها جيداً، وقد تجسدت افكاره الوطنية عندما تولى رئاسة الجمهورية عام ١٩٤٣ إذ اختط طريقاً مستقلاً لحكمه منع تغلغل الموظفين والمستشارين الفرنسيين في دوائر الدولة وكان من أكثر المسيحيين المارونيين نشاطاً في مقاومة الاتجاهات

الطائفية في لبنان، إذ اكّد على ضرورة تحالفه مع المسلمين والتعاون معهم في اطار كيان لبناني مستقل، مقاوماً بذلك السياسة الفرنسية الطائفية في التدخل المباشر بتعيين الحفائب الوزارية بل وحتى رئاسة الجمهورية، لاثبت ان المواقف الوطنية للخوري التي هدفت الى جعل لبنان ذا سيادة واستقلال عرضته الى الاعتقال مع اعضاء الحكومة، فنشبت بذلك أزمة سياسية كبرى في المنطقة، ولعلها كانت سابقة ليس في تاريخ المنطقة فحسب، بل وربما في العالم، ان يتعرض رئيس دولة منتخب شرعياً الى الاعتقال مع اعضاء حكومته من قبل السلطات الفرنسية، هذه السياسة الوطنية دفعتها لاختيار الشيخ بشارة الخوري والازمة اللبنانية-الفرنسية عام ١٩٤٣ موضوعاً للبحث الذي درسناه على وفق الخطة التالية:

### المبحث الاول

#### الانتخاب الشيخ بشارة الخوري رئيساً للجمهورية عام ١٩٤٣

اخذت نتائج الحرب العالمية الثانية منذ عام ١٩٤٢ تتحول لمصلحة الحلفاء، الامر الذي حمل حكومة فرنسا الحرة على التفكير بإعادة الحياة الدستورية الى لبنان وسوريا بدون ان يكون لذلك تأثير على مجرى الحرب، فقد اعلن الجنرال (ديغول)<sup>(١)</sup> في ٢٤ كانون الثاني قراراً بإعادة الحياة الدستورية الى لبنان وسوريا، مكلفاً الجنرال (كاترو)<sup>(٢)</sup> اتخاذ التدابير التي يراها مناسبة لتنفيذ هذا القرار<sup>(٣)</sup>. وفي التاسع

(١) شارل ديغول (١٨٩٠-١٩٧٠)، ولد في ٢٣ تشرين الثاني ١٨٩٠، وهو احد خريجي مدرسة سان سير العسكرية لعام ١٩١١، وبعد ذلك اصبح استاذاً في المدرسة المذكورة دخل كلية الحرب العليا عام ١٩٢٤، وشارك ديغول في الحرب العالمية الاولى ووقع امير حرب، له اراء ومؤلفات حول بناء النظام العسكري منها (تمل السيف عام ١٩٣٢) و(من اجل جيش متمرس عام ١٩٣٤)، اصبح ديغول وكيل وزير الدولة للدفاع الوطني في حكومة بول رنيو، وبعد هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية امام المانيا، هرب الى بريطانيا وترأس اللجنة القومية الفرنسية المؤقتة، واصبح القائد العام لقوات فرنسا الحرة، وزعيماً لحكومة فرنسا الحرة، ثم رئيساً للجنة الفرنسية للتحرير الوطني، عاد الى باريس في ٢٥ آب ١٩٤٤، واصبح رئيساً للجمهورية الخاصة ١٩٥٩-١٩٦٩ للتفاصيل ينظر، الجنرال ديغول، مذكرات حرب النفر ١٩٤٠-١٩٤٢، ترجمة عبد اللطيف شرارة، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٠٩.

The Mc crow- Hill Encyclopedia of World Biography, Vol3, London 1987, PP.324-325.

(٢) جورج كاترو، ولد عام ١٨٧٩، تخرج من كلية سان سير العسكرية، اشترك في الحرب العالمية الاولى واسر من قبل الالمان، تقلد عدة مناصب عسكرية وادارية، وعين حاكماً لدمشق تحت رئاسة الجنرال فيجان، وتولى منصب حاكم عام للهند الصينية الفرنسية ١٩٣٩، رفض التعاون مع حكومة فيشي وانظم الى حركة فرنسا الحرة، عينه الجنرال ديغول عام ١٩٤٠ ممثلاً لحكومته في الشرق



من شباط ١٩٤٣ وصل الجنرال كاترو الى بيروت وبدأ مشاوراته مع المسؤولين اللبنانيين من اجل اعادة العمل بالدمستور المعطل بسبب اعلان الحرب العالمية الثانية، وتعيين حكومة انتقالية مهمتها الاعداد للانتخابات العامة<sup>(٤)</sup>. فتم تعيين الدكتور ايوب ثابت في ١٨ آذار ١٩٤٣ رئيسا للدولة والحكومة<sup>(٥)</sup>، ولاجل ادارة البلاد السى حين اجراء الانتخابات النيابية وانتخاب رئيس جديد في ٢٩ اب من العام نفسه<sup>(٦)</sup>.

وهكذا اخذت انظار اللبنانيون تتركز منذ آذار ١٩٤٣ حول شيء مهم هو الانتخابات النيابية، والتي ينتظر منها حل الكثير من المشاكل العالقة، بمرکز فرنسا في لبنان وعلاقتها بالسياسة البريطانية والدول الكبرى، فضلا عن اعتبارها امرا لايد منه من اجل تشكيل حكومة دستورية تمثل الشعب، وكان من اكثر الاحزاب والكتل اللبنانية خوفا للانتخابات هما الكتلة الدستورية بزعامه بشارة الخوري<sup>(٧)</sup>، والكتلة الوطنية<sup>(٨)</sup> بزعامه اميل آدة<sup>(٩)</sup>.

الايوست، ومفوظا ساميا في سوريا ولبنان، للمزيد ينظر احمد عطية الله، القاموس السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨، ص٩٤٩-٩٥٠.

Whos Who, 1944, P.519 General Catrouf, Dahs La Bataille de Mediterranean 1940-1944, Julliard Sequana, Paris 1943, PP.137-139.

(٣) باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣، لماذا كان وهل سقط، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٨، ص٩٣.

(٤) باسم الجسر، الاستقلال اللبناني والميثاق الوطني، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد الاول، دار السياسة للصحافة، بيروت، ١٩٧٨، ص٥٣.

(٥) محمد رجالي ريان، الازمة السياسية اللبنانية عام ١٩٤٣، في ضوء الوثائق البريطانية، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٤٠، بغداد، ١٩٨٩، ص٧٥.

(٦) U.S.S.D.L.I And F-A- 1941-1944, Lebanon Telegram From The American Legation, Beirut, Lebanon, August, 2, 1934, No:243, To The Secretry of State, Washington, Film,3, April, P.377.

(٧) ولد بشارة خليل بشارة الخوري في ١٠ اب ١٨٩٠ في اسرة لبنانية على الديانة المسيحية المارونية، وقد نشأ في اسرة ارسنقراطية امتهنت العمل الاداري ومارست النشاط السياسي في العهد العثماني، اذ تولى جده الشيخ بشارة منصب قاضي للنصارى في قنصلية الدروز، اما والده خليل بشارة الخوري فقد تولى منصب رئيسا للقلم العربي في متصرفية جبل لبنان، اما بشارة الخوري فقد تولى اولى علومه في مدرسة راهبات المحبة في بيروت تعلم فيها الدروس باللغتين العربية والفرنسية، وفي عام ١٩٠٩ درس الحقوق في باريس ونال شهادة منها في حزيران ١٩١٢ وياشر في مهامه الادارية عام ١٩١٩، عندما عين عضوا في المحكمة الاستئنائية للنظر في قضايا متصرفية جبل لبنان، ومنذ البداية اخطت الشيخ بشارة الخوري لنفسه نهجا اداريا وسياسيا مستقلا وغير تابع، عندما عارض فكرة الادغام القضائي أي معارضته العلنية ادخال قضاة فرنسيين في المحاكم اللبنانية، وقد ترك موقفه هذا اثرا ايجابيا في نفوس الوطنيين اللبنانيين، فارتفعت مكانته فيهم، تولى الخوري رئاسة الوزراء لثلاث مرات قبل انتخابه رئيسا للجمهورية عام ١٩٤٣، ولولاية ثانية استمرت حتى استقالته عام ١٩٥٢، للتفاصيل ينظر، بشارة خليل الخوري، حقائق لبنانية، مذكرات، ج١-٣، بيروت، ١٩٦٠.

وعلى الرغم من اعلان الجنرال كاترو بأن "السلطات الفرنسية على اتم الحياد في الانتخابات"<sup>(١٠)</sup>، الا ان هذا القول يناقض الواقع تماما، وذلك لان الانتخابات تعد مؤشرا هاما من مؤشرات الصراع الفرنسي- البريطاني، ومن مؤشرات الصراع بين دعاة العزلة (الكتلة الوطنية) ودعاة التعاون والاتحاد العربي (الكتلة الدستورية)<sup>(١١)</sup>.  
اذ كانت فرنسا تدعم الكتلة الوطنية برئاسة اميل آده لانه ذو ميول فرنسية وهو القائل بأن "فرنسا في سوريا ولبنان خالدة الى الابد، لا يتغير معها شيء ولا يتبدل معها شيء"<sup>(١٢)</sup>، بينما بريطانيا اخذت تدعم الكتلة للدستورية برئاسة بشارة الخوري والسبب في ذلك هي منافسة الفرنسيين في المنطقة، واخضاعهم من خلال تولي السلطة في لبنان عناصر معادية للفرنسيين<sup>(١٣)</sup>.

نالت قضية الانتخابات اهتمامات البريطانيين، لادراكهم ان حالة الهدوء والاستقرار في لبنان سيؤدي الى الاتجاه الكامل لكسب الحرب، وهذا الاهتمام جعلها تضغط على الرئيس ايوب ثابت لاجراء الانتخابات المبكرة، الامر الذي دفع بالاخير الى اعلان معارضته لترشيح بشارة الخوري، لاعتقاده حسب ما ذكرت المفوضية البريطانية في بيروت بأن اتفاقا سريا قد تم بين بشارة الخوري والسلطات البريطانية على اساس ان الخوري اذا أصبح رئيسا للجمهورية، فإنه سيعمل الى ضم لبنان في اتحاد فيدرالي مع دولة عربية اسلامية يشجعه البريطانيون<sup>(١٤)</sup>. وهذا يعني ان السلطان

(٨) امس هذه الكتلة النيابية اميل آده، وقد تطورت هذه الكتلة الى حزب احتفظت بالطابع الشخصي المرتبط باميل آده، والكتلة الوطنية جريدة ناطقة باسمه هي جريدة الجمهورية، وقد تطورت الكتلة بعد ذلك واصبحت تعرف باسم حزب الكتلة الوطنية، الذي اعلن مبادئه بأنه "حزب ديمقراطي جمهوري يقوم على شرعية حقوق الانسان ويعمل على تعزيز كيان لبنان والمحافظة على سيادته، وان جميع اللبنانيين امة واحدة". ويرى الحزب بوجوب اجراء انتخابات حرة نزيهة باعتبار الشعب مصدر للسلطات، للتفاصيل ينظر فضل شرور، الاحزاب والتظيمات والقوى السياسية في لبنان، ١٩٣٠-١٩٨٠، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨١، ص ٤٠١.

(٩) اميل آده: ولد عام ١٨٨٤ في دمشق، درس اليسوعية في بيروت، كما درس الحقوق في باريس، ونال الشهادة فيها، وبعد عودته من باريس عين محاميا للتقضية الفرنسية وكان هذا المنصب له شأن في اتجاه اميل آده نحو العمل في السياسة والوصول الى مراكز حساسة، انتخب رئيسا للجمهورية اللبنانية الثالثة عام ١٩٣٦، وفي عهده وضعت الاتفاقية اللبنانية-الفرنسية، للتفاصيل ينظر الياس الديري، من يصنع الرئيس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢، ص ٩١.

(١٠) نقلا عن بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج ١، ص ٢٥٥.

(١١) حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٤٣، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٥، ص ٢٢٤.

(١٢) نقلا عن المصدر نفسه، ص ٢٢٥.

(١٣) محمد رجائي ريان، المصدر السابق، ص ٧٧.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٧٨.

البريطانية تدعم الخوري في الانتخابات وتشجعه باتجاه ضم لبنان الى اتحاد فيدرالي عربي-اسلامي.

وهكذا اخذت تقارير المفوضية البريطانية في بيروت تشير الى الانطباع بأن الحكومة المؤقتة برئاسة ايوب ثابت مستفترح تأجيل الانتخابات لمدة ستة اشهر من موعدها، وزيادة عدد النواب، والتقليل من مناطق الانتخابات.

واشارت التقارير البريطانية الى تدخل اعضاء الحكومة والمستشارين الفرنسيين في الانتخابات اذ اخذوا في طرابلس رصيда يتدخلون في محاولات تشكيل قوائم انتخابية مؤيدة للفرنسيين، وكانت جهودهم نتجة ضد المرشحين الاعضاء في الكتلة الدستورية التي يتزعمها بشارة الخوري لكبح نشاط الخوري وجماعته<sup>(١٥)</sup>.

وبالفعل فقد اصدر رئيس الحكومة ايوب ثابت مرسومين تشريعيين في ١٧ حزيران ١٩٤٣، جاء الاول برقم (٤٩) حدد فيه زيادة مقاعد النواب الى (٥٤) نائباً منها (٣٢) مقعداً للمسيحيين و(٢٢) مقعداً للمسلمين<sup>(١٦)</sup>. ونص البند الرابع من المرسوم على ضرورة ادراج المهاجرين في السجلات الرسمية وهم من المغتربين اللبنانيين الموجودين في بلاد المهجر واكثريةهم مسيحية مارونية، بينما حمل المرسوم التشريعي الثاني رقم (٥٠) والذي تناول توزيع زيادة عدد النواب على المناطق الانتخابية<sup>(١٧)</sup>.

كان من الطبيعي ان يثير المرسومان (٤٩ و ٥٠) المسلمين في لبنان واحداثاً احتجاجاً صارخاً، لان من اهدافهما صيغ لبنان بصيغة طائفية عن طريق تكريس التفوق العددي المسيحي، وعلى اثر ذلك عقد في ٢١ حزيران من العام نفسه مؤتمر عرف بمؤتمر (الطوائف الاسلامية) في نادي الشبيبة الاسلامية في بيروت، وطالب بتعديل ماجاء في المرسومين، والعمل على اجراء احصاء عام للسكان في لبنان، والا قاطع المسلمون الانتخابات، واعلنوا احتجاجهم على حكومة ايوب ثابت على اساس انها تجاوزت الصلاحيات التي تسلمتها من الجنرال كاترو عند تعيينها، وتصرفت بطريقة غير شرعية، وطالبوا بعزل الحكومة<sup>(١٨)</sup>.

(١٥) نقلاً عن محمد رجائي ريان، المصدر السابق، ص ٧٩.

(١٦) وزعت على النحو التالي: ١٨ للموازنة، ٦ للروم الارثوذكس، ٣ للروم الكاثوليك، ٣ للارمن الارثوذكس، ٢ للاقليات المسيحية، و ١٠ للسنة، ٩ للشبيبة، ٣ للدرز، ينظر: مسعود طاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، معهد الاتمام العربي، بيروت، ١٩٧٧، ص ١٣٧.

(١٧) كمال سليمان الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٧، ص ٢٣٤.

(١٨) حول موقف الاسلاميين من المرسومين ينظر: باسم الجسر، الصراعات اللبنانية والوفاق ١٩٢٠-١٩٧٥، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٣٦-٢٣٧؛ باسم الجسر ميثاق ١٩٤٣، ص ٩٤؛ محمد جميل بهيم، النزعات السياسية بلبنان، عهد الانتداب والاحتلال ١٩١٨-١٩٤٥، طبع في دار الاحد، بيروت ١٩٧٧، ص ٦٣-٦٤.

كما اعلن المسلمون احتجاجهم ضد الجنرال كاترو الذي لم يستقبل أي زعيم مسلم، بينما اجتمع مع بشارة الخوري زعيم الكتلة الدستورية واميل أده زعيم الكتلة الوطنية، ومع الرئيس ايوب ثابت<sup>(١٩)</sup>. وقد اشار بشارة الخوري الى الاجتماع بقوله "لقد دام ساعة ونصف ساعة عرضنا فيه جميع وجهات النظر فيما يتعلق بالوضع اللبناني، وكنت صريحا جدا في عزمنا للجازم على الاستمرار بالمطالبة بالحياة الدستورية والاستقلال"<sup>(٢٠)</sup>.

ونظرا لاصرار ايوب ثابت على موقفه امام الانتخابات من جهة، ونتيجة لتردي الاوضاع السياسية، من جهة أخرى، قرر الفرنسيون اقالة الرئيس ايوب ثابت في ٢٠ تموز ١٩٤٣، وفي اليوم التالي اصدروا قرارا بتعيين النائب الارثوذكسي بطرو طراد<sup>(٢١)</sup> رئيسا للدولة، ولم يعين احد من الدستوريين من جماعة بشارة الخوري بسبب مطالبتهم بالاستقلال التام، ويؤكد الخوري ذلك بمذكراته بالقول "حل كاترو في مصيفه في بحدون، واخذ يستشير ذوي الرأي والعلاقة في مدولة الحالة، وقر رأيه على ابعاد ايوب ثابت عن الحكم، الا انه لم يفكر بقيقة واحدة بأسناد هذا الحكم الى دستوري، بسبب نزعة الدستوريين الى الاستقلال التام"<sup>(٢٢)</sup>.

وكان بشارة الخوري وجماعته من الكتلة الدستورية يريدون اعتبار الاستقلال الذي اعلنه الحلفاء يوم دخولهم البلاد استقلالا صحيحا كاملا، فارتدوا اجراء الانتخابات النيابية على هذا الاساس<sup>(٢٣)</sup>.

بينما كانت المندوبية الفرنسية قد تدخلت في هذه الانتخابات بشدة، وذلك لضمان فوز اكثر انصارها تمهيدا للقبول بعقد معاهدة مع فرنسا تعطيها مركزا ممتازا ومواقع استراتيجية في لبنان، وبذا اخذت فرنسا تدعم الكتلة الوطنية برئاسة اميل أده<sup>(٢٤)</sup> الذي اخذ هو الآخر يناور في طرح بعض الافكار العربية والوحدوية لايهام النواب الوجوديين واستمالتهم لانتخابه<sup>(٢٥)</sup>.

(١٩) محمد رجائي ريان، المصدر السابق، ص ٨٠.

(٢٠) بشارة خليل الخوري، حقائق لبنانية، ج ١، ص ٢٤٦.

(٢١) بطرو طراد (١٨٧٦-١٩٤٧) ولد في بيروت، درس في كلية القديس يوسف اليسوعية، وتخرج من جامعة باريس للحقوق عام ١٩٠٠، عين عام ١٩٣٧ نائبا عن الارثوذكس في المجلس النيابي، وفي ٢١ تموز ١٩٤٣ رئيسا للحكومة ينظر، اسكندر الرياشي، رؤساء لبنان كما عرفتهم، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٦١، ص ٨٩.

(٢٢) بشارة خليل الخوري، حقائق لبنانية، ج ١، ص ٢٥٢.

(٢٣) اسكندر الرياشي، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٢٤) Catrout, OP.Cit, P.295.

(٢٥) حسان حلاق، المصدر السابق، ص ٢٢٥.

وفي المقابل كانت الحكومة البريطانية قد عينت الجنرال لوار سبيرز (Edward Spears) <sup>(٢٦)</sup> مفوضا لها في لبنان <sup>(٢٧)</sup>. وكلفته بالتنسيق مع مصطفى النحاس <sup>(٢٨)</sup>. رئيس وزراء مصر للتوفيق بين وجهات النظر واقتناع المسلمين والمسيحيين من أجل تكوين جبهة قوية لمساندة بشارة الخوري <sup>(٢٩)</sup>.

ومما يؤكد ذلك سامي الصلح في مذكراته بقوله: "وعندما فزت في الانتخابات طلب مني الجنرال سبيرز تأييد بشارة الخوري للرئاسة وقال: "إن الهدف من ذلك هو تحقيق سياسة الوحدة العربية، وأن بشارة الخوري يسير في ركابها ومصطفى النحاس موافق على ذلك، فأجبت أنه يربط رئاسة لبنان بالحزبية تحت ستار سياسة الوحدة العربية، عمل في غير محله في الظروف الراهنة، التي أوافق كما تعلمون على السياسة العربية ولا أرى علة في بشارة الخوري..." <sup>(٣٠)</sup>.

وهكذا نشطت بريطانيا ومصر وشجعتا سوريا أيضا بدعم بشارة الخوري، وكان للرئيس السوري شكري القوتلي ورئيس وزرائه سعد الله الجابري (نسيب رياض الصلح) ووزير خارجيته جميل مردم قد اتفقا على إرسال وفد خاص إلى بيروت لتسوية الأمور، وقد ترأس الوفد لطفي الحفار وعفيف الصلح، فأجتمعا برياض الصلح <sup>(٣١)</sup>، وعبد الحميد كرامي وصائب سلام وسامي الصلح، وبعد مشاورات مكثفة

<sup>(٣٢)</sup> إدوار سبيرز، ولد في ٧ آب ١٨٨٦، التحق بمدرسة (Kildare) العسكرية عام ١٩٠٣، وأخذ يتدرج في الرتب العسكرية، ترأس البعثة العسكرية البريطانية في باريس من (١٩١٧-١٩٢٠) وتقاعد في عام ١٩٢٠ ثم شغل منصب ضابط بريطاني لدى رئيس الوزراء الفرنسي ووزير الدفاع في حزيران ١٩٤٠ وترأس البعثة البريطانية لدى الجنرال ديغول في تموز ١٩٤٠، وترأس بعثة (Spears) إلى كل من سوريا ولبنان في تموز ١٩٤٠، للتفاصيل انظر،

Whos Who, 1944, P.2584.

<sup>(٣٣)</sup> Albert Hourani, Syria and Lebanon, Apolitical Essay, London, 1946, P.252.

<sup>(٣٤)</sup> مصطفى النحاس (١٨٧٩-١٩٦٥) شيعي مصري وزعيم حزب الوفد، ولد في ١٨٧٩، واستقل قاضيا، اشترك في الحركة الوطنية وانظم للوفد عند انشائه برئاسة سعد زغلول انتخب سكرتيرا به وترأس الحزب بعد وفاة زغلول في ٢٣ آب ١٩٢٧، عين وزيرا للمواصلات في اول وزارة وفدية، وبعد استقلالها عاد إلى المحاماة وكيلا لمجلس النواب، وترأس الحكومة المصرية في ١٩٢٨ و ١٩٣٠ و ١٩٣٦ و وقع معاهدة ٢٨ آب ١٩٣٦، مع بريطانيا، قلد المعارضة ضد القصريين ١٩٣٦ و ١٩٥٠ واعتزل الحياة السياسية عام ١٩٥٢، انظر، عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، مطبعة المتوسط، بيروت، ١٩٧٤، ص ٣-٤/٥.

<sup>(٣٥)</sup> مسعود مظهر، المصدر السابق، ص ١٣٩.

<sup>(٣٦)</sup> سامي الصلح، احكم الى التاريخ، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص ٦١.

<sup>(٣٧)</sup> رياض الصلح (١٨٩٣-١٩٥١) هو رياض بن رضا بن احمد باشا الصلح ولد في صيدا عام ١٨٩٣، ولقبت أسرته بالصلح نسبة الى جدهم الشيخ الصلح، تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في الكلية العثمانية، ثم اتماها في مدرسة عين طور للاباء العزازيين في بيروت، يدم حياته السياسية

انتهى الاجتماع على تكوين جبهة قوية لمساندة الشيخ بشارة الخوري، وكان رياض الصلح على رأس هذه الجبهة<sup>(٣٢)</sup>.

والواقع ان رياض الصلح كان لقرب في تلك المرحلة الانتخابية الى اميل اده منه الى بشارة الخوري، وان دخول رياض الصلح لائحة احمد الاسعد في الجنوب كان بناء على طلب اميل اده، وأنه لا يجد فرقا كبيرا في الموقف السياسي بين بشارة الخوري واميل اده<sup>(٣٣)</sup>. وهذا ما اكده حبيب ابو شهلا عندما كلفه بشارة الخوري ان يسعى في كسب رياض الصلح الى جانبه، فلما بان وجوده الى جانبه ضمانا كبرى لفوزه، فأتصل ابو شهلا برياض الصلح ولكنه وجده متمسكا باميل اده ولن يتحول عنه لانه رشح نفسه عن الجنوب بالاتفاق معه، وعندما وضع ابي شهلا لرياض الصلح بان اميل اده يكره العرب والعروبة اجاب الصلح "ان المسألة متوقفة في الدرجة الاولى على استقلال البلاد وجلاء الفرنسيين، فلذا تم هذا وسيتم بأذن الله فان اميل اده لن يكون اقل ايمانا بالعروبة والتعاون العربي من بشارة الخوري"<sup>(٣٤)</sup>. ويشير باسم الجسر الى ذلك بقوله: "ان قبول الصلح انتخاب الخوري جاء نتيجة لاهتزاز الزعماء السوريين له بذلك"<sup>(٣٥)</sup>.

واخيرا تحالف رياض الصلح مع بشارة الخوري، فشهدت الانتخابات صراعا بين النفوذ الفرنسي مع الشعور الوطني، وتآلفت جبهتان الاولى كانت تمثل امانى البلاد في الاستقلال التام وقد تزعمتها العناصر القومية وعلى رأسها رياض الصلح مضافا اليها الكتلة الدستورية وعلى رأسها بشارة الخوري، والثانية كانت تمثل الانعزالية التقليدية الموالية لفرنسا وقد تزعمتها الكتلة الوطنية وعلى رأسها اميل اده يعاونها الامين العام الفرنسي ويمولها البنك السوري اللبناني<sup>(٣٦)</sup>.

باشتراكه في الاحزاب العربية المتحالفة للاتحاديين ومنها حزبي الحر والائتلاف، نفى مع والده عام ١٩١٧ الى الاناضول بسبب معادتهما للاتحاديين، ترأس الوزارة الاولى في عهد الرئيس بشارة الخوري عام ١٩٤٣، ثم ترأس الوزارة ست مرات، واعتزل اثناء زيارته للاردن في عام ١٩٥١، للتفاصيل ينظر سعد محسن عبد العبيدي، رياض الصلح ودوره السياسي حتى عام ١٩٥١، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، ٢٠٠١.

<sup>(٣٢)</sup> المصدر نفسه، ص ٤٧.

<sup>(٣٣)</sup> نجلاء عطية، التصور التاريخي للارملة اللبنانية، مجلة افاق عربية، العدد ٢٧، بغداد، ١٩٨٤، ص ٦٩.

<sup>(٣٤)</sup> سعد محسن عبد العبيدي، المصدر السابق، ص ٤٦٥-٤٧٠.

<sup>(٣٥)</sup> نقلا عن باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣، ص ١٠٨.

<sup>(٣٦)</sup> U.S.S.D.L.I, and F.A. 1941-1944, Lebanon, Telegram From The American Legation, Beirut, Lebanon, August, 1943, No,255, To The Secretary of State, Wash, Film 3, P.394.

وفي صباح الحادي والعشرين من ايلول ١٩٤٣ عقد مجلس النواب اللبناني جلسته الاولى، بحضور (٤٧) نائباً من اصل (٥٥) (٣٧). وانتخب صبري حمادة رئيساً للمجلس (٣٨). ووفقاً للمادة (٧٥) من الدستور والتي تنص على "ان المجلس المنتخب للانتخاب رئيس الجمهورية يعد هيئة انتخابية لاهيئة تشريعية"، ويترتب عليه الشروع حالاً في انتخاب رئيس الدولة من دون مناقشة أي عمل آخر (٣٩). باشر مجلس النواب بانتخاب رئيس الجمهورية، وبعد فرز الاصوات كانت النتيجة فوز بشارة الخوري بأكثرية (٤٤) صوتاً بعد ان وجدت ثلاثة ورقات بيضاء، فأعلن من المجلس عن انتخابه رئيساً للجمهورية اللبنانية (٤٠).

وفي الجلسة الثانية لمجلس النواب المنعقدة في ٢٣ ايلول من العام نفسه اذى الخوري اليمين الدستوري، وذلك عملاً بالمادة (٥٠) من الدستور اللبناني، والتي تنص: "عندما يقبض رئيس الجمهورية على ازمة الحكم عليه ان يحلف امام البرلمان يمين الخلاص للامة والدستور بالنص الاتي: احلف بالله العظيم ان احترم دستور الامة

(٣٧) ان نسبة تمثيل المسيحيين في المجلس النيابي اللبناني زائدة على نسبة تمثيل المسلمين بالسندس (٥/٦) جاء ذلك بناء على اقتراح جان هيلو (Hellew) سفير فرنسا ومندوبها العام في الشرق قدم للزعامة المسلمين والمسيحيين وخضلت الموافقة التوافقية حوله وصدر في ٣١ تموز ١٩٤٣ على شكل مرسوم برقم (٣١٢) نصت المادة الاولى منه على ان مجلس النواب يتألف من (٥٥) عضواً ووجدت المادة الثانية من توزيع المقاعد بنسبة (٢٥) للطوائف الاسلامية (٣٠) للطوائف المسيحية، للتفاصيل ينظر:

U.S.S.D.L.I, and F.A. 1941-1944, Lebanon, Telgram From The American Legation, Beirut, Lebanon, August, 1943, No,243, To The Secretary of State, Wash, Film 3, P.377.

وتغيب عن الجلسة كل من اميا ادة، جورج عقل، اسعد اليستاتي، جميل تلحوق، كمال حنبلط، عبد القوي الخطيب، احمد الصيني، ينظر بشارة الخوري، حقائق لبنان، ج٢، ١٩٦٠، ص ١٠.

(٣٨) انتخب صبري حمادة بـ (٣٩) صوتاً من اصل (٤٧) صوتاً، وتعهد بكلمة له بعد فوزه برئاسة المجلس ان يكون لجميع النواب صانداً وميزاناً بين مختلف الاحزاب ومراعاة نصوص القوانين والانظمة والحرص على تطبيقها ينظر، محاضر مجلس النواب اللبناني ١٩٢٢-٢٠٠٠، الجامعة اللبنانية، كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية، مركز الابحاث والدراسات في المعلوماتية والقانونية، بيروت، ٢٠٠٠، محضر الجلسة الاولى لمجلس النواب اللبناني في ٢١ ايلول ١٩٤٣.

(٣٩) حول نصر الفقرة من الدستور اللبناني ينظر، د.ك.و، ٣١١/٥١١٣، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير المفوضية العراقية في بيروت، الى وزارة الخارجية اللبناني، و٥٤، ص ٩٤. (٤٠) د.ك.و، ٣١١/٢٦٤٨، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، الانتخابات في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، ش/٢٣٣/٨/٢٣٧/٨١ في ٢٢ ايلول ١٩٤٣، و٤٠، ص ٦٢، بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج٢، ص ١٥.

اللبنانية وقوانينها واحفظ استقلال الوطن اللبناني وسلامة اراضيه<sup>(٤١)</sup>. وبعدها خطب شاكرا التواب والشعب على ثقتهم واعلن انه "سيكون للجميع دون ان يتحيز لاحد"، مؤكدا حرص لبنان على الالفة والاتحاد وتحقيق للنظام والسلام والتوازن والوثام بين ابنائه، ومشيرا في خطابه الى علاقة لبنان بفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية بقوله: "ان الصداقة الحقيقية لا تتعارض ابدا وحق لبنان في الاستقلال، وازداد الرئيس اللبناني المنتخب الى علاقات لبنان بالاقطار العربية بقوله: "ان الوطن اللبناني الذي نضع حبه فوق كل شئ، والذي يجب ان يظل للبلدان العربية الشقيقة المحيط به جارا امينا واخا صادقا تربطه بها روابط تعاون يسوده الود والاخلاص، وان لبنان فور بان كان على مر العصور معقلا من معائل الحريات والثقافة الخالصة، ولكل لبناني ان يعتز به اليوم"<sup>(٤٢)</sup>.

ويضيف الشيخ الخوري في مذكراته مشاعره بعد اعلان نتيجة فوزه بقوله: "ومن الدقيقة الاولى تجلني امامي عظيم المسؤولية، ولم اشعر بنشوة الظفر، بقدر ما شعرت بالمتبعات الجسام الملقاة على عاتقي، شأن في جميع الظروف السارة"<sup>(٤٣)</sup>. وهكذا كان نبأ انتخاب الشيخ بشاره الخوري رئيس للجمهورية قابلة ترحاب كبير من معظم الرأي العام اللبناني، لادرأهم بان الرئيس المنتخب الخوري سيدشن سياسة وطنية مستقلة ومعتدلة بين جميع الاطراف اللبنانية، وقائمة على التحرير التدريجي من الهيمنة الفرنسية<sup>(٤٤)</sup>، لاشك ان وصول الشيخ بشاره الخوري لمنصب رئاسة الجمهورية يعكس ارادة اللبنانيين في الوصول الى الاستقلال، اذ ان وصوله قد اصاب الهيمنة الفرنسية بضربة عنيفة، وخيب ظنّها، وافشل تدخلات مفوضيتها الواضحة لمصلحة مرشحها اميل لاد.

(٤١) حول نص الفقرة من الدستور ينظر، د.كو، ٣١١/٥١١٣، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير المفوضية العراقية في بيروت، الى وزارة الخارجية، الدستور اللبناني، و٥٤، ص ٩٥.

(٤٢) حول نص خطاب الرئيس بشاره الخوري في مجلس النواب ينظر، د.كو، ٣١١/٢٦٤٨، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، الانتخابات في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي برقم ٢٣٣/٢٣٣/٨/٨١٩٨، بتاريخ ٢٣ ايلول ١٩٤٣، و٤٣، ص ٦٨.

(٤٣) بشاره الخوري، حقائق لبنانية، ج ٢، ص ١٦.

(٤٤) اشارت الوثائق العراقية الى ردود افعال الشعب اللبناني تجاه فوز الرئيس الخوري في تقارير، على سبيل المثال ينظر، د.كو، ٣١١/٢٦٤٩، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب المفوضية الى وزارة الخارجية، بتاريخ ٢٥ ايلول ١٩٤٣، و١٧، ص ٢٠-٢١.



## المبحث الثاني

### دوره في وضع الميثاق الوطني

بعد شهر ايلول من عام ١٩٤٣ في لبنان، شهرا متميزا في حياته الوطنية فالبلاد شهدت شهرا مليئا بالاحداث والمناورات السياسية والاتفاقيات الوطنية، وخلال هذا الشهر عقدت اجتماعات عدة بين بشارة الخوري ورياض الصلح قبل ان يتفقا على البرنامج السياسي، وخلالها ايضا تمت اللقاءات والاتصالات بين الزعماء السياسيين اللبنانيين والسوريين والمصريين بتشجيع من الجنرال سبيرز رئيس البعثة البريطانية<sup>(٤٥)</sup>.

كانت ظروف الانتخابات اللبنانية والمطالبة بعودة الحياة الدستورية وخطورة النظام السياسي الطائفي فضلا عن تأثير السياسة البريطانية، شكلت عوامل مهمة في التقرب بين المسيحيين المسلمين والمسيحيين من ذوي النزعة اللبنانية وذوي النزعة القومية، كما ان سنوات الانتداب كانت قد خففت من حدة التناقضات الوطنية وقربت وجهات النظر المتناقضة وقربت الطريق نحو الوفاق<sup>(٤٦)</sup>.

ويبدو ان البوادر الاولى لتنفيذ الميثاق الوطني تمت في الحوار الذي جرى بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح حيث خاطبه بشارة: "انا اعلم انك تجاهد في صفوف القوميين العرب منذ حوالي ثلاثين عاما بغية اقامة دولة عربية كبيرة واعلم ايضا انك تؤمن بلبنان ورسالته العربية، وانك مقتنع بأنه بوسع لبنان ان يكون امة عربية مستقلة حيث يجد المسيحيون كل الضمانات" فاجابه رياض الصلح: "ان ماضي يبرهن ان ما فعلته في سبيل القضية العربية فعلته ايضا في مصلحة لبنان وتعلم ان البعض انتقدوا مواقفي واتهموني بأنني اصبحت لبنانيا. وكنت اجبهم ان من يناضل من اجل لبنان يناضل ايضا من اجل حرية العالم العربية كله، ومن يناضل من اجل القضية العربية يناضل من اجل القضية اللبنانية، واني صرحت في احدى خطبي بأنني افضل ان اعيش في قرية صغيرة مستقلة على ان اعيش في دولة عربية واسعة مرتبطة بمعاهدات يحكمها مستشارون اجانب، وانا لم ابدل سياستي، وقال له بشارة ايضا: "هل تعتقد يا رياض ان جميع اخواننا المسلمين يتبنون اتفاقا؟ أعتقد انهم سيقبلون بلبنان كوطن نهائي لهم؟ ... "فما كان من رياض الصلح الا ان قاطعه مؤكدا: "ان المسلمين يقبلون بلبنان وطنا نهائيا شرط رفع الغبن عنهم واقامة العدالة مع سواهم" مما قاله: "اذا كان اتفاقنا صريحا وشريفا بدون غبن لاحد، وحافظا لكرامة المسلمين والمسيحيين، مراعيًا شعور الفريقين ويوفر توزيعا منصفًا بين حقوق الجميع، واخيرا

(٤٥) باسم الجسر، الاستقلال اللبناني والميثاق ماذا حدث بالضبط عام ١٩٤٣، مجلة تاريخ العرب

والعالم، عدد ١، بيروت ١٩٧٨، ص ٥٣.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

إذا كان العهد الجديد يدلل مرونة وعدالة تجاه المسلمين اني كقول ليس فقط بالحصول على قبول المسلمين بل ايضا باقناع السوريين والعرب على الاعتراف باستقلال لبنان وضمان حدوده الحالية، فنقلب عندئذ صفحة قديمة مؤلمة من تاريخنا وتنتهي النغمة القائلة بالالتحاق بسوريا ونبتدي صفحة جديدة من تاريخنا<sup>(٤٧)</sup>.

ولعل هذا اللقاء كان في ١٩ ايلول ١٩٤٣، وذلك مايتضح من قول الخوري: "وكنا قد اجتمعنا يوم الاحد في ١٩ من ايلول أي قبل انتخاب الرئاسة بيومين، على اسس الميثاق الوطني"<sup>(٤٨)</sup>.

وبعد ان انتخب بشاره الخوري رئيسا للجمهورية اللبنانية، عقد اجتماع اخر مع رياض الصلح وخلال هذا الاجتماع تم الاتفاق على المبادئ الاساسية لما سمي فيما بعد بالميثاق الوطني<sup>(٤٩)</sup>. واهمها:

١. ان يتخلى المسيحيون اللبنانيون عن رغبتهم في طلب الحماية الفرنسية والخروج من العزلة وان يدخلوا ضمن المجموعة العربية، مقابل ذلك ان يتخلى المسلمون عن السعي لضم لبنان او أي جزء منه الى سوريا او الى أي وحدة عربية<sup>(٥٠)</sup>.
  ٢. توزيع الطرفين على مناصب الدولة الرئيسية توزيعا دينيا، فضلا عن تقسيم الوظائف ذات المسؤولية في الدولة حسب الاهمية بالنسبة لكل طائفة<sup>(٥١)</sup>.
- شكلت الحركة الوطنية في سوريا الطرف الثالث في الميثاق، فالزعماء السوريون هم الذين اتصلوا ببشاره الخوري واكدوا له استعدادهم للاعتراف بالكيان اللبناني لقاء تحرره من الانتداب، وكذلك فان الزعماء السوريين هم الذين اقنعوا الوردنيين في لبنان على رأسهم رياض الصلح بالاقلاع عن مطالبهم بالوحدة السورية، والتعاون مع الشيخ بشاره الخوري، والقبول بكيان لبناني منفصح على العرب والعروبة<sup>(٥٢)</sup>.

(٤٧) جوزيف فيزل، لبنان والقضية العربية، منشورات حويدات، بيروت، ط١، ١٩٥٩، ص ١٨٤ حسان حلاق، الميثاق الوطني اللبناني ١٩٤٣، ميثاق مكتوب؟ مجلة تاريخ العربي والعالم، عدد ٦، بيروت، ١٩٧٩، ص ٣٦.

(٤٨) بشاره الخوري، حقائق لبنانية، ج ٢، ص ١٧.

(٤٩) باسم الجسر، الاستقلال اللبناني والميثاق، عدد ٢، ص ٥١.

(٥٠) ادمون رباط، لبنان والميثاق الوطني، مجلة الاداب، عدد ٤-٣، بيروت، ١٩٧٧، كمال جنبلاط حقيقة الثورة اللبنانية، دار النشر العربية، بيروت، ١٩٥٩، ص ١١١؛ تجلاء عطية، المصدر السابق، ص ٦٩.

(٥١) حمدي الطاهري، سياسة الحكم في لبنان، المطبعة العلمية، القاهرة، دت، ط ٢، ص ١٢٩.

(٥٢) باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣، لماذا كان؟ وهل سقط؟، ص ١٢٧.

ومن خلال استعراضنا لخطب رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري، يمكننا القول بأن مبادئ ميثاق ١٩٤٣ الأساسية في نظره يمكن ايجازها بما يأتي:

١. اتفاق المسيحيين والمسلمين في لبنان على صيغة وطنية سياسية واحدة خلاصتها "ان لبنان جمهورية مستقلة استقلالاً تاماً في اطار كيانها الراهن، لامعاهدة ولااتفاق يربطها بدولة اخرى، وتلتزم هذه الدولة بالوقت ذاته بالنسبة لكل الدول العربية، دون تقضيل أي دولة على الاخرى".

٢. "ان لبنان دولة عربية سيّدة، وهي عضوة في الاسرة العربية الكبيرة، التي عرفت بكيانه وسيادته، على ان لبنان على عرويته، لايقطع علاقاته الثقافية والحضارية مع الغرب، وهذه العلاقات التي ساعدته على بلوغ درجة التقدم التي بلغها".

٣. الابقاء على الدستور اللبناني الذي ينص على التوازن بين الطوائف، وهذا التوازن الذي يمنع الطائفية العمياء من الاضرار بمصلحة الوطن، والذي يساعد على خلق جو من الالفة بين المواطنين، على ان يجري توزيع الوظائف العامة بين الطوائف مع مراعاة الكفاءة وحدها بالنسبة للوظائف الفنية<sup>(٥٣)</sup>.

وبما ان الميثاق كرس الرئاسة للثلاث رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء للسنة ورئاسة المجلس النيابي للشعبة حيث الاتفاق الذي جرى في جلسة خاصة بين رياض الصلح وبشارة الخوري<sup>(٥٤)</sup>، الا انها كانت بشكل مؤقت، على ان يتبعها تعديلات على إلغاء الطائفية، ويذكر بشارة الخوري بأن الميثاق هو: "اتفاق العنصرين اللذين يتألف منهما الوطن اللبناني على انصهار نزعاته في عقيدة واحدة استقلال لبنان الناجز دون الالتجاء الى حماية من الغرب ولا الى وحدة او اتحاد مع الشرق"<sup>(٥٥)</sup>.

ويشير رياض الصلح انه قبل للتعاون مع بشارة الخوري على اساس مارونية رئاسة الجمهورية اراد اعطاء الاطمئنان للمسيحيين على ان تكون الرئاسة الاولى لهم لفترة ست سنوات وقد تمتد لـ (١٢) عاما أي لعهدين، وهي حقبة كافية للإلغاء الطائفية وللتأكيد بان لبنان سيبقى مستقلاً ولن يلتحق بأي اتحاد عربي<sup>(٥٦)</sup>. ويشبه رياض

<sup>(٥٣)</sup> يوسف ابراهيم يزبك، قضية الميثاق الوطني، مجلة الاسبوع العربي، بيروت، في ١٤ اب ١٩٥٨. وكان يوسف ابراهيم يزبك قد حرص قبل نشر هذا المقال عام ١٩٦٠ على ان يطلع الشيخ بشارة الخوري عليه، وكان معتزلاً السياسة في داره بالمكسيك، فقرأه الرئيس الخوري، وأكد صحة ماورد فيه من معلومات، نقلاً عن باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣، ص ١٣٩.

<sup>(٥٤)</sup> حسان الحلاق، الميثاق الوطني اللبناني في ١٩٤٣ ميثاق مكتوب، ص ٣٨.

<sup>(٥٥)</sup> بشارة الخوري، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١.

<sup>(٥٦)</sup> حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر، ص ٢٣٥؛ حسان حلاق، الميثاق الوطني اللبناني ١٩٤٣، ميثاق مكتوب، ص ٣٨.

الصلح الميثاق مثل الطير لا يطير الا بهما وهما المسلمون والمسيحيون<sup>(٥٧)</sup>. أي انه لا يطير بجناح واحد.

وخلال هذا الشهر ايضا وبالاخص بعد انتخابات ١٩٤٣ كلف بشارة الخوري رئيس الحكومة رياض الصلح بالذهاب الى دمشق والاجتماع بالزعماء السوريين امثال سعد الله الجابري، وفارس الخوري وجميل مردم، اثار رياض في تلك الاجتماعات مشكلة (الاقضية الاربعة)<sup>(٥٨)</sup>. مطالبا الزعماء السوريين للتخلي عن المطالبة بها وذلك لطمأنة اللبنانيين، عارض فارس الخوري طلب رياض الصلح ولكن سعد الله الجابري وافق رياض وكانت حجة رياض الصلح "هي ما الضرر في ان يكون عدد الدول العربية سنا بدلا من اربع؟ وان المسيحيين في لبنان وسوريا لا يفرقون بسهولة بين الاسلام والعروبة. ولذلك فانه من الافضل لقطع الطريق على مناورات الاستعمار، ان يكون هنالك دولة لبنانية عربية تركز الفكرة بأن العروبة لاتعني الاسلام"<sup>(٥٩)</sup>.

واخيرا يصف صبري حمادة رئي المجلس النيابي، ورفيق الشيخ بشارة الخوري الظروف التي جرى فيها الاتفاق على مبادئ الميثاق قائلا: "هذا الميثاق الذي لم يدون أي بند منه والذي ادعى الكثيرون ابوته، قد وضع في منزل رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري بعد انتخابه، وكان يحضر الاجتماعات التي ابرزت مبادئه كل من الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح وعبد الحميد كرامي وصبري حمادة ومن حيث لآخر كان صائب سلام يحضر بعض الاجتماعات. لقد كان علينا ان نجد صيغة جديدة تشكل حلا وسط وترضي كل المواطنين، فالذي كنا نسمي اليه هو التوفيق بين مختلف التيارات التي كانت تتنازع البلاد، وتعوق بلوغنا الاستقلال"<sup>(٦٠)</sup>.

واخيرا لابد من القول ان الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح لم يكونا ممثلين للطائفتين المارونية والسنية في الحكم فحسب، بل كانا ايضا ممثلين التيارين الوطني اللبناني والوطن العربي اللذين تنازعا مصير لبنان منذ عام ١٩٢٠، ثم ان اتفاقهما لم يكن اتفاق سياسيين في المعارضة بل اتفاق مسؤولين في اعلى مراتب المسؤولين السياسية سوف يترجم الى التزامات واعمال لها تأثيرها ومضاعفاتها على الصعيدين الوطني والدولي ولاشك ان الخوري والصلح يدركان تماما ان اتفاقهما يعني الطريق باتجاه الاستقلال لاقتسام الحكم بينهما.

(٥٧) صادق السوداني، نظام كميل شمعون (١٩٥٢-١٩٥٨) مجلة جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق، عدد ٢، ١٩٨٢، ص ٣٠٩-٣١٠، وجيه طم الدين، مراحل استقلال دولتي سوريا ولبنان (١٩٢٢-١٩٤٣) بيروت، ١٩٦٧، ص ٢٩٥.

(٥٨) ويقصد بهما حاصبيا، وراشيا، بطرك البقاع.

(٥٩) باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣ لماذا كان؟ وهل سقط؟ ص ١٠٩-١١٠.

(٦٠) باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣ لماذا كان؟ وهل سقط؟ ص ١١٢.

### المبحث الثالث

بشارة الخوري والارمة اللبنانية - الفرنسية عام ١٩٤٣

اولا : البيان الوزاري وبداية الارمة

بدأ رئيس الجمهورية بشارة الخوري بعد تأدية اليمين الدستوري استشاراته لتأليف الوزارة وكان رياض الصلح اول من اتجهت اليه الانتظار بالترشيح، اذ كانت رغبة اكثرية النواب متجهة اليه<sup>(١١)</sup>. فكلف رئيس الجمهورية رياض الصلح بتأليف الوزارة وكان لتكليف رياض بتأليف الوزارة دون استشارة المندوبية العامة الفرنسية كما كان يجري سابقا. ولعل هذا دليل على مظاهر السيادة والاستقلال. ويؤكد ذلك الخوري بمذكراته بالقول: "راجعتني نواب كثيرون بشأن رئاسة الوزارة.. ومنذ الساعات الاولى صممت في نفسي ان اوليها رجلا له مكانته في لبنان ولدى الدول العربية، ووهبه الله ذكاء نيرا واقداما نادرا، عنيت رياض الصلح.. وحول الموقف الفرنسي من تعيين الصلح قال بشارة "وغيضت السلطة الفرنسية التي لن تستشر في الامر مطلقا، وقد اوفد الي الفرنسيون اكثر من رسول، ينددون تخوفهم من ان يعرض لهم رياض الصلح في بيانه الوزاري، فأكذبت لهم ان رياض رجل دولة فهو لا يسيء اليهم"<sup>(١٢)</sup>.

وسعى رياض الصلح لجعلها وزارة ائتلافية من كتلتين اميل ادة وبشارة الخوري وبعض المحايدين، وكان ان يتم ذلك لولا ان النزاع وقع على توزيع الكراسي الوزارية وعلى وزارة الداخلية بالذات ففشلت فكرة الائتلاف<sup>(١٣)</sup>. وعلى اية حال فقد تشكلت الوزارة اللبنانية الخامسة في الخامس والعشرين من ايلول ١٩٤٣ بأن تولى رياض الصلح حقيبتي الرئاسة والمالية<sup>(١٤)</sup>. وبعد ان شكل

(١١) د.ك.و، ٣١١/٥١١٣، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القنصلية العراقية لشهر اب وايلول لسنة ١٩٤٣، و٥٤، ص ٩١.

(١٢) نقلا عن بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج ٢، ص ١٧-٢٠.

U.S.S.D.L.I and F.A.1941-1944 Lebanon Telegram From The American Legation, Beirut, Lebanon, November 5, 1943, No208, To The Secretary of state, Washington, Film 4, P.28.

(١٣) د.ك.و، ٣١١/٥١١٣، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القنصلية العراقية لشهر اب وايلول لسنة ١٩٤٣، و٥٤، ص ٩١.

(١٤) اضمت الوزارة: حبيب ابو شهر: نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية والتربية الوطنية، سليم نقلا: وزير الخارجية والاشغال العامة، كميل شمعون: وزير الداخلية والبرق والهيدرو، الامير مجيد ارسلان: وزير الدفاع والصحة والزراعة، عادل عسيران: وزير التميمين والتجارة والصناعة، بنظر د.ك.و، ٣١١/٢٦٤٨، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، الموضوع: تأليف الوزارة اللبنانية، كتاب وزارة الخارجية الى السيوان الملكي، المرقم: ش ٨٣٢١/٨/٢٣٣/٢٣٣، بتاريخ ٢٩/ايلول/١٩٤٣، و٣٩، ص ٦١.

رياض الصلح وزارته الاولى لم يقدّم للعرف للمتبّع سابقا بزيارة المندوب العام اثر تأليف الحكومة، حيث انه لم يرى من هذه الزيارة ما يليق ببلد مستقل، فتجاهل هذا التقليد معتبرا المندوب سفيراً كغيره من السفراء اذا زارها مهنتاً ردت له الزيارة هكذا اولت الحكومة الجديدة تقليداً كان اللبنانيون يتألمون منه لانهم يسرون فيه رمزا لاستعمار مذل<sup>(٦٥)</sup>. ولعل ذلك ما يؤكد لسياسة الحكومة متطابقة تماماً مع سياسة رئيس الجمهورية الذي لم يستشر الفرنسيون بتشكيلها.

لقى رياض الصلح في السابع من تشرين الاول ١٩٤٣ بيانه الوزاري في المجلس النيابي وعرف باسم "وثيقة الاستقلال"<sup>(٦٦)</sup>. حيث شرح سياسة حكومته الداخلية والخارجية مؤكداً ان الاستقلال الحقيقي والمبادرة الوطنية والحفاظ على الكيان اللبناني هي اهم القضايا التي توجبها حكومته، و اضاف "لنا نريد هذا الاستقلال استقلالا صحيحا ونريد سيادتنا الوطنية كاملة، نتصرف بمقدراتنا كما نشاء وكما تقتضي مصلحتنا الوطنية دون سواها، هذا هو عنوان سياسة هذه الحكومة، وهذه هي الغاية التي قبلت من اجلها هذه المهمة واضطلعت باعبائها الجسيمة"<sup>(٦٧)</sup>. وتناول في خطابه عن التعاون مع البلدان وان لبنان محتاج الى هذا التعاون حيث قال: "ان لبنان مدعو كغيره من بلدان العالم الى التعاون الدولي تعاوناً يزداد وثوقاً يوماً فيوماً والعصر يابى العزلة التامة للدول كبيرها وصغيرها. ولبنان من احوج الدول الى هذا النوع من التعاون، وموقعه الجغرافي ولغة قومه، وثقافته وتاريخه وظروفه الاقتصادية تجعله يضع علاقاته بالدول العربية الشقيقة في طليعة اهتماماته، وستقبل الحكومة على اقامة هذه العلاقات على اساس متينة تكفل احترام الدول العربية لاستقلال لبنان وسيادته التامة وسلامة حدوده الحاضرة، فلبنان وطن ذو وجه عربي يستسيغ الخير النافع من حضارة العرب. ان اخواننا في الاقطار العربية لا يريدون للبنان الا ما يريدونه ابناؤه الاباء الوطنيين، ونحن لانريده للاستعمار مستقراً، وهم لا يريدونه للاستعمار السيهم مصراً، فنحن وهم انن نريده وطننا عزيزاً مستقلاً كريماً"<sup>(٦٨)</sup>.

U.S.S.D.L.I and F.A.1941-1944 Lebanon Telegram From The American Legation, Beirut, Lebanon, November 5, 1943, No208, To The Secretary of state, Washington, Film 4, P.28.

(٦٥) منير ثقي الدين، ولادة استقلال، مجلة العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٣، ص ٣٦.

(٦٦) الامون رباط المصدر السابق، ص ٥٢٤.

(٦٧) نقولاي هـ. هوفهايسيان، النضال التحريري الوطني في لبنان (١٩٣٩-١٩٥٨) تعريب: بسام اندويان، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٤، ص ٧٤.

(٦٨) بدر الدين الخصوصي، القضية اللبنانية تاريخها الحديث والمعاصر، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٧٤.

اما في حقل السياسة الخارجية والاقتصاد الوطني فقد اعلن رياض الصلح في بيانه بأن حكومته ستعمل على تطوير الصناعة الوطنية ورفع الانتاج الزراعي وسيادة الاراضي المزروعة ونظام الري واستخدام الآلات الزراعية الضرورية<sup>(٧١)</sup>.

وتناول رياض الصلح في بيانه قضية الطائفية حيث ذكر ان من اسس الاصلاح هي معالجة الطائفية والقضاء على مساوئها لأنها تقيد التقدم الوطني ونشوء سمعة لبنان فضلا عن انها تسم روح العلاقات بين الجماعات المتعددة التي يتألف منها الشعب اللبناني<sup>(٧٢)</sup>. ووصف رياض الصلح للطائفية بأنها: "وصمة عار على جبين لبنان يجب ازالتها"<sup>(٧٣)</sup>.

ولم يقتصر البيان الوزاري على هذه المواضيع والا ظل عاديا كسائر البيانات التي تلقىها الحكومات في جلسة الثقة في ظروف عادية، بل ان اهم ما جاء في البيان هو تعديل الدستور حيث ان فيه مواد لا يتفق وجودها وقيام الاستقلال وستعمل الحكومة على اجراء تعديلات فيه ليصبح دستور دولة مستقلة تمام الاستقلال<sup>(٧٤)</sup>.

ومن الجدير بالذكر ان هذا البيان الوزاري الذي وضعه رياض الصلح قد عرضت نصوصه ومراجعاته اكثر من مرة مع رئيس الجمهورية بشارة الخوري، حتى استمرت كتابته هذه اسبوعا كاملا<sup>(٧٥)</sup>.

واكد ذلك الخوري بمذكراته بالقول: "اتفقنا على طريقة اعداد البيان، بعد ان رسمنا خطوطه كلها، على ان اترك لرياض الوقت الكافي لكتابته، ثم يعرضه على ابداء ملاحظات عليه وسكبه بقلبه النهائي، فكان ان اتفقنا على كل كلمة فيه"<sup>(٧٦)</sup>.

ترك وقع البيان الوزاري ردود فعل عنيفة لدى الفرنسيين لانهم تعاونوا صياغة تلك البيانات ولكن حكومة رياض الصلح لم تخاطبهم ولم تسألهم فيه رأيا، وعندما استفسر الفرنسيون من الحكومة عن ما يتضمنه البيان فقالت: "ستعرفون ما فيه حين يجب ان تعرفوا وستسمعونه في المجلس" وحتى ان بعضهم احصى كم مرة وردت لفظة الاستقلال فوجدوها (٣٧) مرة، لذا شعر الفرنسيون ان سلطانهم في تراجع مستمر فقاموا بعدة اجراءات تهديدية منها انزال فرقة من الحرس في قرية برالباس من منطقة البقاع، واشتد قلق الفرنسيين من مجرى الاحداث فبعد لقاء البيان الوزاري بيومين

(٧١) جريدة الاهرام، عدد ٢١١٥٠، بتاريخ ١٠ تشرين الاول/١٩٤٣، نقولاي هوفها نسيان، المصدر السابق، ص ٧٤.

(٧٢) ابراهيم عبد العزيز، النظام الدستوري اللبناني، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣٧٩، ملحم قربان، تاريخ لبنان السياسي، بيروت، ١٩٨١، ج ٢، ص ٣١١.

(٧٣) مسعود ظاهر، تاريخ لبنان الاجتماعي ١٩١٤-١٩٢٦، بيروت، ١٩٧٤، ص ٦٠.

(٧٤) ابشارة الخوري، حضارة لبنان، ج ٢، ص ٢١-٢٢.

(٧٥) اباسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣، ص ١٢٦.

(٧٦) ابشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج ٢، ص ٢١.

تلقى رئيس الوزراء رياض الصلح كتابا من السفير يقول فيه: "ان الحكومة اللبنانية تخالف نص الدستور اللبناني وان صك الانتداب لا يخول لبنان حق تعديل الدستور منفردا"<sup>(٧٥)</sup>.

فبدأت المناوشات بين الحكومة منذ تشكيلها مع السلطات الفرنسية، ففي حفلة العشاء التي اقامتها الحكومة اللبنانية للمندوب السامي ومستشاريه السياسيين، حدث نقاش حاد بين هيللو مع رياض الصلح رئيس الحكومة، الذي ذكر بأن الاستقلال قد تم اعلانه، فأجاب هيللو بأنه لن يتم تسليم السلطات للحكومة اللبنانية قبل انتهاء الحرب وعقد معاهدة وحدثت مجادلة بين الطرفين، وبدأ ان موضوع المعاهدة محور النقاش وانتهت المجادلة دون نتيجة<sup>(٧٦)</sup>.

### ثانيا: اعتقال الخوري واعضاء الحكومة وتصاعد الالمة اللبنانية

بدأت الحكومة اللبنانية بالعمل الفعلي، وكان اول عمل قامت به اعتماد اللغة العربية اساسا في ادارة شؤون الدولة فقد كانت تعلم ان اللغة العربية كانت مهمة وان اللغة الفرنسية كانت تحتل دواوين الحكومة اللبنانية لاذ كان حوالي (٩٥%) من الاوراق التي تقدم اليه تكتب باللغة للفرنسية فبادر الى اصدار<sup>(٧٧)</sup> مذكرة<sup>(٧٧)</sup> الى جميع الدوائر يبلغهم بوجوب استعمال اللغة العربية في كل المعاملات التي تجري في دواوين الحكومة، وعد اللغة العربية لغة البلاد الرسمية<sup>(٧٨)</sup>.

وعندما جاء مندوبو الدول الاجنبية الى السراي لتهنئة الرئيس بشاره الخوري واعضاء حكومته سمعوا ضباط الدرك وللشرطة يصرون اوامرهم لرجال الحرس لتحيتهم باللغة العربية، وكانت اول مرة سمعت فيها هذه الاوامر بلغة البلاد، من جملة من سمعها المستشارون الفرنسيون<sup>(٧٩)</sup>.

(٧٥) د.ك.و. ٣٦٥/٣١١، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، البيان الوزاري، كتاب المفوضية الى وزارة الخارجية، ش/١٠٣/١٠٣/٦٠٠٥/٨، في ١٥ تشرين الاول ١٩٤٣، و ٥٧، ص ٦٣.

(٧٦) محمد رجائي، الالمة السياسية اللبنانية عام ١٩٤٣، ص ٨٤.

(٧٧) التصميم الذي اصدره رياض الصلح هو: "ارجوا من حضراتكم ان تحرروا التعليمات اللازمة الى جميع الدوائر التابعة لوزارتكم بأن جميع المخابرات والمعاملات بين الدوائر الرسمية يجب ان تحرر منذ الان فصاعدا باللغة العربية التي هي لغة البلاد الرسمية، وذلك عملا بالعهد الذي قطعه الحكومة على نفسها في البيان الوزاري". الامضاء رياض الصلح بتاريخ ١٣/تشرين الاول/١٩٤٣. ينظر مسعود ظاهر، لبنان الاستقلال، ص ٢٧٤، منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص ٣٦-٣٧.

(٧٨) يوسف مزهر، المصدر السابق، ص ١٠٩١.

(٧٩) اصدر رئيس الوزراء رياض الصلح اوامره باستبدال الاوامر العسكرية منذ يوم السبت ١٦/تشرين الاول/١٩٤٣ باللغة العربية، فبوشر باستخدام الاوامر باللغة العربية في القيادة وجميع المخاطر منذ الساعة التاسعة، كما ان رئيس الوزراء رياض الصلح ازمع على فتح مدرسة ليلية لتطعيم الموظفين الذين لا يصنعون الكتابة بالعربية مبادئ هذه اللغة، وقد اذاع محافظ بيروت على



بدأت الحكومة في تنفيذ البيان الوزاري، وكان عليها ان تبدأ بمسألة المصالح المشتركة، والتي تخص سوريا ولبنان معاً، وكانت السلطات الفرنسية تديرها ادارة مباشرة فطلبت لبنان من الفرنسيين بتسليم المصالح المشتركة<sup>(٨٠)</sup>. ولكن الفرنسيين لم يلبيوا الطلب الا بشرط عقد معاهدة مع فرنسا على اساس معاهدة ١٩٣٦، ولكن حكومة لبنان لم ترض، وبيّنت انه يجب ان يستكمل لبنان سيادته اولا ليحق له عقد المعاهدات<sup>(٨١)</sup>.

وعبثا حاول هيلولا اقناع الحكومة اللبنانية بعقد أي اتفاق مع اللجنة الفرنسية، وعلى اثر ذلك عقد اجتماع في شتورا<sup>(٨٢)</sup>. في الثاني والعشرين من تشرين الاول ١٩٤٣ انضم مندوبين من الحكومة السورية واللبنانية حيث ترأس الوفد السوري جميل مردم وزير الخارجية بينما ترأس الجانب اللبناني الرئيس بشارة الخوري ورئيس الحكومة رياض الصلح<sup>(٨٣)</sup>. وفيه اتفق الجانبان على تقديم رسالة مشتركة الى ممثل فرنسا العام هذا نصها:

"تطلب الحكومتان السورية واللبنانية فرنسا، مستبدة الى الاستقلال والعودة الى العمل بالدستور وتحويل البعثة الفرنسية الى بعثة دبلوماسية والغاء كل صفات السلطة التي مازالت تتمتع بها"<sup>(٨٤)</sup>. ويؤكد بشارة الخوري بأن المسيو هيلولا بدا مرتبكاً لاختر جواباً ولم نكتمه تصميمنا على تعديل الدستور<sup>(٨٥)</sup>.

موظفي البلدية ان تنفيذاً لرغبات الحكومة يحتم الاختصار على الكتابة باللغة العربية ، ينظر منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص ٣٧.

<sup>(٨٠)</sup> د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القائم بالاعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش: ١٠٠١/٨/١٢٠٧/١٢٠٧ بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، ٥، ص ١٤٤.

Eugenie Elie Abouchdid, Thirty Years of Lebanon & Syria 1917-1947, Beirut 1948, P.120.

<sup>(٨١)</sup> منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص ٤٢.

<sup>(٨٢)</sup> شتورا: بلدة في لبنان تقع على ملتقى الطرق بين بيروت ودمشق وبنطيك ومرجعون، ينظر لويس معلوف المنجد في اللغة والادب والعوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط ١٧، ١٩٦٠، ص ٢٨٥.

<sup>(٨٣)</sup> بشارة الخوري، حقائق لبنان، ج ٢، ص ٢٢-٢٣؛ ولید المعلم، سوريا ١٩١٦-١٩٤٦، دمشق، ١٩٨٨، ص ٣٩٣.

<sup>(٨٤)</sup> يوسف مزهر، المصدر السابق، ص ١٠٩٥.

<sup>(٨٥)</sup> بشارة الخوري، حقائق لبنان، ج ٢، ص ٢٣.

رفض هيلوا هذه الرسالة ورفض تسليم الحكومتين السورية واللبنانية المصالح المشتركة، لكنه وجد ان الوضع خطير ويتطلب المناقشة مع الجنرال ديغول شخصيا<sup>(٨٦)</sup>.

طلب هيلوا من رياض الصلح رئيس الحكومة ان يمهله عشرة ايام او خمسة عشر يوما على الاكثر ريثما يسافر الى الجزائر حيث مقر رئيس الحكومة الفرنسية ديغول لبتباحث معه ويعود حاملا مايرضي اللبنانيين ويحفظ صلات المودة بين الفريقين<sup>(٨٧)</sup>. وعهد بجميع صلاحياته لثناء غيابه الى شاتينو<sup>(٨٨)</sup>.

وعندما وصل هيلوا الى الجزائر اجتمع مع لجنة مكونة من ديغول وماسيفلي وكاترو، وعندما طلب هيلوا من اللجنة ان تحدد موقفها من شرعية تعديل الدستور اللبناني من طرف واحد وهو الحكومة اللبنانية والبرلمان اللبناني، اجابت اللجنة بأن التعديل لا يتم الا عن طريق اتفاق مع ممثلين فرنسيين ولذلك فان اللجنة لن تعترف بشرعية تلك التعديلات<sup>(٨٩)</sup>.

وفي صباح الخامس من تشرين الثاني ١٩٤٣ تلقى الصحفيون اللبنانيون دعوة من قبل المندوبية الفرنسية موعدها في الساعة الثانية عشر ظهرا من اجل سماع بلاغ لبرقته اللجنة الفرنسية في الجزائر يذكر على اللبنانيين الحق في تعديل الدستور منفردين وطلب من الصحفيين نشره دون مناقشة<sup>(٩٠)</sup>.

وقد رفض رئيس الجمهورية بشاره الخوري تسلم البلاغ الفرنسي ودعا لعقد جلسة لمجلس الوزراء، فأجتمعوا في الساعة الواحدة من يوم الجمعة في الخامس من تشرين الثاني ١٩٤٣. حيث اعد مجلس الوزراء ان تعديل الدستور حق من حقوق السلطات الدستورية اللبنانية وفقا لاحكام المادة (٧٦) وما يليها من الدستور<sup>(٩١)</sup>.

(٨٦) ولید المعلم، المصدر السابق، ص ٣٩٣.

(٨٧) جريدة الاهرام، عدد ٢١١٦٨ بتاريخ ١٠/٣١/١٩٤٣، منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص ٤٣.

(٨٨) يوسف مزهر، المصدر السابق، ص ١٠٩٥.

(٨٩) د.ك.ي، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القسام بأعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٠٠١٠/٨/١٢٠٧/١٢٠٧، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص ١٤، مصدر رجائي، الازمة السياسية اللبنانية عام ١٩٤٣، ص ٨٤.

(٩٠) د.ك.ي، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القسام بأعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٠٠١٠/٨/١٢٠٧/١٢٠٧، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص ١٤، منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص ٤٥.

(٩١) جريدة الاهرام، عدد ٢١١٧٤ بتاريخ ١١/٧/١٩٤٣، يوسف مزهر، المصدر السابق، ص ٧٧. وقد اشار الخوري بمذكراته بالقول: "اما

وسعى رئيس المجلس النيابي لأن يجمع النواب في اليوم الثاني فتعذر عليه الامر بسبب غياب معظمهم في مناطقهم، حيث دعاهم للاجتماع يوم الاثنين في الثامن من تشرين الثاني لسنة ١٩٤٣<sup>(١٧)</sup>. وعندما علم هيللو بأن المجلس سيناقش لأتية التعديلات بعد ظهر يوم الثامن من تشرين الثاني اتصل بالحكومة اللبنانية عن طريق شاتينو واعلمها بأنه سيكون في بيروت ويطلب تأجيل الجلسة حتى يعود لأنه يحمل مقترحات هامة من لجنة التحرير للوطني الفرنسية<sup>(١٨)</sup>.

عقد مجلس الوزراء جلسة مستعجلة تباحث فيها الموقف فقرر ان لاعلاقة للمقترحات التي يحملها السفير هيللو بقضية تعديل الدستور وان هذه قضية داخلية<sup>(١٩)</sup>. وفي الساعة الثالثة والنصف من الثامن من تشرين الثاني لسنة ١٩٤٣ انعقد مجلس النواب بحضور اثنين وخمسين نائباً من اصل خمسة وخمسون<sup>(٢٠)</sup>. وعندما طرح مشروع التعديل على التصويت طلب بعض النواب<sup>(٢١)</sup>. احواله للمشروع الى لجنة خاصة لمراجعته فرفضت الحكومة الاقتراح وايداه المجلس النيابي في ذلك فانسحب اميل ادة من الجلسة ثم اقر المجلس بالاجماع وصدق على مشروع التعديل ثمانية واربعون عضواً<sup>(٢٢)</sup>. ونشرت التعديلات في اليوم التالي في الجريدة الرسمية واصبح معمولاً به ابتداء من يوم الثلاثاء في التاسع من تشرين الثاني لسنة ١٩٤٣<sup>(٢٣)</sup>.

البلاغ الذي سلمه الفرنسيون الى الصحافة ولم اقبل ان اتسلمه، ينظر الخوري، حقائق لبنانية، ج ٢، ص ٢٥-٢٦.

<sup>(٢٤)</sup> اد.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القائم بأعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١٠، بتاريخ ١٨ تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص ١٤، بشارة الخوري، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦.

<sup>(٢٥)</sup> اللادي سبيري، قصة الاستقلال في سوريا ولبنان، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٤٧، ص ٢٧٩، بيار زيادة، المصدر السابق، ص ٨٩.

<sup>(٢٦)</sup> يوسف مزهر، المصدر السابق، ص ١٠٩٩.

<sup>(٢٧)</sup> كان المتغيبيون هم: ايوب ثابت، احمد الحسيني، موسى دركلوسيان: ينظر حمدي الطاهري، المصدر السابق، ص ١٤٠.

<sup>(٢٨)</sup> ومنهم: اميل ادة، جورج عقل، اسعد البستاني، امين السعد، ينظر: منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص ٥٣.

<sup>(٢٩)</sup> اد.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القائم بأعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١٠، بتاريخ ١٨ تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص ١٤، يوسف مزهر، المصدر السابق، ص ١٠٩٩.

<sup>(٣٠)</sup> بشارة الخوري، المصدر السابق، ص ٢٨.

رحب الشعب اللبناني بجميع فئاته بقرار المجلس النيابي فانطلقت التظاهرات العارمة في بيروت وغيرها من المدن<sup>(٩٩)</sup>. وكان يوم الثامن من تشرين الثاني لسنة ١٩٤٣ من اسعد ايام رياض الصلح الذي دخل التاريخ اللبناني من اوسع ابوابه<sup>(١٠٠)</sup>. عاد هيلو الى بيروت في التاسع من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ واجتمع مع معاونيه وتداول معهم الوضع وعدوا جميعا ان قرار الحكومة اللبنانية يشكل تحديا لفرنسا يقتضي الرد عليه، وسرت اشاعات قوية تؤكد ان الفرنسيين على وشك القيام بعملية اعتقال واسعة النطاق تتناول المسؤولين اللبنانيين<sup>(١٠١)</sup>.

وفي هذه الاثناء وصل ملك يوغسلافيا بطرس الثاني الى بيروت ونزل ضيفا على السفير الفرنسي هيلو، واقام وزير بريطانيا سبيرز في العاشر من تشرين الثاني ١٩٤٣، مأدبة عشاء تكريما له، حيث اختلا بعد الحفل سبيرز مع هيلو واكد الثاني بأنه لن يقوم بأي عمل فيه مظهر من مظاهر العنف واقسم بشرفه انه لن يأخذ أي تدبير من شأنه ان يعكز الامن<sup>(١٠٢)</sup>.

ولكن في الساعة الرابعة من صباح يوم الخميس المصادف الحادي عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ توجهت قوة من الجيش الفرنسي والجنود السنغاليين الى دار بشارة الخوري رئيس الجمهورية وانتزعوه من فراشه وكبلوه بالحديد وطلبوا اليه التوقيع على مرسوم بأقالة الحكومة وحل المجلس وتعطيل الدستور، وذهبت جماعة اخرى الى دار رئيس الوزراء رياض الصلح وفتشوا الدار كله ثم اقتادوه<sup>(١٠٣)</sup>. وتم ايضا اعتقال الوزراء كميل شمعون وعادل عسيران وسليم نقلا واعتقال النائب عبد

<sup>(٩٩)</sup> انقولاوي هوفهانسيان، المصدر السابق، ص ٧٨.

<sup>(١٠٠)</sup> بيار زيادة، المصدر السابق، ص ٩١.

<sup>(١٠١)</sup> اد.ك.و، ٣٦٦/٣١١، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القائم باعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص ١٤؛ بيار زيادة، المصدر السابق، ص ٩٥.

<sup>(١٠٢)</sup> اد.ك.و، ٣٦٦/٣١١، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القائم باعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص ١٥؛ وجيه علم الدين، المصدر السابق، ص ٢١٩.

<sup>(١٠٣)</sup> اد.ك.و، ٣٦٦/٣١١، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، تقرير القائم باعمال المفوضية العراقية في بيروت عن الحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص ١٥؛ ديجول والعرب، العلاقات الفرنسية بين الماضي والحاضر والمستقبل، تحرير سعد الدين ابراهيم، منتدى الفكر العربي، عمان، ط١، ١٩٩٠، ص ٦١.

الحמיד كرامي (نائب مدينة طرابلس) وسبق المعتقلون الى قلعة راشيا فسي ضواحي لبنان<sup>(١٠٤)</sup>.

وقد اقلت من الاعتقال كل من الوزيرين حبيب ابي شهلا وزير العدل والامير مجيد ارسلان وزير الدفاع<sup>(١٠٥)</sup>. ورئيس المجلس النيابي صبري حمادة، وربما قصد الفرنسيون بعدم اعتقالهم وابقائهم احرارا للاتفاق معهم على تشكيل حكومة جديدة<sup>(١٠٦)</sup>. وفي الساعة الثامنة من صباح الحادي عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ اذاع هيلو بيانا بجل مجلس النواب وتعطيل الدستور وتعيين اميل ادة رئيسا للدولة والحكومة<sup>(١٠٧)</sup>. وقد حاول اميل ادة تأليف حكومة فلم يستطع اذ رفض الاشتراك كل الذين استدعاهم وفيهم كثيرون من الوزراء السابقين ولم يستطيع اميل ادة ولا السلطات الفرنسية التأثير عليهم وعرضت للوزارة على فريق اخر من الناس، لم يستوزروا قبل هذا فلم يرضوا<sup>(١٠٨)</sup>.

ثالثا: المواقف المحلية والعربية والدولية من الازمة

#### ١. الموقف المحلي

اثارت تصرفات السلطات الفرنسية ردود فعل عظيمة في الاوساط الدستورية والشعبية، فعلى الصعيد الدستوري، دعا صبري حمادة رئيس المجلس النيابي اشر سماعه بانباء الاعضاء الى الاجتماع فورا غير ان القوات الفرنسية حاصرت المجلس وحالت دون دخول النواب فيما عدى ستة منهم<sup>(١٠٩)</sup>. واجتمعوا داخل المجلس برئاسة صبري حمادة ورفعوا مذكرة الى سفير بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وممثل مصر والعراق واحتجوا فيها على الاجراءات التي اتخذتها فرنسا<sup>(١١٠)</sup>. واسفرت عن

<sup>(١٠٤)</sup> سامي الصلح، احكم الى التاريخ، ص ٦٣.

<sup>(١٠٥)</sup> لم يعتقل الامير مجيد ارسلان خشية اشارة انصاره الدروز، ينظر، كميل شمعون، مذكراتي، بيروت، ج ١، ١٩٦٩، ص ٣١.

<sup>(١٠٦)</sup> يوسف مزهر، المصدر السابق، ص ١١٣.

<sup>(١٠٧)</sup> اد.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي برقم ش: ١٢٠٧/١٢٠٧/٨/٩٨٥٧، بتاريخ ١٤ تشرين الثاني/ ١٩٤٣، و، ٤٤، ص ١٠٧، جاك كولان، المصدر السابق، ص ٣١٤.

<sup>(١٠٨)</sup> اد.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم ش: ١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١، بتاريخ ١٨ تشرين الثاني/ ١٩٤٣، و، ٥، ص ١١٥، اللايدي سبيرز، المصدر السابق، ص ٩٨٨ بدر الدين الخصوصي، المصدر السابق، ص ١٠٨.

<sup>(١٠٩)</sup> وهم: هنري فرعون، صائب سلام، رشيد بيضون، مارون كنعان، محمد الفضل، سعدي الملا، ينظر: ظاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص ١٦٩.

<sup>(١١٠)</sup> بدر الدين الخصوصي، المصدر السابق، ص ١٠٩.

هذه الاجتماعات قرارات جاء فيها تغيير العلم اللبناني<sup>(١١١)</sup>. وتأليف حكومة اطلق عليها اسم (حكومة الثورة) برئاسة حبيب ابي شهلا ومنحوها الثقة باجماع الاصوات<sup>(١١٢)</sup>. ونتيجة للضغط الشديد وقوة السلاح من قبل الفرنسيين اخرج رئيس المجلس صبري حمادة والنواب من المجلس<sup>(١١٣)</sup>. وانتقلوا الى دار صائب سلام، ووضع محضر اول جلسة عقدها مجلس النواب ابان الثورة، واكد بأن ليس في الدستور نص يحول دون اجتماع المجلس في أي مكان ووقع على المحضر ثلاثة وثلاثون نائباً أي حاز الاكثريّة<sup>(١١٤)</sup>.

وانتقل اعضاء الوزارة ورئيس المجلس النيابي في مساء الثاني عشر من تشرين الثاني ١٩٤٣ الى قرية بشامون<sup>(١١٥)</sup>. حيث اتخذوها مركزاً لهم وتجمعت لديهم قوة مسلحة تبلغ زهاء خمسمائة مقاتل<sup>(١١٦)</sup>.

اما على الصعيد الشعبي فقد هاجمت الجماهير اللبنانية عند سماعها بأنباء اعتقال الرئيس الخوري واعضاء الوزارة وسماعها خطاب هيللو فاقفلت الحوانيت<sup>(١١٧)</sup> وخرجت الجماهير الى الساحات تتظاهر وتطالب بالافراج عن الرئيس

<sup>(١١١)</sup> اقترح احد النواب تغيير العلم اللبناني وتحريره من الوانها الفرنسية كما حرر الدستور وكانت فكرة تغيير العلم مخمرة في عقول اللبنانيين واخذ النائب سعدي المتلا مهمة رسم العلم الجديد والذي اصبح كالاتي جعل الارزة خضراء في بياض محفوف بالاحمر رمزا الى الدم الطاهر ووقع على العلم النواب الحاضرون: ينظر منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص ١٨٨؛ سامي الصلح، احتكم الى التاريخ، ص ٦٤.

<sup>(١١٢)</sup> انزاد البهوي، الكتاب الاخضر في السياسة اللبنانية ١٩٤٣-١٩٥٠، منشورات جريدة الثقافة الوطنية، بيروت، ط ١، ١٩٥٠، ص ٤١؛ حمدي الطاهري، المصدر السابق، ص ١٤١؛ واصدر حبيب ابو شهلا قرار في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ يؤكد فيه بأن مجلس الوزراء يمارس مؤقتا الصلاحيات المعطاة لرئيس الجمهورية وفقا لاحكام الدستور وان نائب رئيس مجلس الوزراء يقوم مؤقتا مقام رئيس الوزراء، لعبت هذه الحكومة دورا هاما على الصعيد الداخلي، فقد املت استمرار الشرعية في البلاد ووحدت جهود المنظمات المختلفة، واصبحت الراس المفكر لحركة المقاومة، ومركز تجمع المجاهدين، ينظر بيار زيادة، المصدر السابق، ص ٩٩.

<sup>(١١٣)</sup> اد.ك.و، ٣٦٦/٣١١، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الدروان الملكي المرقم: ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٩١٤/٨ بتاريخ ١٥/تشرين الثاني/١٩٤٣، و، ٤٠، ص ١٠٣.

<sup>(١١٤)</sup> منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص ٩٢.

<sup>(١١٥)</sup> بشامون: قرية لبنانية جبلية صغيرة تقع على مسافة بضعة وعشرين كيلومتر الى الجهة الجنوبية من بيروت، لايزيد عدد سكانها على (١٥٠٠) نسمة ويبيتها على (٢٠٠) بيت ينظر: بيار زيادة، المصدر السابق، ص ١١٩.

<sup>(١١٦)</sup> اد.ك.و، ٣٦٦/٣١١، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب المفوضية العراقية في بيروت المرقم: س/٢٠٤/١٠٦/٢٠٤، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و، ٤٠، ص ١١.

<sup>(١١٧)</sup> لقد حاول اميل اده والسلطات الفرنسية حمل اصحاب المخاوف المغلفة على فتحها فلم يفلحوا بالرغم مما بذلوا من الجهود مستعملين الوعد تارة والوعيد تارة اخرى، حتى لغفوا مبلغ (٥٠٠)

وعن رفاقهم مرردة "بدياً بشارة بدياً رياض" واستمرت المظاهرات والاصطدامات حتى الساعة السادسة عندما اعلن حظر التجول في المدينة<sup>(١١٨)</sup>. وتناست الكتائب<sup>(١١٩)</sup>. والنجادة<sup>(١٢٠)</sup> خلافتها ووحدت صفوفها وانتقلت على تنظيم الاضراب والتظاهرات وتقديم المساعدات للوطنيين، وتأمين الاتصال بحكومة بشامون فأعتقل رئيس الكتائب بيار الجميل بعد ان تعرض للقتل<sup>(١٢١)</sup>.

واسهمت النساء بدور كبير في المظاهرات، وانطلقت اولى مظاهراتهن بقيادة زوجة كميل شمعون (زلفا) وتوجهن حيث يقيم الوزير البريطاني (سبيرز) والوزير الامريكي (ودسورث) ومن ثم الى قنصل مصر والعراق وانتهت وفودهن عند البطريك الماروني، محتجات على عجل الفرنسيين ومطالبات بعودة الحكومة والحياة الدستورية على ماكانت عليه<sup>(١٢٢)</sup>.

وكان للصحافة دور مهم اذ تضامنت مع الحكمة الوطنية فور اعتقال بشارة الخوري ورياض الصلح ورفاقهما فأعلنت الاضراب الى اجل غير مسمى حتى يتم الافراج عن المعتقلين وعودة الحياة الدستورية<sup>(١٢٣)</sup>.

في هذه الفترة كان لايد من صحافة سزية للبلاد تنطق باسم الحركة الوطنية، لذا جاءت جريدة (علامة استفهام) (?) التي لعبت دورا بارزا في نشر خط المعارضة

ليرة لكل حاووت يفتح وتعهدوا بالتعويض واستطاعوا ان يؤثروا على بضعة مخازن في الاحياء الارمنية ففتحت بضعة ساعات ثم عادت فأغلقت. للمزيد من التفاصيل ينظر د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب المفوضية العراقية في بيروت المرقم: س/١٠/٦/٢٠٤، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٤، ص ١١.

<sup>(١١٨)</sup> د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم: ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٠١٠ بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص ١٥-١٦ بيار زيادة، المصدر السابق، ص ١٠٢.

<sup>(١١٩)</sup> حزب الكتائب: هي حركة سياسية لبنانية تأسست في عام ١٩٣٦ تحت شعار (الله الوطن- العائلة)، ومعارضة لوحدة لبنان مع الاقطار العربية والمندادة بتقوية العلاقات بين لبنان والغرب، ويعتبر بيار الجميل الذي ولد عام ١٩٠٥ مؤسس الحزب وزعيمه، وكان لها دور في حركة الاستقلال الوطني عام ١٩٤٣، واخذت طابعا مارونيا ينظر: منشورات مصلحة الدعاية في الكتائب اللبنانية، الكتائب اللبنانية، بيروت، ١٩٥٨، ص ١٨ ومابعدها.

<sup>(١٢٠)</sup> حزب النجادة: هي منظمة للشباب تآلفت في لبنان سنة ١٩٣٦ واخذت طابعا اسلاميا وتفكر النجادة الى برنامج واضح فيما عدا المطالبات الطائفية والمحلية وتأسست مقابل حركة الكتائب، وتآلفت مع الكتائب ابان حركة الاستقلال رئيسها الحالي عدنان الحكيم: ينظر عدنان الحكيم ورمضان لاوند، القومية العربية واحداث لبنان، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٢، ص ٤٧-٤٨.

<sup>(١٢١)</sup> الكتائب اللبنانية، المصدر السابق، ص ١٨-١٩ سامي الصلح، احكم الى التاريخ، ص ٦٤.

<sup>(١٢٢)</sup> اللادي سبيرز، المصدر السابق، ص ٩١-٩٢.

<sup>(١٢٣)</sup> بيار زيادة، المصدر السابق، ص ١٠٢.

الوطنية، الا ان السلطات الفرنسية قد زورت الجريدة لذا لجأت الجريدة الاصلية الى وضع شعار جديد هو "ليسقط الخائن اده" (١٢٤).

واستمرت الجريدة تنشر قرارات حكومة بشامون والمجلس النيابي على الرغم من الرقابة المشددة عليها (١٢٥). واتسأ رياض للصلح منذ اليوم الاول لاعتقاله مكتب استخبارات في غرفته وبدأ بجمع معلومات ويرسلها الى بشارة الخوري، حيث ذكر رياض بأن "اول اهدافي عند وصولي راشيا هي ان نتصل بالخارج، لنرى ونسمع كل شيء ويجب ان اعرف شيئاً عن وقع النبا في الراي العام"، لذا استطاع رياض ان ينشء هيئة للاستعلامات السرية في قلب الجنود الخفاء فاذا بانباء المظاهرات الدامية في شوارع بيروت وطرابلس وصيدا وغيرها تتسرب الي فأنقلها الى مسامع رفائي المعتقلين" (١٢٦).

ويعلق الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية المعتقل على تلك الاحداث بقوله: "ما ان انتشر خبر الاعتقال في بيروت وانحاء لبنان، حتى خفت الاهالي الى ساحات المدينة للعمومية وشارعها الرئيسية وقلبت السيارات العسكرية ظهرا على عقب واضرمت فيها النار، وقصدت قصر الرئاسة العرف وهي تتظاهر احتجاجا على اعتقالنا، فأخذ العساكر السنغاليون من تكتة في جوار القصر، يطلقون النار اراهابا، واصابت بعض الطلقات جدرانه، ولكن قريتي لم تغادر واصرت على البقاء فيه احتجاجا واقسم التجار ايماناً مغلظة انهم لايمونون الجيش الفرنسي لابكثير ولابقايل، حتى يعود المعتقلون الى مناصبهم" (١٢٧).

ويصف الشيخ منير تقي الدين، الذي عايش تلك الاحداث في كتابه "ولادة الاستقلال" بقوله: "عندما بلغ اللبنانيين خبر اعتقال رئيس الجمهورية والوزراء خرجوا الى الشوارع قاصدين منازل المعتقلين، فزار المطران مبارك منزل رياض الصلح، وقام المفتي الشيخ توفيق خالد بزيارة القصر الجمهوري، وطافت وفود شعبية على القنصليات الاجنبية، والعربية معربة عن استنكارها، ثم اخذت الجماهير تهاجم قاطرات الترافواي، وتمزق صور القادة الفرنسيين التي كانت قد الصقت في الشوارع، وتصدت الجماهير للسيارات الفرنسية، ووقعت عدة اشتباكات بينها وبين القوات العسكرية الفرنسية..." (١٢٨).

(١٢٤) مسعود ظاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص ١٧١.

(١٢٥) حسين حمد الصولاغ، المصدر السابق، ص ٥٢.

(١٢٦) مجلة العالم العربي، (مصرية) العدد ١، ١٩٤٧، ص ٥٤.

(١٢٧) بشارة خليل الخوري، حقائق لبنانية، ج ٢، ص ٣٨.

(١٢٨) منير تقي الدين، ولاد استقلال، دار العلم للملايين، ١٩٥٣، ص ١٧٥.



اما المؤرخ الفرنسي بيار راندو، فقد وصف الانتفاضة الشعبية اللبنانية عام ١٩٤٣ بقوله: "ان هذه الانتفاضة الشعبية كانت موجهة ضد العمل الطائش الذي اقدم عليه المندوب الفرنسي، ومؤيدة للاستقلال، وان حوافث تشرين الثاني ١٩٤٣ وحدت بين المسلمين والمسيحيين في فريق وطني واحد، وكان هذا الاتحاد موجها ضد الانتداب لاضد فرنسا<sup>(١٢٩)</sup>."

وهكذا يمكننا القول بان الميثاق الوطني الذي اتفق عليه الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح القاضي بتحقيق الاستقلال اللبناني التام، والكيان الوطني الموحد والذي تضمنه البيان الوزاري الاول للجمهورية التي ترأسها بشارة الخوري قد وحد اللبنانيين على مختلف طوائفهم ومبولوجهم واتجاهاتهم، ولذا عبرت انتفاضتهم اثر اعتقال رئيس الجمهورية والوزراء لانهم اعتبروا ذلك الاعتقال اعتداء على الاستقلال والدستور.

## ٢. الموقف العربي

### أ. موقف العراق

اعترفت الحكومة العراقية بالدولة اللبنانية نولة مستقلة ذات سيادة في الرابع عشر من تشرين الاول عام ١٩٤٣ وتقرر انشاء علاقات دبلوماسية معها<sup>(١٣٠)</sup>.

وادی القائم بالاعمال العراقية تحسين قدري دورا مهما، ففي اثناء تقديم اوراق اعتماده الى وزارة الخارجية اللبنانية فوجئ بأن العلاقات بين الحكومة اللبنانية والفرنسية قد اعتراها اختلاف جوهري حول تعديل الدستور، فأتصل بالمندوبية الفرنسية وقابل بوغزر وعرض عليه وساطته لحل الخلاف وحذر القائم بالاعمال من أي عمل يقوم به الفرنسيون اتجاه لبنان واكد له بأن شيئا من هذا لن يحصل، ولكنه فوجئ في اليوم التالي باعتقال رياض الصلح ورفاقه<sup>(١٣١)</sup>.

وقدم تحسين قدري باسم الحكومة العراقية احتجاجا شديدا للهجة الى المندوب السامي هيللو حول ذلك، واكد بان استقلال لبنان وسيادته ليس ثمرة على مفاجئ بل نتيجة طبيعته للتصريحات التي ادلى بها الجنرال كاترو باسم فرنسا المحاربة<sup>(١٣٢)</sup>.

<sup>(١٢٩)</sup> نقلا عن باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣، لماذا كان؟ وهل سقط؟، ص ١١٩. وان مقال بيان راندو بعنوان "المؤسسات السياسية للديمقراطية اللبنانية"، نشر في مجلة "اوريان" الفرنسية، عدد تشرين الثاني ١٩٥٨.

<sup>(١٣٠)</sup> د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم: ت/١١٢٣/١١٢٣/٩٨٠٩/٢٠٠، بتاريخ ٢٢/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٢٢، ص ٧٣؛ جريدة الاهرام، عدد ٢١١٥٥ بتاريخ ١٥/تشرين الثاني/١٩٤٣.

<sup>(١٣١)</sup> د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم: ش/١٢٠٧/١٢٠٧/١٠٠١٠/٨، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص ١٧.

<sup>(١٣٢)</sup> د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم: ش/١٢٠٧/١٢٠٧/١٠٠١٠/٨، بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٥، ص ١٧.

ودعا حمدي الباجه جي رئيس مجلس النواب العراقي الى اجتماع في الساعة العاشرة من صباح يوم السبت المصادف الثالث عشر من تشرين الثاني لسنة ١٩٤٣، لدراسة تطورات الوضع في لبنان، اذ احتج للمجلس بشدة على الاعتداء الذي قامت به لجنة التحرير الفرنسية على كيان الجمهورية اللبنانية<sup>(١٣٣)</sup> كما اجتمع في الوقت نفسه مجلس الاعيان برئاسة السيد محمد الصدر، وقدم احتجاجاته حيث طلب عدم تدخل السلطات الفرنسية في شؤون لبنان وسوريا<sup>(١٣٤)</sup>.

#### ب. موقف سوريا

كان لحادثة الاعتقال الرئاسي في لبنان صدى عميق فغي سوريا حيث اضرب الشعب السوري منذ اليوم الثاني عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣، وقصد المتظاهرون دور القنصليات الاجنبية هاتفين بحياة سوريا ولبنان وعند وصولهم الى سراي الحكومة خطب فيهم وزير الداخلية لطفى الحفار، طالبا منهم المحافظة على الهدوء والسكينة ووعدهم بنقل احتجاجاتهم الى رئيس الجمهورية<sup>(١٣٥)</sup>.

واجتمع مجلس النواب السوري في مساء الخامس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ وخطب فيه (١٧) نائبا مطالبين بالاحتجاج الشديد وقد انتقدوا فرنسا انتقادا شديدا على انتهاكهم حرية الاستقلال<sup>(١٣٦)</sup>. وصرح جميل مردم وزير خارجية سوريا في المجلس فطمئنهم بأن الدول ذات الشأن تقوم الان بانهاء مشكلة لبنان بالطرق الدبلوماسية<sup>(١٣٧)</sup>. واختتم المجلس مداولاته بأن الشعب السوري يعلن مناصرته للشعب اللبناني ومتمنيا ان تعود الية حياته النيابية وان تعود حكومته الشرعية<sup>(١٣٨)</sup>.

يوسف مزهر، المصدر السابق، ص ١١٥٩، مسعود طاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص ١٧٧.

(١٣٣) د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، الازمة اللبنانية، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، و، ص ٦٠، ١٢٠ محاضر مجلس النواب العراقي، الدورة الانتخابية العاشرة، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة ١٩٤٣، الجلسة السادسة، ١٣/تشرين الثاني/١٩٤٣، مطبعة الحكومة، بغداد، ص ٤٤-٥١ جريدة العراق، عدد ٦٤٥٣ بتاريخ ١٣/تشرين الثاني/١٩٤٣، جريدة الاخبار، عدد ٨٨٢، بتاريخ ١٣/تشرين الثاني/١٩٤٣.

(١٣٤) محاضر مجلس الاعيان العراقي، الاجتماع غير الاعتيادي الحادي عشر لسنة ١٩٤٣، الجلسة الثالثة، ١٣/تشرين الثاني/١٩٤٣، مطبعة الحكومة، بغداد، ص ٢٤-٣٢.

(١٣٥) د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في دمشق، كتاب المفوضية المرقم ١٧٣/١/٦ بتاريخ ١٦/تشرين الثاني/١٩٤٣، و، ص ٣٤، ولید المعلم، المصدر السابق، ص ٣٩٧.

(١٣٦) د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في دمشق، كتاب المفوضية، المرقم ١٧٣/١/٦، بتاريخ ١٦/تشرين الثاني/١٩٤٣، و، ص ٣٤، ٩٦.

(١٣٧) جريدة العراق، عدد ٦٤٥٦ بتاريخ ١٨/تشرين الثاني/١٩٤٣.

(١٣٨) ولید المعلم، المصدر السابق، ص ٣٩٩-٤٠٠.

بينما لزمّت الحكومة السورية جانب التحفظ وبقي موقفها مترددا طوال مدة الأزمة اللبنانية إلى أن ظهر رد الفعل البريطاني والأمريكي<sup>(١٣٩)</sup>.

عندما علم السوريون بأنذار الوزير البريطاني كاييزي أخذت الحماسة جميل مردم إذ أرسل في يوم الواحد والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ مذكرة إلى الجنرال كاترو يحدد فيها موقف دمشق من الحوادث إذ طلب منه أرجاع الحياة الدستورية إلى ماكانت عليه في لبنان محذرة بالقول: "والا فتتحملون وحدكم المسؤولية"<sup>(١٤٠)</sup>.

#### ج. موقف مصر

عمت التظاهرات جميع أنحاء القطر المصري، وأرسل الملك فاروق برقية في الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩٤٣ إلى رئيس الجمهورية اللبنانية المعتقل بشارة الخوري من خلال الصحف، ونشرتها جريدة علامة استفهام مهتذا إياه بنقّة الشعب اللبناني وأكد بإمكان لبنان الاعتماد على الحكومة وشعب مصر<sup>(١٤١)</sup>.

وأقام حزب الوفد مهرجانه السنوي تحت شعار "يوم النضال في سبيل لبنان" وخطب مصطفى النحاس في المتظاهرين وطلب بالافراج عن المعتقلين<sup>(١٤٢)</sup>. واستمرت المظاهرات في مصر حيث هاجم المتظاهرون بناية المفوضية الفرنسية ورشقها بالحجارة ونادى المتظاهرون بسقوط فرنسا العاشمة<sup>(١٤٣)</sup>. وحصل اصطدام بين الشرطة والمتظاهرين قتل فيه طالب واحد وجرح ثلاثة عشر شخصا<sup>(١٤٤)</sup>. وكان رياض الصلح قد نوه بأهمية اعتراف مصر باستقلال لبنان قائلا: "نحن نقدر الربح العظيم الذي ربحه لبنان بهذا الاعتراف"<sup>(١٤٥)</sup>.

(١٣٩) يوسف مزهر، المصدر السابق، ص ١١٨٢.

(١٤٠) منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص ٢٠٩-٢١٠.

(١٤١) بيار زيادة، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(١٤٢) حمدي الطاهري، المصدر السابق، ص ١٤٢.

(١٤٣) د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في القاهرة، مصر والحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية إلى الديوان الملكي، المرقم: ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٩١٦ بتاريخ ١٥ تشرين الثاني/ ١٩٤٣، ص ٤٢، ص ١٠٥.

(١٤٤) ان موقف الشرطة هذا هو للمحافظة على الامن والسلام: ينظر د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في القاهرة، كتاب وزارة الخارجية إلى الديوان الملكي، المرقم: ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٩٨٨، بتاريخ ١٧ تشرين الثاني/ ١٩٤٣، ص ٣٥، ص ٩٧.

(١٤٥) جريدة الاهرام، عدد ٢١١٥٠، بتاريخ ١٠ تشرين الأول/ ١٩٤٣، مسعود ظاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص ١٧٧.

### د. موقف الاقطار العربية الاخرى

اتسمت مواقف الاقطار العربية من احداث لبنان بالتباين اذ حدثت مظاهرات في عمان احتجاجا على اعمال الفرنسيين ، وبذلك جهود رسمية مثمرة لوقف التجاوز الفرنسي<sup>(١٤٦)</sup>، وحدثت مظاهرات في جميع انحاء فلسطين احتجاجا على اعمال الفرنسيين في لبنان حيث ارسلوا بزقية الى الحكومة العراقية يطلبون بها التدخل وحل الازمة<sup>(١٤٧)</sup>، واجتمعت وفود الغرف التجارية العربية في القدس وقررت اعلان الاضراب في جميع انحاء فلسطين وقدمت الوفود لاحتجاجا الى الحكومة البريطانية<sup>(١٤٨)</sup>.

ابرق الملك ابن سعود الى تشرشل محتجا على عمل المملطات الفرنسية وكان احتجاجا شديد اللهجة في امر تدخل الفرنسيين في الشؤون الداخلية للبنان<sup>(١٤٩)</sup>.

### ٣. الموقف الدولي

#### أ. موقف الولايات المتحدة الامريكية

كانت الولايات المتحدة الامريكية مهتمة بالحوادث التي جرت في لبنان، لا طلبت حكومتها من ممثلها في الجزائر حث اللجنة الفرنسية على تسوية الخلاف واطلاق سراح المعتقلين محذرة بان الاستمرار في ذلك سيقودها لنشر بيان تعلن فيه عن تخليها المسؤولية وتتخذ الاجراءات اللازمة<sup>(١٥٠)</sup>، وبالفعل ارسلت الولايات المتحدة مذكرة شديدة اللهجة الى اللجنة الفرنسية<sup>(١٥١)</sup>، اعلنت من خلالها الولايات المتحدة ان هذا الاجراء يضر بجهود الحلفاء العسكرية<sup>(١٥٢)</sup>.

(١٤٦) الكتاب الارمني الابيض، الوثائق القومية في الوحدة السورية، المطبعة الوطنية، عمان، ١٩٤٧، ص ٢٠٩-٢١٠.

(١٤٧) د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في القدس، الموضوع: فلسطين والحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، المرقم:ش:١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٩٦٢، بتاريخ ١٦/تشرين الثاني، ١٩٤٣، ص ٣٧، ٩٩.

(١٤٨) د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في القدس، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم:ش:١٢٠٧/١٢٠٧/٨/٩٩١٥، بتاريخ ١٥/تشرين الثاني، ١٩٤٣، ص ٤٣، ١٠٦.

(١٤٩) جريدة الاوقات العراقية، عدد ٩٦٠٢، بتاريخ ١٦/تشرين الثاني، ١٩٤٣.

(١٥٠) د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في واشنطن، الموضوع: الولايات المتحدة الامريكية والحالة في لبنان، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، المرقم:ش:١٢٠٧/١٢٠٧/٨/٩٩٣٠، بتاريخ ١٦/تشرين الثاني، ١٩٤٣، و١، ص ١٠٤، جريدة العراق، عدد ٦٤٥٥ بتاريخ ١٧/تشرين الثاني، ١٩٤٣.

(١٥١) منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص ١٦١.

(١٥٢) حسين حمد الصولاخ، التطورات السياسية في لبنان ١٩٤١-١٩٥٨ رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد) ١٩٩٠، ص ٥٣.

### ب. موقف بريطانيا

اصدرت بريطانيا اثر اعتقال الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية بياناً رسمياً، نص على ان عمل السلطات الفرنسية هذا قد جرى بدون اخذ مشورة السلطات البريطانية. (١٥٣) او لبلاغها اياه (١٥٢).

وقد رفع سبيرز وزير بريطانيا المفوض في سوريا ولبنان مذكرة احتجاج الى المندوب السلمي الفرنسي هيلو معرباً عن قلق بريطانيا الشديد، ومشيراً الى ان اعتقال بشاره الخوري، ورياض الصلح يثير الرأي العام ليس في لبنان بل في جميع انحاء العالم (١٥٤).

ووجهت الحكومة البريطانية في الجزائر مذكرة الى السلطات الفرنسية بانها لن توافق على تفاقم الحالة في لبنان لانه في مثل هذه الحالة تكون مضطرة للتدخل في النهاية لاعادة النظام (١٥٥).

### ج. موقف ألمانيا والاتحاد السوفيتي

عند سماع الالمان بالاحداث التي تجري في لبنان، اذاعت برلين بياناً لسوزير خارجيتها ريبنتروب جاء فيه: "ان الشعب الالماني متضامن مع الشعب اللبناني خاصة، الشعب العربي عامة في صراعه من اجل الوحدة والاستقلال" (١٥٦).

اما بالنسبة للاتحاد السوفيتي فان الفرنسيين كانوا قد لوهوا اناء بان موسكو تؤيدهم لكن عندما سمع الاتحاد السوفيتي بالاحداث ابلى حكومتي بريطانيا وامريكا ان وجهة نظره في قضية لبنان هي وجهة نظرهما تماماً (١٥٧).

اما بلجيكا فيذكر بشاره الخوري في مذكراته الى الموقف البلجيكي من الازمة بقوله: "كان لها قنصل عام اسمه المسيو دلكوين.. انشأت مفوضيتها في بيزوت في ٢٩ من نيسان ١٩٤٢، اب بعد انشاء المفوضية البريطانية، وكان المسيو دلكوين استقلاليا بدمه فساعدنا كثيراً يوم اعتقال راشيا، وصارت علائقنا بدولته تزداد متانة بعد اعلان استقلالها التام" (١٥٨).

(١٥٣) جريدة الاوقات العراقية، عدد ٩٦٠٠، بتاريخ ١٢/تشرين الثاني/١٩٤٣.

(١٥٤) بيار زيادة، المصدر السابق، ص ١٠٠.

(١٥٥) محمد رجائي، المصدر السابق، ص ٨٥.

(١٥٦) وليد المعلم، المصدر السابق، ص ٣٩٦.

(١٥٧) منير تقي الدين، ولادة استقلال، ص ١٧٢-١٧٣.

(١٥٨) بشاره خليل الخوري، حقائق لبنانية، ج ٢، ص ١٠٣.

### المبحث الرابع

#### الافراج عن المعتقلين ونهاية الازمة

تحت الضغط الشعبي والدبلوماسي بحث ديغول الجنرال كاترو الى لبنان مكلفا اياح لحل الازمة حيث وصل الى بيروت يوم السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٤٣ وبدأ اتصاله بالزعماء ورؤساء الطوائف الدينية وفي مقدمتهم البطريرك الماروني وعندما ينس الى حل المسألة بدأ اتصاله بحكومة الثورة التي مقرها في بشامون<sup>(١٥٩)</sup>. حيث اجابت الحكومة ان مطلبنا هو عودة المعتقلين واعادة الحياة السياسية الى ماكانت عليه قبل اعتداء الحادي عشر من تشرين الثاني<sup>(١٦٠)</sup>.

لقد اسفرت مقابلات كاترو ارسال تقرير الى ديغول في السابع عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ عن الحالة في لبنان، حيث اكد بأن التدبير الذي اتخذته هيللو قد جرح شعور اللبنانيين، فوحنت الرأي العام في بيروت وختم كاترو في تقريره انه من الواجب ان تستجيب لطلب الرأي العام وصمم كاترو على اعادة بشاره الخوري الى منصبه مع وزارة جديدة، واذا لم يقبل بشاره فلا بد من العودة الى الحالة الدستورية الى ماكانت عليه قبل قرار هيللو<sup>(١٦١)</sup>.

التقي كاترو في الثامن عشر من تشرين الثاني بشاره الخوري في بيروت<sup>(١٦٢)</sup>، وتباحث معه حول الازمة وابلغه بأن ديغول لوكله حل الازمة حلا حاسما، وان له مطلبين الاول يتعلق بالوزارة حيث ان حكومته ترى من الضروري اقالته، والثاني يتعلق بالمجلس النيابي ويرى حله وانتخاب سواه<sup>(١٦٣)</sup>. لم يوافق بشاره الخوري على هذين المطلبين، وكان جوابه: ان اخرج دون حكومتي مشرطا عودة دستور البلاد واستقلالها وحريتها. فاعيد في منتصف ليلة اليوم نفسه الى راشيا<sup>(١٦٤)</sup>.

وفي التاسع عشر من تشرين الثاني قابل كاترو رياض الصلح في بيروت، واخبره الاخير بأن تصرف هيللو قد جرحه في شعوره الوطني، وأنه كان يسلك مسلكا اخر لو انه اظهر له اعتبارا اكثر وهو مستعد ان يستقيل ويعيش منعزلا، الا ان

(١٥٩) يوسف مزهر، المصدر السابق، ص ١١٦٩-١١٧٠.

(١٦٠) د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي برقم: ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٣١٤، بتاريخ ٢٧/تشرين الثاني/١٩٤٣، و ١٧، ص ٥٩.

(١٦١) مسعود ظاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص ١٨١.

Hourani, OP.Cit, P.287.

(١٦٢) احضر بشاره الخوري في ليلة الثامن عشر من تشرين الثاني بسيارة مغلقة الى بيروت من قبل الجنرال كاترو للتباحث واعادة الكرة في يوم التاسع عشر من تشرين الثاني مع رياض الصلح، للمزيد من التفاصيل ينظر بيار زيادة، المصدر السابق، ص ١٠٨.

(١٦٣) بشاره الخوري، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥، ولید المعلم، المصدر السابق، ص ٤٠٠.

(١٦٤) مسعود ظاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص ١٨١.

مواطنيه لا يرضون بتنازله، وانهم سيأتون ويرجعونه قسرا الى كرسي الوزارة<sup>(١٦٥)</sup>. واخبره ان بإمكانه (أي الجنرال) حل القضية بما يملكه من منزلة في هذه البلاد يقوي مركز فرنسا، واعيد الصلح الى راشيا في ساعة متأخرة من الليل<sup>(١٦٦)</sup>. وفي صباح اليوم التالي دخل رياض الصلح الى بشارة الخوري واخبره بما جرى مع كاترو وقال بان الاجوبة مطابقة لما اتفقنا عليه<sup>(١٦٧)</sup>.

ويذكر مسعود ظاهر بان المقابلات التي قام بها كاترو مع بشارة الخوري ورياض الصلح كل على انفراد، هي محاولة للايقاع بينهما اذ كانت هذه المناورة تهدف الى فك عرى التحالف بينهما تمهيدا لايجاد الشقاق الطائفي داخل المجتمع اللبناني فيضمن الفرنسيون بقاءهم وكان التشديد عمدا على عزل رياض الصلح، لكن بشارة ادرك مغزى هذه السياسة والتي نتيجتها القضاء عليه في فترة لاحقة<sup>(١٦٨)</sup>.

وفي التاسع عشر من تشرين الثاني وصل كايزي وزير الدولة البريطانية الى بيروت وكان لهذه الزيارة اثر مهم لانها جعلت كاترو يسرع لحل الازمة بسبب الانذار الذي سلمه كايزي الى الجنرال والذي تضمن الافراج عن المعتقلين خلال ثلاثة ايام، والا فان بريطانيا منتظرة الى اطلاق سراح المعتقلين<sup>(١٦٩)</sup>.

تشير الدلائل الى اللايادي اللامريكية وراء هذا التصلب البريطاني فالامريكيون كانوا يسعون الى الحلول مكان فرنسا بدلا من البريطانيين اذ بدأت منافستهم منذ نهاية الحرب العالمية الاولى في كافة المستعمرات البريطانية والفرنسية<sup>(١٧٠)</sup>.

(١٦٥) يوسف مزهر، المصدر السابق، ص ١١٧٩.

(١٦٦) بيارة زيادة، المصدر السابق، ص ١١٥.

(١٦٧) بشارة الخوري، المصدر السابق، ص ٤٧.

(١٦٨) مسعود ظاهر، المصدر السابق، ص ١٨١.

(١٦٩) حمدي الطاهري، المصدر السابق، ص ١٤٣؛ بدر الدين الخصوصي، المصدر السابق، ص ١١٠.

(١٧٠) بدأت الولايات المتحدة تنافس بريطانيا في كافة الاسواق العالمية خاصة الهند وكندا ونيوزيلندا والارجنتين والبرازيل وغيرها، حيث كانت ديون بريطانيا الى الولايات المتحدة في نهاية الحرب العالمية الاولى بحوالي (٤٦٠٥) ملايين دولار ذهبي يقابلها (٤٠٢٥) مليون دولار ذهبي ديون فرنسا للامريكيين، واستمر الضغط الأمريكي يتزايد على البريطانيين والفرنسيين للحلول مكانهم في الشرق الاوسط وغيره في مناطق النفوذ الاكبر فرنسي. ففي عام ١٩٣٠ حصلت شركة ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا امتيازات حق التنقيب عن البترول في الخليج العربي وفي السنة نفسها حصلت الشركة على امتيازات التنقيب في المملكة العربية السعودية. وفي عام ١٩٣٥ حصلت شركة ستاندارد اويل اوف ارابيا حق التنقيب في المناطق المحيطة بالبحر الاحمر ومنها عسير والحجاز وان المرحلة الثانية بدأت في تنازل بريطانيا بصورة رسمية ونهائية عن امتيازاتها لصالح الشركات الامريكية. اما على الساحة اللبنانية فقد دلت الاحصاءات ان الولايات المتحدة الامريكية كانت تحتل المرتبة الاولى في التصدير الى لبنان في الاعوام ١٩٤٥-١٩٤٦-١٩٤٧ مما يشير دخول الامريكان بقوة الى اسواق سوريا ولبنان، بالاضافة الى دخول السياح الامريكيين الذين بلغت نسبته (١٧) الف

ارسل كاترو في العشرين من تشرين الثاني ١٩٤٣ الانذار البريطاني مع ملاحظاته الشخصية، واكد على ان تظهر فرنسا حسن نيتها وعدم ترك المجال لسفاه بريطانيا على حساب فرنسا<sup>(١٧١)</sup>. واعطى كاترو رأيه بالموضوع والذي يقوم على اعطاء فرنسا نوع من التسامح للمعتقلين السياسيين اللبنانيين واطلاق سراحهم وان مبادرتها بذلك لن تفقدها كرامتها<sup>(١٧٢)</sup>.

وفي صباح الثاني والعشرين من تشرين الثاني قررت اللجنة الفرنسية في الجزائر بعد ان درست الانذار البريطاني الافراج عن الرئيس بشارة الخوري ورياض الصلح ورفاقه المعتقلين في قلعة راشيا واستدعاء هيللو واستبداله<sup>(١٧٣)</sup>. فاستقبلت لبنان ذلك بابتهاج عظيم وفي اليوم نفسه توجه كاترو الى دار رئيس الجمهورية بشارة الخوري واستدعى رياض الصلح على وجه السرعة<sup>(١٧٤)</sup>. واجتمع الثلاثة مدة ساعتين تحدثوا فيها عن الوضع السياسي حيث طلب الجنرال استقالة الوزارة الا ان بشارة الخوري ورياض الصلح اصرا على عودة كل شي على ماكان عليه<sup>(١٧٥)</sup>.

وفي الثالث والعشرين من تشرين الثاني بعث كاترو كتابا الى رئيس الجمهورية يخبره ان لجنة التحرير الفرنسية لاتعترف بوزارة رياض الصلح وان عودته الى الحكم امر غير ممكن<sup>(١٧٦)</sup>.

سأى من ال (٧٢٠) صالح خلال اعوام (١٩٣٣-١٩٣٨)، بالاضافة الى مشاركة طلاب الجامعة الامريكية في بيروت واساتذتها اشتراكا فعليا في مظاهرات الاستقلال التي كانت تنطلق من حرم الجامعة الامريكية في الاحداث الاخيرة (تشرين الثاني ١٩٤٣) مما يدل على نية الامريكيين في الحلول مكان الفرنسيين ومنع البريطانيين من قطف ثمار هزيمتهم. ينظر سعود ظاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص ١٨٤-١٨٥.

<sup>(١٧١)</sup> ملير نقي الدين، ولادة استقلال، ص ٢٠٩.  
<sup>(١٧٢)</sup> ارسل الجنرال كاترو مذكرة ردا على الانذار البريطاني ابدى فيها احتجاجه على المدة المحددة. ينظر: بيار زيادة، المصدر السابق، ص ١٨٨.

<sup>(١٧٣)</sup> يوسف مزر، المصدر السابق، ص ١١٨٤؛ مسعود ظاهر، المصدر السابق، ص ١٨٨-١٨٩.  
Philip S.Khoury, Syria and The French Mandate, The Political of Arab Nationalism (1920-1945), New Jersey, 1987, P.615.

<sup>(١٧٤)</sup> د.ك.و، ٣٦٦/ تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، المرقم: ش/١٢٠٧/١٢٠٧/١٣١٨، بتاريخ ٢٥/تشرين الثاني/١٩٤٣، و، ٢٠، ص ٦٩؛ محمد رجائي، الامة السياسية اللبنانية علم ١٩٤٣، ص ٨٦.

<sup>(١٧٥)</sup> د.ك.و، ٣٦٦/٣١١، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، و، ١٨، ص ٦٣-٦٤.

<sup>(١٧٦)</sup> د.ك.و، ٣٦٦/٣١١، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، موضوع: المراسلة الجارية بين رئيس الجمهورية اللبنانية والجنرال كاترو، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي المرقم: ش/١٢٠٧/١٢٠٧/١٣٥٣، بتاريخ ٢٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و، ١٤، ص ٥٣.



وقد احدث هذا القرار رد فعل عنيف في البلاد مما زاد الاضراب وكثرة المظاهرات للمطالبة باعادة الوضع الدستوري كما كان في السابق<sup>(١٧٧)</sup>. ونتيجة للضغط الشعبي والجهادي عقدت لجنة التحرير الفرنسية اجتماعا في مساء الثالث والعشرين من تشرين الثاني وافقت فيه على اعادة الحياة الدستورية التي ماكانت عليه وعودة الوزارة الى الحكم<sup>(١٧٨)</sup>. واعطى رياض الصلح اوامره بانتهاء المظاهرات<sup>(١٧٩)</sup>.

ومن جانبه اجتمع الجانبان اللبناني والفرنسي في التاسع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ وحضر عن الجانب اللبناني بشارة الخوري ورياض الصلح وسليم نقلا، وبينما حضر عن الجانب الفرنسي كاترو وبارت، وفي هذا الاجتماع عبر كاترو عن شعوره في امكانية حل كثير من المسائل بطريقة ودية في الوقت الذي يمكن اعطاء وضع مميز، ولكن الجانب اللبناني رفض ان يرتبط بشيء من هذا مع الفرنسيين، توصلت الحكومة اللبنانية الى نتيجة هي ان أي اعتراف بذلك سيستغله الفرنسيون عاجلا ام اجلا<sup>(١٨٠)</sup>.

وفي الاول من كانون الاول عام ١٩٤٣ عقد المجلس النيابي اول جلسة له بعد الاحداث، وامتلت قاعة الاجتماع بالنواب واقتتح صبري حمادة المجلس النيابي بكلمة انثى فيها على موقف النواب، كمالقى رياض الصلح رئيس الوزراء خطابا بسط فيه الحوادث الخطيرة التي جرت على البلاد لتقرير مصيرها ولدعم استقلالها<sup>(١٨١)</sup>. واكد رياض الصلح بأن الحكومة اللبنانية لم تعترف بالانتداب ولن تعترف به، ثم قال امام النواب: "للبنان الحق في ان يكون حرا وان استقلاله قد تأمن من قبل تعهدات الحلفاء وميثاق الاطلنطي"<sup>(١٨٢)</sup>.

وكذلك حيا المجلس الجماهير اللبنانية التي برهنت عن وعيها ونضوجها، وسجل المجلس الشكر للدول التي ابنت البلاد في مطالبها المشروعة وبساندتها في جهادها، وخاصة دول بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي والدول العربية منها مصر والعراق والسعودية وسوريا وامارة شرق الاردن، كما قدم المجلس

(١٧٧) د.ك.و، ٣٦٦/تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، المرقم: ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٢٥٥، بتاريخ ٢٤/تشرين الثاني/١٩٤٣، و٢١، ص ٧٠.

(١٧٨) د.ك.و، ٣٦٦/تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، المرقم: ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١٠٣٥٣، بتاريخ ٢٨/تشرين الثاني/١٩٤٣، و١٤، ص ٥٣؛

د.ك.و، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، ١٨، ص ٦٤. (١٧٩) محمد رجائي، الازمة السياسية اللبنانية عام ١٩٤٣، ص ٨٦.

(١٨٠) المصدر نفسه، ص ٨٧.

(١٨١) بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج ٢، ص ٦٥-٦٦.

(١٨٢) محمد رجائي، الازمة السياسية اللبنانية، عام ١٩٤٣، ص ٨٧.

شكره للمؤسسات اللبنانية من نقابتي المحامين والاطباء والصحافة ومؤسستي الكتاب والنجادة والمؤتمر الوطني اللبناني<sup>(١٨٣)</sup>.

#### الخاتمة

يتضح من السطور التي تناولتها في هذه الدراسة، ان الشيخ بشارة الخوري شخصية لبنانية وطنية بارزة، تركت مواقفها الوطنية لطباعا جيدا في نفوس الوطنيين اللبنانيين فالتفوا حوله وارتفعت مكانته بينهم، وكانت اراءه ومواقفه تحظى بترحيب ومباركة مكونات الشعب اللبناني كافة، وبخاصة دعواته وسياسته نحو الوحدة الوطنية اللبنانية، والتي ترجمها بالميثاق الوطني عام ١٩٤٣، اذ رأى الخوري ان من اسباب زعزعة الاستقرار السياسي في لبنان يكمن في تمسك المسيحيين اللبنانيين بالسياسة الطائفية التي ارضى دعائمها الانتداب الفرنسي، ولذلك عمل الخوري طيلة حياته السياسية على جعل لبنان بلدا مستقرا وذا سيادة كاملة عن طريق ترصين وحدة الصف الوطني، ولم يكن اعتقاله وهو الرئيس الشرعي الا تعبير عن فشل السياسة الفرنسية في احتوائه بعد ان فشلت جميع اساليبها في الضغط عليه لتشهد البلاد انتفاضة شعبية عارمة تطالب باطلاق سراحه وتعكس رغبته في استقلال البلاد واستكمال وحدته، كما ان صدى الازمة لم يتوقف عند حدود لبنان، بل شهد الاعتقال استياءا عربيا ودوليا، بوصفه سابقة لم يشهد لها مثيل في العالم لاشك ان فشل المندوبية الفرنسية بأزاحة الخوري عن السياسة اللبنانية يعد انتصارا للنهج السياسي المستقل الذي فاده هدفا بانتشال لبنان من التمزق والتجزئة والضياع، ولخيرا ان هذه الدراسة تعد درس سياسي كبير على الشعب اللبناني خاصة والشعب العربي عامة استيعابه والعمل على اساسه وبخاصة في هذه المرحلة الحرجة من تاريخنا العربي الراهن.

(١٨٣) د.ك.و، ٣١١/٣٦٦، تقارير المفوضية العراقية في بيروت، موضوع: شكر المجلس النيابي للجهات التي اظهرت عطفها على القضية اللبنانية، كتاب وزارة الخارجية الى الديوان الملكي، المرقم: ش/١٢٠٧/١٢٠٧/٨/١١٩٦، بتاريخ ٣/كانون الثاني/١٩٤٤، و٣، ص ٨.

## قوى العصف في الانتخابات الأمريكية

لعام ٢٠٠٤

الأستاذ المساعد الدكتور

وانسل محمد إسماعيل

كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

### المقدمة

عكس انتخاب الرئيس وفقاً للدستور الأمريكي والواقع العملي توازن مقبول تشهده الولايات المتحدة كل أربع سنوات. إذ تم إنشاء ما يسمى بالمجمع الانتخابي Electoral College والذي تم توزيعه بين الولايات بحيث يكون لكل ولاية عدد من الأصوات الانتخابية مساوياً لعدد أعضائها في مجلس النواب والشيوخ معاً. ومن ثم صار لكل ولاية على الأقل ثلاثة أصوات انتخابية (عضوان في مجلس الشيوخ وعضو واحد على الأقل من مجلس النواب وفقاً لحجم السكان)<sup>(١)</sup>.

ولا يمكن واقعياً فهم الكثير مما يدور في الولايات المتحدة الأمريكية دون اخذ الطابع الفيدرالي للدولة في الاعتبار. وذلك بدءاً بطبيعة العملية السياسية، ومروراً بطبيعة المؤسسات والمنطق الذي تقوم عليه هيكلها وقواعدها الداخلية. ووصولاً إلى تحليل الخطاب السياسي بين القوى المختلفة وربما تكون طبيعة العملية الانتخابية هي أحد أهم تجليات الطابع الفيدرالي للدولة. فهي عملية بالغة التعقيد والتشابك لأن القواعد والقوانين الحاكمة تختلف اختلافات كبيرة من ولاية أخرى.

وعليه تعكس السطور في هذا البحث بعض مفارقات الأحداث الدرامية التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية وتابعتها العالم حول الانتخابات الأمريكية ولفترة سابقة لها بأسبوع واحد أي في يوم ٢٦/١٠/٢٠٠٤، علماً أن موعد الانتخابات كان مقرراً ووفقاً للدستور الأمريكي في الأسبوع الأول من شهر تشرين الثاني في يوم ٢٠٠٤/١١/٢.

غاية البحث:

(١) د. منذر الشوربجي، انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ٢٠٠٠، مجلة السياسة الدولية المصرية، العدد ١٤٣، كانون الثاني ٢٠٠١، ص ١٠.

معرفة القوى الرئيسية التي ستصمم الفائز في الانتخابات المقبلة. ووفقاً لذلك ارتبنا تقسيم البحث الى المحاور التالية:

١. نبذة مختصرة عن طبيعة النظام السياسي الأمريكي والاحزاب في الولايات المتحدة.
٢. نبذة مختصرة عن الانتخابات الأمريكية والقواعد التي تستند اليها.
٣. قوى التحكم في الانتخابات الأمريكية.
٤. قوى الحسم الرئيسية في الانتخابات الأمريكية.
٥. ابرز ولايات الحسم الحالية في الانتخابات الأمريكية.

اولاً: نبذة مختصرة عن طبيعة النظام السياسي الأمريكي والاحزاب في الولايات المتحدة

وللتعريف بهذا الموضوع سنتناول ما يأتي:

١. مقدمة عن الولايات المتحدة وظروف نشأتها
٢. طبيعة الاحزاب في الولايات المتحدة
٣. هزيمة المجتمع الأمريكي وابرز خصائصه
٤. دور اليهود في الولايات المتحدة
١. مقدمة عن الولايات المتحدة وظروف نشأتها:

تعد الولايات المتحدة الأمريكية واحدة من الدول الكبرى مساحة وسكاناً وتنوعاً من حيث العناصر والاجناس التي تتكون منها<sup>(١)</sup> وقد تأسست عام ١٧٨٧ على ضوء انبثاق دستورها الدائم ك دولة تعتمد النظام الجمهوري الفيدرالي الرئاسي، تكونت من ثلاث عشرة ولاية أمريكية ثم توسعت لتضم خمسين ولاية أمريكية الى جانب مقاطعة كولومبيا مقر الحكومة الفيدرالية والمعروفة واشنطن دي سي، بعد ان قدمت كل من ولاية ماريلاند وفرجينيا قسماً من اراضيها لتكون مقاطعة كولومبيا ومركز مدينة حكومة الاتحاد-واشنطن<sup>(٢)</sup>.

علماً ان مقر العاصمة هذا قد ولد فكرة بلورته خلال فترة حكم اول رئيس وهو جورج واشنطن ١٧٣٢-١٧٩٩/١٢/١٤ حكم للفترة من ١٧٨٩-١٧٩٧. وتقع على ضفة نهر بوتوماك نفس المكان الذي عاش فيه جورج واشنطن وكانت مدينة

(١) هنري كيسنجر، هل تحتاج أمريكا الى سياسة خارجية؟ ترجمة عمر الايوبي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠٠٢، ص ٨-١٠.

(٢) ماكس سكيديمور ومارشال كارتر وانك، كيف تحكم أمريكا، ترجمة د. نظمي لوقا، القاهرة، مطبوعات كتابي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢، ص ٣٢-٥٥.

فيلادلفيا المقر المؤقت للحكومة حتى عام ١٨٠٠ انتقل الى العاصمة واشنطن بعد ان تم اكمال بنائها في عهد الرئيس جون ادامز والذي حكم للفترة من ١٧٩٨-١٨٠١. وقد تعرضت العاصمة للدمار في الحرب الامريكية البريطانية عام ١٨١٢ بعد احتلال العاصمة واحراقها لمدة ثلاثة ايام فكان من الطبيعي ان تترك سمات المجتمع الامريكي في مراحلها المتعاقبة اثارها على النظام السياسي الامريكي، فكونه مجتمعاً هجيناً تكون بفعل الهجرات الاولى المتتالية، اتسعت مطالبة وتتوعد غاياته كان لابد من وعاء يمكنه احتواء وتلبية المطالب للمختلفة للمجتمع الامريكي المتطور<sup>(١)</sup>.

فكان الدستور من خلال ثمره تطور ونمو ولكبها المؤسسون والشعب الامريكي من خلال الصراع المستمر مع المستعمر الانكليزي كمرأة للواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي خلال فترة الاستعمار الانكليزي.

## ٢. طبيعة الاحزاب في الولايات المتحدة:

الحزب السياسي في الولايات المتحدة كمفهوم يختلف عن الاحزاب السياسية في العالم. فالمفهوم الأكثر تقارباً مع واقع امريكا هو "جهاز يقوم بتسمية مرشحيه للوظائف الرسمية في الحكم ويقوم بادارة الحملات الانتخابية لاختيار الرئيس الامريكي واعضاء السلطة التشريعية". فقد نجد الايديولوجية الحزبية في الاحزاب الصغيرة والمحلية داخل امريكا. ولكن فيما يخص الحزبين لا توجد ايديولوجية عدا الايمان بالراسمالية فقط وليس لهما اجتماعات منظمة او مناقشات ثابتة فضلاً عن ذلك ان العضوية ليس لها بطاقات هوية ولا اجتماعات مبرمجة ولا انتخابات جماهيرية لهذا شبههم البعض بالطاووس الذي ينهض كل سنتين الى اربع سنوات ليحترق رماداً بعدها. حقيقة كلاهما جمهوري وكلاهما ديمقراطي والخلافات بين المهم والاهم والاسرع او الابطأ او الايفاء بالوعود عند حدها المناسب.

لأجل ان اللجنة القومية للحزب ليس لها سلطة مركزية على الاحزاب في الولايات. فكل ولاية فرع للحزب الديمقراطي مثلاً هو بمثابة حزب مستقل فالحزب الديمقراطي في ولاية مسيسيبي مثلاً يختلف عن الحزب الديمقراطي في ولاية نيويورك أي لامركزية على مستوى الاحزاب.

وظاهرة لاحزبية بعض الولايات او فردية الولاء الحزبي فمثلاً ولاية لويزيانا لها ولاء حزبي فردي وهو للحزب الديمقراطي فقط وكذلك ولاية من ونيوها مبشايير وفيرمونت .

(١) مكس بيلوف، الحكومة الفيدرالية الامريكية، ترجمة حسن مراد، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٠٠، ص ٤٨.

وكذلك توجد ولايات غير حزبية تماماً مثل مينيسوتا ونبراسكا التي تنتخب مجالس ولايتها التشريعية بالاقتراع غير الحزبي<sup>(٥)</sup>.

انطبق النظام الحزبي اصلاً من الصراع في المستعمرات في مرحلة ما قبل الاستقلال ١٧٧٦ بين المؤيدين للمصالح البريطانية والذين عرفوا بالمحافظين وبين انصار الحكم الذاتي وسماوا بالاحرار. وبعد الاستقلال ظهر الصراع بين الاتحاديين ومعارضى الاتحاديين المنادين بالحكم الذاتي.

وفي رئاسة واشنطن الاولى برز الصراع بشكل تحزب حين تزعم الاسكندر هاملتون ومعه واشنطن الاتجاه نحو الاتحادية (أي المركزية الفيدرالية) لحماية اصحاب الاملاك. في حين تزعم توماس جيفرسون (مؤسس الحزب الجمهوري للقديم الذي سمي بالديمقراطية عام ١٨٢٨ وبقي الى الآن) الاتجاه المعارض للاتحادية والمؤكد على انصار حقوق الفرد وتحول حزب واشنطن وهاملتون الداعي الى الاتحادية عام ١٨٣٠ الى حزب الاحرار وعام ١٨٥٤ الى الحزب الجمهوري الجديد الحالي.

يمثل الحزب الجمهوري كل من الضواحي والمدن الصغرى والفلاحون والحرفيون والاداريون والمحترفون وكبار السن والبروتستانت وهو حزب الطبقات العليا (المهاجرون ذوو الاصول الانكلو سكسونية اصحاب رؤوس الاموال والبنوك والشركات الكبرى والضباط واصحاب العقارات) كونهم يؤمنون بالقوة والحزم السياسي والتفافس الحر المدعوم بقوة السلاح وتطرفهم للعنصر الانكلوسكسوني وامتيازه عن الاقوام الاخرى.

لهذا هو حزب الشمال الغني الذي يأخذ من القليل شعاراً له لابرارز قوته، اما الحزب الديمقراطي فهو يمثل المدن الكبيرة واتحاد العمل والعمال الامريكيين السود والشباب الأمريكي واكثر الكاثوليك واليهود يميلون له. كذلك هو حزب الشرائع المتوسطة والاقليات عامة وخاصة لليهود والسود. وهو الحزب الاقل غنى والاكثر فقراً ويتخذ من رسم الحمار شعار له رمزاً للتواضع والجد.

الذي يحسم الحزبية هو الناخب الأمريكي. ولكن الناخب يتعرض لضغوط الاعلام وجماعات الضغط والمصالح لهذا نجده غير ميل للمشاركة في التصويت وعدم الاهتمام بالسياسة وعدم ثباته في الولاء الحزبي فهو اليوم ديمقراطي وغداً

(٥) للمزيد انظر: وائل محمد اسماعيل، النظام السياسي الأمريكي: دراسة في العلاقة بين الرئيس والكونغرس في الشؤون الخارجية، اطروحة دكتوراه غير منشورة في العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٤.

جمهوري وبعد غد ديمقراطي او مستقل. كذلك ضعف ارتباطه بوجهات نظر الحزب الذي ينتمي اليه<sup>(١)</sup>.

وهناك احزاب وقتية ومحلية وصغيرة داخل الولايات المتحدة ليس لها أي تأثير. اما ظاهرة الحزب المستقل فهي ظاهرة ارتدادية تظهر لما عن الانشقاق في احد الاحزاب الكبيرة كما حصل في حالة المرشح المنشق من الحزب الجمهوري جون اندرسون في انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠ حيث خاض معركة الانتخابات التمهيدية داخل الحزب الجمهوري ثم اعلن في ٣ نيسان ١٩٨٠ عن رفضه اكمالها وتشريح نفسه مستقلاً في الانتخابات النهائية. لو ناجم عن القدرة المالية العالية المتاحة لأحد المرشحين في كسب الاصوات وحزب احد المرشحين لصالح الاخر كما حدث في الملياردير روز بيرو في انتخابات الرئاسة لعام ١٩٩٢ ورالف نادر في انتخابات عام ٢٠٠٠.

### ٣. هرمية المجتمع الامريكي وابرز خصائصه:

يوضح الشكل المرسوم كهرم هرمية المجتمع الامريكي وكيفية التأثير عليه واوزان القوة والتأثير فيه. اما ابرز خصائص المجتمع الامريكي فهي كالتالي:

١. تساعد نسب واساليب ونوع الجريمة في الولايات المتحدة حيث تبرز كأعلى دولة في العالم في نسب الجرائم. ووفق تقدير مركز مكافحة الجريمة فان في كل ثلاث دقائق ترتكب جريمة في امريكا.
٢. تساعد نسب الامية اذ تقدر بـ ٧٠ مليون نسمة أي أكثر من ربع سكان الولايات المتحدة.

٣. تساعد نسب المخدرات ووفقاً لتقديرات المعهد القومي للمخدرات فان عدد الذين يتعاطون الماريجوانا للفترة ١٩٩٨-٢٠٠٠ بلغ ٤٠ مليون شخص.

٤. عدم اهتمام المواطن الامريكي بالسياسة كونها حسب اعتقاده لعبة وخداع<sup>(٢)</sup>.  
ولمة توصيف امريكي لامريكا بانها مجتمع مغموور بالمصالح والربح الذي لا يستقيم مع القيم. وهذا التوصيف ينكر ان الرأسمال الامريكي يوافق على أي استخدام حين يكون الربح ١٠% ويكون ناشطاً أكثر حيث يكون الربح ٢٠%. ويندفع بقوة حينما يكون الربح ٥٠%.

وينوس على جميع المبادئ والقيم البشرية حينما يكون الربح ١٠٠% ولا توجد جريمة في العالم دون ان يكون هو القائم بها حينما يكون الربح ٣٠٠%<sup>(٣)</sup>.

(١) روبرت ديكليريكو وآلان هاموك، اراء في الحكومة والسياسية الامريكية، ترجمة تاملر توفيق، القاهرة، دار المعارف، ط١، ٢٠٠٠، ص ٢٨-٣٤.

(٢) عبد العظيم مناف، العراق وامريكا، القاهرة، دار الوقف العربي، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٦-٣٤.

(٣) تمام البرازي، امريكا هذا الرقم المستحيل بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩٨، ص ٥٤-٥٥.

ووفق هذه الهرمية وهذا التوصيف ثمة تساؤلات:

س١) لماذا لا تكون الضريبة تصاعدية في الولايات المتحدة.  
س٢) منصب الرئيس لا ينبغي اشغاله من عسكري عدا حالات ثلاث جورج واشنطن باعتباره منح شرف كجنرال قائد قوات حرب الاستقلال. وكذلك الرئيس اوليس كرانت وقتل فيما بعد. وايزنهاور وكان قائد قوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.  
ومنصب وزير الدفاع لم يشغله عسكري بتاتاً ومساعدته مدني ويكاد اقوى من نائبه العسكري الرتبة. لماذا؟

س٣) لماذا لم يتشكل حزب ثالث قوي في امريكا.  
س٤) لماذا لم يكشف عن الحكومة الخفية في امريكا.  
واسئلة عديدة لا مجال لذكرها.

#### ٤. دور اليهود في الولايات المتحدة:

عدد الاقلية اليهودية في امريكا ستة ملايين او اكثر علماً ان هذا العدد صار ثابتاً كرقم معنن لمدة تجاوزت الـ ٧٠ عام ويذكر ان احد الامريكيين عمل مؤخراً احصاء لعددهم الا انه قتل قبل انتهاءه من الرقم المحدد لهم.  
أي انهم يمثلون ٣% من سكان امريكا. ونجاح هذه الاقلية متعلق بقدرتها على استغلال مصادر الضعف في تركيبة النظام السياسي الامريكي وديناميكيته وتعود الى مصادر قوتهم المتمثلة في<sup>(١)</sup>:

- أ. قوتهم الثقافية التي ترجمت الى قوة سياسية.
- ب. المشاركة الفعالة في الانتخابات مقارنة بالفرد الامريكي الخامل وغير المكثرت.
- ج. القوة في التنظيم وفي التبرع وفي التصويت وفي الضغط على المرشحين وفي الضغط على الراي العالم.
- د. التأثير الكبير في نطاق رؤوس الاموال (سوق الاسهم، البنوك، التأمين) وهذا يمكنهم من استمالة اعضاء الكونغرس.
- هـ. هيمنتهم على جزء كبير من المهن المهمة في الطب والقانون والتعليم الجامعي.
- و. الترشيح للانتخابات وخصوصاً في الكونغرس.
- ز. احتلالهم مواقع مهمة كمستشاري للسلطين التنفيذية والتشريعية.
- ح. احتلالهم لمناصب مهمة في اجهزة الاعلام ومالكي صحف ودور نشر ووسائل اعلام.

(١) عبد الحي يحيى زلوم، امبراطورية الشر الجديدة، بيروت، دار المطبوعات للنشر، ط١، ٢٠٠٣، من ١٨٨-١٩١.



- ط. تغلغلهم في مؤسسات تعد جزء من الحكومة الخفية مثل اللجنة الثلاثية ومجلس العلاقات الدولية.
- ي. قوة الضغط المتاحة لهم قانوناً من خلال لجنة الشؤون العامة الأمريكية-الاسرائيلية (الايبيك). سجلت عام ١٩٥٤ في الكونغرس كلوبي رسمي.
- ك. القاعدة الجماهيرية الواسعة التي تحظى بها من خلال فكرة التسامح الديني والعطف على اليهود.
- ل. تركيزهم في اهم الولايات الأمريكية المتحكمة في الوصول الى كرسي الرئاسة.
- م. نسبة مشاركة اليهود في الانتخابات الأمريكية تصل الى ٩٠% بينما لا تتجاوز نسبة المشاركة لعموم امريكا ٥٠% من سكان امريكا.
- ن. حرصهم على رئاسة اللجان المهمة في الكونغرس الدائمة او الفرعية او المشتركة.
- س. سيطرتهم وملكيتهم لأهم وسائل الاعلام المؤثرة مثل (الواشنطن بوست القريبة من البنتاغون ونيويورك تايمز القريبة من الخارجية ولوس انجلز تايمز وول ستريت جورنال القريبة من المخابرات الأمريكية).
- ع. التأثير في الحقل الديني عبر غزو وتحرير الكنائس باناجيل العهد الجديد وابعادها عن الخوف من اليهود.
- ناهيك عن الجامعات الرئيسية ودور السينما البارز...الخ.

ثانياً: نبذة مختصرة عن الانتخابات الأمريكية والقواعد التي تستند اليها:

وللتعريف بالموضوع سنتناول ما يأتي:

١. آلية الانتخابات الرئاسية الأمريكية.
  ٢. القواعد التي تحكم الانتخابات الأمريكية.
  ١. آلية الانتخابات الرئاسية الأمريكية:
- تجري الانتخابات عادة بمرحلتين الاولى في شباط من عام الانتخابات الرئاسية للاختيار بين مرشحي كل حزب من يمثلهم اخيراً في الانتخابات الرئاسية، والثانية في اول ثلثاء من شهر تشرين الثاني كان يكون ١ او ٢ الى ٧ في الشهر حسب كل سنة. وعادة المرشحون للرئاسة يختارون في مؤتمرات تعقدها الاحزاب السياسية ويختار كل حزب سياسي مدينة لعقد مؤتمره (المدينة ينبغي ان تكون محسوبة لهم ومؤثرة في الآخرين وفي الانتخابات اخيراً) وعادة تعقد المؤتمرات في اول صيف سنة الانتخاب كما جرت هذه السنة في اب الماضي. ودائرة كل ولاية ترسل وفداً من قبلها. وبعد ان ينتخب المؤتمر موظفيه ولجانه ويوافق على خطة الحزب يشرع في تعيين المرشحين للرئاسة ونياية الرئاسة ويطلب خطيب المؤتمر ترشيح الولايات. وكلما ذكر

اسم ولاية يعلن وفود الولاية مرشحهم للرئاسة. وبعد ان يسمي وفد كل ولاية مرشحه تصوت الوفود للمرشح. والاسم الذي ينال اكثرية الاصوات يصبح مرشح الحزب للرئاسة في انتخابات تشرين الثاني.

وفي انتخابات تشرين الثاني ينتخب الناخبون من كل ولاية منتخبين الرئيس ويكون عددهم مساوي لعدد النواب والشيوخ لكل ولاية في الكونغرس، وهؤلاء الناخبون تختارهم الاحزاب السياسية لمجرد التصويت لمرشحي الحزب للرئاسة وللنيابة عن الرئيس.

أي لهذا الغرض فقط، والناخبون من الـ ٥٠ ولاية يعرفون باسم الكلية او الهيئة الانتخابية او الناخبون الكبار، ولكنهم لا يجتمعون فعلاً البتة لان التعديل الثاني عشر للدستور يوعز بأن الناخبين يجتمعون في ولاياتهم لكي يصوتوا هناك. والكلية الانتخابية تلتخب الرئيس ونائب الرئيس.

ويتولى الرئيس المنصب في ٢٠ كانون الثاني بعد انتخابه في تشرين الثاني في حفلة تسمى (حفلة التولية) او (المبايعة) والعادة ان يمضي الى مقر (الكابيتول هيل) أي مقر الكونغرس لكي يحلف يمين المنصب وهي يمين يملئها عليه القاضي الاعلى للولايات المتحدة أي رئيس المحكمة العليا في امريكا<sup>(١٠)</sup>.

والانتخابات التمهيدية التي تجري في شباط من سنة الانتخاب ثلاثة انواع في امريكا هي:

أ. بطاقات مغلقة اذا كانت العضوية في بطاقات تسجيل اذ يسلم الناخب بطاقة انتخابية عليها اسماء مرشحي الحزب الذي ينسب اليه، فيختار اسم او الاسماء التي يراها مناسبة.

ب. بطاقات مفتوحة اذا كانت للعضوية غير معروفة، اذ يتسم فيها بطاقتين جمهورية وديمقراطية ولكن عليه استعمال واحدة فقط وتأشير ما يراه من الاسماء المقيدة فيها.

ج. بطاقة اقتراع واحدة تحتوي كافة المرشحين دون تفريق لانتماءاتهم الحزبية ويختار المرشح منهم اذا كانت الولايات غير حزبية كولايتي نبراسا ومينيسوتا.

٢. القواعد التي تحكم الانتخابات الامريكية:

تحكم الانتخابات الرئاسية في امريكا القواعد التالية<sup>(١١)</sup>:

(١٠) وائل محمد اسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢-٨٨.

(١١) Gitelson Dudley Bubnick, American Government, Boston: Houghton Mifflin Press, 2003, p.213.

أ. القاعد التي تقول الفائز يحصل على كل شيء Winner Take All بمعنى ان المرشح الذي يحصل على أعلى نسبة من الاصوات الشعبية في الولاية (أي اصوات الناخبين) يفوز بكل لصوات تلك الولاية في المجمع الانتخابي او الهيئة الانتخابية.

(هذا يعني ان الذي يحسم النتيجة هم الهيئة او الناخبون الكبار أي أقلية في امريكا فقط عددهم ٥٣٨ فرد). بينما لا يحصل منافسه على شيء على الاطلاق، ولا يشترط ان تكون النسبة الا على هذه الاغلبية بالضرورة. فمن الممكن ان يحصل المرشح على ٣٨% مثلاً من اصوات الناخبين فيصبح هو الفائز طالما ان ايّا من منافسيه لم يحصل على نسبة اعلى من ذلك.

بعبارة اخرى اذا حصل المرشح (أ) على ٣٨% وحصل (ب) على ٣٧,١% من اصوات الناخبين الكبار يصبح المرشح (أ) هو الفائز بكل اصوات الولاية. بينما يتساوى المرشح (ب) مع المرشح (م) الذي لم يحصل الا على ٢% من اصوات الناخبين اذا لا يحصل كلاهما على أي شيء على الاطلاق.

ب. قاعدة اخرى ان مرشح الرئاسة يحتاج لكي يصبح رئيس. ان يفوز بـ (٢٧٠) صوت انتخابي كأدنى حد أي أكثر من نصف الـ (٥٣٨).

ومن هنا يأتي الاختلاف في الاصوات الشعبية التي يحصل عليها المرشح في الاصوات الانتخابية. فاذا تصورنا مثلاً ان المرشح (أ) قد فاز في كاليفورنيا (٥٤) ونيويورك (٢٣) وتكساس (٣٢) وفلوريدا (٢٧) فانه قد يكون حصل على (١٢٥) صوت بينما يحصل منافسه على صفر. وفي كل الاحوال سيحصل الاصوات جميعها في تلك الولايات ويكون الرئيس انتخابياً وشعبياً بيد انه أحياناً يفوز الرئيس انتخابياً ويخسر بعض الاصوات شعبياً. الا ان المعيار يبقى للولول وهذا حدث ثلاث مرات في التاريخ الأمريكي.

عام ١٨٧٦ حين فاز هايز بالرئاسة رغم ان منافسه صاموئيل تيلدن فاز في الاصوات الشعبية.

عام ١٨٨٨ حين فاز بينامين هاريسون بالرئاسة رغم فوز منافسه جروفر كليفلاند بالاصوات الشعبية.

وثالثة عام ٢٠٠٠ في حالة فوز بوش مع منافسه الذي تفوق عليه شعبياً آل غور.

الواقع ان سبب إيجاد نظام الكلية الانتخابية هو لاحداث التوازن والقوة في التصويت بين الولايات الصغيرة والكبيرة، كي لا تستأثر الكبيرة السكان على قليلة السكان. وتكون جميع الولايات مهمة للمرشحين.

ج. قاعدة الثالثة<sup>(١٧)</sup> يجتمع الناخبون المعلنون الذين يتم اختيارهم عن طريق كونغرس كل ولاية لعند متساوي لعندهم في مجلس النواب والشيوخ. علماً ان عدد كل ولاية يخضع للتغيير كل دورة رئاسية حسب الهجرة من ولاية لاخرى وحسب كثافة سكانها. هؤلاء الناخبون المعينون يجتمعون كل في ولايته ويقترعون بنظام الاقتراع السري لانتخاب الرئيس ونائب الرئيس، ويجب ان يكون واحد منهما على الاقل من غير المقيمين في الولاية نفسها معهم. ويذكرون اسم الشخص الذي ينتخبونه رئيساً في بطاقات مستقلة. ويجري التصويت في يوم يحدده الكونغرس الأمريكي الاتحادي في كل الولايات بوقت واحد وفي يوم واحد.

وترسل بطاقات الاقتراع الى مقر حكومة الولايات المتحدة موجهة الى رئيس مجلس الشيوخ الذي يقوم امام اعضاء المجلس واعضاء مجلس النواب بغض هذه القوائم واحصاء عدد الاصوات والشخص الذي يظفر باكثر عدد الاصوات يكون الرئيس. ولذا لم يحصل المرشحين على النسب المرشحة له كرئيس أي اعلى من ٢٧٠ صوت فعندئذ على مجلس النواب ومجلس الشيوخ القيام بالوظيفة ذاتها على ان لا يتجاوز الفصل والبت في ذلك بموعد لقضاء الاسبوع الاول من كانون الاول او كانون الثاني كحد اعلى لاختيار الرئيس ونائبه وان فشل الكونغرس بذلك، ولم يحقق الرئيس الاغلبية عندئذ يصار الى الانتخاب بواسطة مجلس الكونغرس. مجلس النواب يختار الرئيس ومجلس الشيوخ النائب. ولكن يكون لكل ولاية صوت واحد سواء في النواب او الشيوخ والنصاب القانوني هو ثلثي الولايات، ويفوز المرشح الذي يحصل على اغلبية اصوات الولايات. وهذا ينطبق على الرئيس ونائبه.

د. القاعدة الاخيرة هي اسلوب الانتخاب ونوع الآلات المستخدمة والموعد النهائي لاعلان النتيجة. وهذا يختلف من ولاية لاخرى واي تزوير او منازعات تحسم من قبل المحاكم المحلية في الولايات. ولكل ولاية مقاطعات ولكل مقاطعة الحق في اختيار شكل البطاقة الانتخابية بل ونوع الآلة التي يتخذ منها الناخب للدلاء بصوته.

فقسم من الولايات تستخدم القلم للتأشير على المرشح او اشارة توضع على المرشح كشرط مثلاً. او قلم يخترق البطاقة واسم المرشح المارد انتخابه. او عبر البريد الالكتروني كما فعلته ولاية اوريجون عام ٢٠٠٠.

او طريقة اللمس بالكمبيوتر عند الاقتراع بدل الكارتات المتقوبة في الكثير من الولايات، الا ان ولايات قليلة لازالت تعتمد الكارتات المتقوبة او للتأشير. ذلك

<sup>(١٧)</sup> Anthonty Lewis, playing with Fire, New York Times Online, [www.nytimes.com/2004/11/25](http://www.nytimes.com/2004/11/25).

يختلف من ولاية غنية الى فقيرة اذ ان الاتفاق على العملية الانتخابية من اختصاص الولايات وليس من اختصاص المركز في امريكا. كذلك تختلف معايير تسجيل الناخبين من ولاية اخرى، وكذلك الشروط المطلوبة للتصويت<sup>(١٣)</sup>.

ثالثاً قوى التحكم في الانتخابات الامريكية وقوى التحكم هذه عديدة منها ما هو يتعلق بمؤهلات المرشح لمنصب الاول ومنها ما يتعلق بقوى مساعدة.

١. مؤهلات النجاح للرئاسة الامريكية: وهي عديدة وابرزها:

- أ. المهارة السياسية العالية.
- ب. استخدام التلفزيون بذكاء. ويقال ان نيسكون وريغان برعوا في ذلك.
- ج. تسخير وسائل الاعلام لاثارة الشعب حوله.
- د. سرعة البديهة في الاجابة أثناء المناظرات.
- هـ. فن استخدام لعبة الغولف او اليبسبول الشهيرتان في امريكا.
- و. فن استخدام سباق الخيل او الصيد.
- ز. القدرة على محو الماضي القذر أو المنيء.
- ح. المعرفة التامة باهتمامات الناخب الامريكي.
- ط. القدرة على ارسال الرسائل الملائمة لكسب الفئات المهمة المراد كسبها اليه.
- ي. الاعتماد على مدير حملة انتخابية معروف بكفاءته.

٢. القوى المساعدة للرئيس الامريكي:

وهي عديدة وابرزها:

- أ. حنكة ومهارة فريقه الاستشاري.
- ب. قوى المال التي تقف وراء اسناده.
- ج. تأثير الاقليات البارزة في المجتمع الامريكي تأييداً له.
- د. موقف وسائل الاعلام اتجاهه.
- هـ. دور القوى الخفية في مساندته من عديمها.

(١٣) منذر الوشريحي، مصدق سبق ذكره، ص ١٠-١٦.

رابعاً: قوى الحسم الرئيسية في الانتخابات الامريكية  
وقوى الحسم الحالية ايضاً عديدة وابرزها:

١. المناظرات الرئاسية.
٢. اصوات العرب والمسلمين.
٣. تصعيد حدة الطعن والتشهير.
٤. دور ونفوذ ما يعرف بالجماعات الاربعة.
٥. الدعاية بما فيها من كذب وتضليل.
٦. تأثير الحزب المستقل او المرشح المستقل.
٧. الوضع السيء للمرشحين.
٨. نسب ونوع المشاركة الجماهيرية في الانتخابات.
٩. المناظرات الرئاسية:

وهي جزء من الحسم وليس الحسم، وتؤدي الى تضليل المواطن وتضعه بين  
جانبيين اما هذا او هذا. ومن ابرز شروط نجاحها توفر التالي:

- أ. القدرة على قلب الموازين.
- ب. القدرة على الاداء الشخصي.
- ج. الطلة او الطلعة.
- د. النبرة في الحديث.

وقد شهدت المناظرات الرئاسية ثلاث مناظرات<sup>(١٤)</sup>، الاولى يوم الخميس  
٢٠٠٤/٩/٣٠ جرت في فلوريدا، والثانية جرت يوم الجمعة ٢٠٠٤/١٠/٨ في جامعة  
واشنطن في سانت لويس احدى مدن ولاية ميزوري، الثالثة جرت يوم الاربعاء  
٢٠٠٤/١٠/١٣ في مدينة تامبي من ولاية اريزونا. تخللتها مناظرة بين المرشحين  
لنائبي الرئيس بين ديك تشيني وادوارز. جرت يوم الثلاثاء ٢٠٠٤/١٠/٥ تخللت  
المناظرات الرئاسية سجال عنيف واتخذ بوش وضع للدفاع وكيري وضع الهجوم،  
لسبب رئيسي ان الرئيس المراد تجديد ولايته ادارته معروفة لذا يكن في وضع دفاع  
بينما المرشح قد يكون غير معروف في العمل والادارة السياسية فيكون مبهم للمرشح  
الاول فيكون هجومي دائماً.

<sup>(١٤)</sup> <http://www.ahram.org.eg/Index.asp/20/2/2004>.

وقد تفوق كيري على بوش في المناظرات الثلاث حسب اراء المواطنين واستطلاعات الرأي لعدة اسباب أبرزها:

أ. ان كيري كان أقوى من بوش في القضايا الداخلية التالية وعلى رأسها الاقتصاد والوظائف والرعاية الصحية والتعليم والبيئة وعجز الميزانية. بينما تقدم بوش فقط في الضرائب ومحاربة الارهاب كقضايا داخلية. ويعتقد الديمقراطيون ان الاقتصاد هو جواز سفرهم الى البيت الابيض كما حدث لبوش الاب مقابل كلنتون عام ١٩٩٢، ولكن الوضع في العراق افسد حملتهم الاقتصادية.

ب. كيري في المناظرات كان يبدو عليه بتصرفه بطريقة رئاسية بينما قابله بوش بالازدراء. وفي ولايات محسوبة على الجمهوريتين كولاية اريزونا نظر له الجمهور (أي لكيري) باعجاب لتصرفه تجاه احتقار بوش له. اذا اثبت انه مناظر مخضرم وببلاغة في الانكليزية عالية اعترف بوش بضعفه امامه اخر المناظرة بقوله ان زوجته (أي زوجة بوش) تجيد الانكليزية افضل منه.

ج. كيري عرف الجمهور بمهارته السياسية العالية كعضو في مجلس شيوخ ولاية ماساشوستس ورغم انه كاثوليكي الديانة وبوش ميتودي بروستانتني الديانة الا انه خفف من كاثوليكيته بقول انا ساكرر قول جون كندي الشهير "لا اخوض حملتي لاصبح رئيسا كاثوليكيا بل لاصبح رئيسا شاعت الصفة ان يكون كاثوليكيا".

د. ان شخصية نائبه الذي كان مرشح اساما للرئاسة بدلا من كيري او تنافس معه، هي شخصية قوية يجيد الدفاع كونه محام ناجح وله خبرة في وضع حجم الدفاع امام المحاكم ولمعانة وجماله اكسبت النساء كما حدث لجون كندي عام ١٩٦١ امام منافسه الذي بدا غير جميلا مقارنة به بنظر النساء، ومنافس ادواردز كان بنظر الامريكيين وهو تشيني ملطخة يديه بفضيحة شركة هالبرتون وهو عجز مقارنة بشبابية ادواردز.

واعتقد ان الديمقراطيون حينما قرروا ان يكون ادواردز نائب للرئيس وتلك حالة فريدة ان مرشح للرئاسة يقبل بمنصب نائب الرئيس للتعاون للفوز لان عدم الفوز يعني تمديد ثماني سنوات قوية اخرى للجمهوريين، بعد اعداد ارنولد شوارزبنغر حاكم ولاية كاليفورنيا ذي الكثافة السكانية الاعلى في امريكا عام ٢٠٠٨ للانتخابات الرئاسية ومؤكداً فوزه طالما مثل افلام رامبو والداعي الى القوة.... الخ وهو من اشد المناصرين لبوش الان مع ان زوجته ديمقراطية حفيدة لجون كندي.

٢. اصوات العرب والمسلمين:

العرب والمسلمين مع ان نسبتهم من حيث عدد السكان لا بأس بها الا ان نسب مشاركتهم ضعيفة. فيقدر عدد افراد الجالية المسلمة بـ (٧,٥) مليون نسمة، وعدد افراد الجالية العربية بـ (٣,٥) مليون نسمة يتركزون في ولايات كل من: كاليفورنيا، اوهايو، نيوجرسي، متشيجان، نيوريورك، وهي ولايات مهمة للحسم. وتقدر فاعليتهم التصويتية بـ (٩,١) مقارنة بالجالية اليهودية أي اقل من (١٠%) بينما اليهود تبلغ (٩٠%) اعلى من المواطن الامريكي نفسه وهي (٥٠%). الا ان العرب والمسلمين الان موحدون للتصويت بشكل موحد ضد بوش لانهم كانوا السبب في فوزه عام ٢٠٠٠ ووعدهم بتحسين ظروفهم ومعاملتهم. الا ان احداث ٩/١١/٢٠٠١ بنيت لهم عدم وفاءه بالوعود تجاههم<sup>(١٥)</sup>.

### ٣. تصعيد حدة الطعن والتشهير بين المرشحين:

ان تصاعد حدة الطعن والتشهير بين المرشحين او ما يطلق عليه بالديمقراطية السلبية قد تحسم النتائج احياناً. فتساعد ذلك قد يغير من المزاج العام لاي من المرشحين تجاه الآخر، كما حدث ابان الحملة الانتخابية لعام ١٩٩٢ حين وصل الامر ببوش الاب لوصف كلنتون بالاتي: "ان كلبتي ميلي تفهم في السياسة الخارجية اكثر من منافسي كلنتون" فرد عليه كلنتون بالقول "انه الاقتصاد وليس السياسة يا غبي"<sup>(١٦)</sup>.

### ٤. دور ونفوذ ما يعرف بالجماعات الاربعة:

وهي كل من المجمعات الصناعية الكبرى والمجمعات الصناعية العسكرية او المركب الصناعي العسكري والشركات النفطية العملاقة والمجمعات المنتجة للمعلوماتية. وكل تلك المجاميع لها دور مؤثر في الحسم باتجاه مرشح من اخر<sup>(١٧)</sup>.

### ٥. الدعاية بما فيها من كذب وتضليل:

فكل مرشح سوق نفسه دون ابرز سلبياته والمواطن يبقى اسيراً للتلفزيون بكل ما يحمله من دعاية دون مبرر، وكل مرشح وخصوصاً الرئيس المراد تجديد ولايته يلجأ الى الاعلام للاتصال بما يعرف (بجامعي للقامة) لتثويته الطرف الآخر ففي عام ١٩٨٨ فضل المرشح الديمقراطي امام بوش والتر موندل الانسحاب بسبب التشهيرية لحد زوجته فقال قوله "انا احترق نفسي ان اكون بموقع لامس حتى شرفي"<sup>(١٨)</sup>.

### ٦. تأثير الحزب المستقل او المشرع المستقل:

(١٥) محمد الطمي، الصوت العربي والمسلم في الانتخابات الامريكية، برنامج بث على قناة الجزيرة الساعة التاسعة مساءً يوم ٢٠٠٤/١/٢٠.

(١٦) منظر الشوريحي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧-١٨.

(١٧) نقلاً عن وائل محمد اسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٨٦.



مع ان المجتمع الامريكي ٦٠% منه متحيزين فان ٤٠% مستقلين، الا ان هذا العام فقط شهد عدم السماح للمرشح المستقل بالمشاركة في المناظرات الرئاسية بسبب اتهم الديمقراطيين له بأنه كان السبب وراء خسارة آل غور الديمقراطي عام ٢٠٠٠ لصالح بوش وأنه الان قد جمع المئات من التزوير للترشيح له مما ادى الى ابعاده عن قائمة المرشحين.

وقد بدت المناظرات الرئاسية الان وكأنها جمهورية او ديمقراطية ذلك ان اللجنة المنظمة للمناظرات من الحزبين، وتلك مسألة فيها عيب على دولة تدعي الديمقراطية.

وظاهرة الحزب المستقل غير محبذة اذ يستحيل فوزه وهي ظاهرة ارتدادية قد يدخل اخيراً الانتخابات نادر ويضرب ضربته كما حدث عام ٢٠٠٠ من ايأ من المرشحين.

علماً ان جون اندرسون وكان من رجال الكونغرس قد شارك كمرشح مستقل في المناظرات الرئاسية مع ريغان ورفض كارتر الحضور معه عام ١٩٨٠ وحقق بعض التأييد بسبب ذلك. وكذلك الملياردير روز بيرو شارك في المناظرات الرئاسية عام ١٩٩٢ وحقق أيضاً تأييد له.

#### ٧. الوضع السيء للمرشحين:

او فلنقل النصيب السيء للمرشحين، فهناك امرين متبادلين يرجحان كفة احدهما على الآخر.

١. فيما يتعلق ببوش: هناك امرين يحتمل تأثيرها على بوش بشكل قوي وملفت للنظر وهما:

أ. الرئيس بوش بات قوياً بشكل ملفت والقوى الخفية لا تحبذ من هو قوياً وفي دورة ثانية لا تالفة لها سيتحرر منهما فمن الممكن الاضرار بهما لهذا لا يجدد له. كذلك الرئيس القوي يخشاه الشعب لانه يعد بنظره بعيد عن الوطنية وعن نظام الضبط والتوازن بين الرئيس والكونغرس.

ب. التقارير التي قدمت ضد بوش عديدة لبرزها:

(١) فضيحة شركة هالبرتون في العراق.

(٢) تقرير تشارلز دولفر كبير مفتشي الولايات المتحدة في ٢٠٠٤/١٠/٥ بقوله العراقيين تخلصوا من كل اسلحتهم تقريباً منذ نهاية عام ١٩٩١.

(٣) تقرير الاستخبارات الامريكية في ٢٠٠٤/٩/٢٢ حول عدم امتلاك العراق لاسلحة دمار شامل وفي ٢٠٠٤/١٠/٢٤ حول لا وجود لمخططات ارهابية بشأن الانتخابات في امريكا.

(٤) تصريح جورج تنيت مدير CIA المستقيل في ٢١/١٠/٢٠٠٤ حول الحرب على العراق بانها كانت خطأ.

(٥) وصف ٦٥٠ من خبراء السياسة الخارجية والامن القومي في ٤٠ ولاية امريكية يوم ١٢/١٠/٢٠٠٤ برسالة وجهت للرئيس بوش بأنه ضلل العالم وان ادارته كانت الاكثر تضليل منذ حرب فيتنام مطالبين اياه باسرع وقت لتصحيح سياسته، وضم العدد وكلاء وزارتي الدفاع والخارجية سابقين ومستشاري امن قومي وسفراء واستاذة جامعات.

٢. فيما يتعلق بكيري: وهناك امرين مؤثرين عليه وهما:

أ. انه الرئيس المرشح الثاني للولايات المتحدة بعد جون كندي كاثوليكيًا. علماً ان غالبية المجتمع الامريكي هم من الروتسنتات مع ان المجتمع الامريكي غالبية غير متدينين والمتدينين يدعمون بوش بنسبة ٥٩% و ٣٥% لكيري.

ب. الاصرار الذي يحمله كيري بفرض الضريبة على كل ما زاد دخله على ١٠٠ ألف دولار سنوياً تلك المسألة تتعارض ما ذكرناه بأمور لا يجب المساس بها وهي عدم فرض ضريبة تصاعدية تمس جماعات المصالح الكبرى، علماً ان بوش خفف من الضريبة على تلك الفئة.

٨. نسب ونوع المشاركة الجماهيرية في الانتخابات:

تشكل نسبة المشاركة عامل اخر للحسم فكلما زادت في ولايات مرجحة لمرشح مهمة في التأثير على اتجاهات الناخبين الكبار لصالح ذلك المرشح، فضلاً عن ذلك فان نوعية المشاركين ذكور من اناث تبرز هي الاخرى في القدر نفسه. وفي الانتخابات المقبلة يرجح زيادة نسبة انتخاب الاناث على الذكور. وعادة النساء يصوتن الى الديمقراطيين ويرجح الان زيادة عدد الذين يصوتن الى الديمقراطيين — (١٠%) من الجمهوريين. وذلك لاهتمام النساء بالعناية بالطفل والفقراء واجور العمال.. الخ. والضمان الاجتماعي والمساعدات للصعبة ومساعدة الفقراء وكلها امور طرحها الديمقراطيون والمرشح كيري ولم يجدها في برنامج الجمهوريين.

ولاحظ ان بوش قد ركز على خفض الضرائب للطبقات الوسطى بينما كيري ركز على خفضها للطبقات الفقيرة. والحرب تتركها النساء لهذا سيكون الميل باتجاه الديمقراطيين.

وهناك (٦) مليون متزوجة قررت التصويت لكيري و ٢٢ مليون غير متزوجة مترددة لحد الان في التصويت.

والجدول التالي يوضح نسبة المشاركة الجماهيرية في الانتخابات الرئاسية

السنة	عدد السكان	عدد الناخبين
١٧٩٢	٤,٢ مليون نسمة	وهي اول انتخابات (غير معروف)
١٨٢٤	١٠,٩ مليون نسمة	٢٦٥,٨٠٠ ناخب
١٨٥٦	٢٨,٢ مليون نسمة	٤,١ مليون ناخب
١٩٠٠	٧٦ مليون نسمة	١٤ مليون ناخب
١٩٦٠	١٨٠ مليون نسمة	٦٨,٨ مليون ناخب
١٩٨٨	٢٤٤ مليون نسمة	٩١,٦ مليون ناخب
١٩٩٢	٢٦٠ مليون نسمة	١٠٤ مليون ناخب
٢٠٠٠	٢٧٦ مليون نسمة	١٠١ مليون ناخب

علمًا ان الديمقراطيين حكموا (٢٧) فترة رئاسية والجمهوريين (٢٣) فترة رئاسية لحد الان<sup>(١٩)</sup>.

خامساً: أبرز ولايات الحسم الحالية في الانتخابات الامريكية وستأول ما يأتي

١. اهم ولايات الحسم.
٢. ولايات الصراع الكبرى.
٣. ولايات الصراع الصغرى.
١. اهم ولايات الحسم:

وهي احدى عشرة ولاية، وهي:  
أ. فلوريدا ولها ٢٧ صوت:

وحاكم الولاية هو جيب بوش الشقيق الاصغر للرئيس بوش وقد بدأت التصويت السري في ١٨/١٠/٢٠٠٤ تجنباً للزحام ومعها ولايات خمسة اخرى في الجنوب. وكانت فلوريدا الولاية التي حسمت نتائج انتخابات الرئاسة التي فاز فيها بوش بعد رفض المحكمة العليا في الولايات المتحدة طلب آل غور باجراء الفرز اليدوي لان عدة اصوات في المقاطعات الاربعة للولاية وهي (بالم ميتش) و(فلورزيا) و(براورد) و(ميامي ميد). وجاء القرار بعد اخذ ورد استغرق من تاريخ ١١/٤ وحتى ٢٠٠٠/١٢/٦.

(١٩) الجدول من اعداد الباحث، واعتماداً على مصادر المعلومات التالية:

١. جدول الانتخابات الرئاسية في امريكا. اعداد مجلة المنار، القاهرة، العدد ١٠١، تموز ٢٠٠٣، ص ٦٢-٦٨.
٢. الانتخابات في امريكا، نشرة الملف، العدد، وزارة الخارجية العراقية، ٧٠٠١، ص ١٣-١٤.
٣. تمام البرازي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٨.

علماً ان بوش قد فاز في ٢٩ ولاية وآل غور في ١٩ ولاية وكانوا متعادلين تقريباً عدا ولايتي فلوريدا وويسكنسن.

وهذا يعني ان الفوز في الولايات لا بعدها وانما باوزانها. فقد نسمع يوم الثلاثاء كي لا نفاجأ بان بوش حقق فوزاً في ٣٠ ولاية وآل غور لازال لم يحقق الا في ١٥ ولاية هذا لا يعني فشله فقد يفوز بالاخير مع انه فاز بـ ٢٠ ولاية فقط.

هذه الولاية من ولايات الجنوب الموالية للديمقراطيين، وهناك المتقاعدون فيها خصوصاً يميلون لكيري.

ب. بنسلفانيا ولها ٢١ صوت:

وقد فاز فيها آل غور عام ٢٠٠٠ وهي ولاية صناعية تضررت من الكساد عام ٢٠٠١، ٢٠٠٢ ويركز عليها بوش. كثيراً علماً ان زوجة كيري مولودة فيها.

ج. اوهايو ولها ٢٠ صوت:

وقد فاز فيها بوش عام ٢٠٠٠ الا ان وضعه الان مختلف لخسارتها اعداد كبيرة من الوظائف (عاطلين) بسبب سياسة بوش الاقتصادية.

د. ميتشيغان ولها ١٧ صوت:

وهي من اصعب الولايات عند بوش ويحكم عليها الديمقراطيين بقوة وقد خسرت مئة الف وظيفة منذ مجيء بوش.

هـ. ويسكنسن ولها ١٠ صوت:

وقد فاز فيها آل غور عام ٢٠٠٠ وخسرت وظائف كبيرة جراء سياسة بوش الاقتصادية.

و. مينيسوتا ولها ١٠ صوت:

وهذه محسوبة الى بوش.

ز. ايوا ولها ٧ اصوات:

وهذه صوتت للديمقراطيين عام ٢٠٠٠.

ح. ميزوري ولها ١١ صوت:

وقد صوت لصالح بوش عام ٢٠٠٠ ويسعى بوش للحفاظ عليها.

ط. كولورادو ولها ٩ اصوات:

وهي محسوبة على الجمهوريين وقد فاز بها بوش عام ٢٠٠٠، الا ان الديمقراطيين يأملون الفوز بها كون ولادة كيري فيها.

ي. نيومكسيكو ولها ٥ اصوات:

واغلبيتها لاتينية الاصل من اصول اسبانية تكره بوش والجمهوريين وقد صوت الى آل غور عام ٢٠٠٠.

ك. واشنطن ولها ١١ صوت:

وهي ولاية لا تدعّم الجمهوريين أبداً.

٢. ولايات الصراع الكبرى:

وهي كالتالي:

أ. كاليفورنيا ولها ٥٤ صوت:

محسوبة على الديمقراطيين، إلا أن حاكم الولاية ارنولد شوارزينغر النمساوي  
الاصل يعبئ الولاية باتجاه بوش.

ب. نيويورك ولها ٣٣ صوت:

وهي أيضاً محسوبة على الديمقراطيين.

ج. تكساس ولها ٣٢ صوت:

وهي ولاية جنوبية أثرت اسرة بوش الاب في السكن فيها وإدارة شركات  
نפטية فيها بحرفها على الميل الى الديمقراطيين شأن ولايات الجنوب الأخرى. كذلك  
أن بوش الرئيس تولى حاكمية الولاية منذ عام ١٩٩٤ الى عام ٢٠٠٠.

٣. ولايات الصراع الصغرى:

وهي كالتالي:

أ. مونتانا (٣) صوت.

ب. واي مينج (٣) صوت.

ج. العاصمة واشنطن (٣) صوت.

د. مونتانا (٣) صوت.

هـ. الاسكا (٣) صوت.

و. فيرمونت (٣) صوت.

ز. ديلاوير (٣) صوت.

ح. ايداهو (٤) صوت.

ط. نيوهامبشاير (٤) صوت.

ي. رود ايلاند (٤) صوت.

ك. مين (٤) صوت.

ل. هاواي (٤) صوت.

م. نيفادا (٤) صوت.

ن. يوتا (٥) صوت.

س. نيومكسيكو (٥) صوت.

ع. نبراسكا (٥) صوت.

وهنا يبذل المرشحون جهوداً اكبر من الولايات لان الميل الحدي لتأثير الشعب على الناخبين الكبار يكون غير مؤكد.

وابرز تلك المفاجآت والاحتمالات هي:

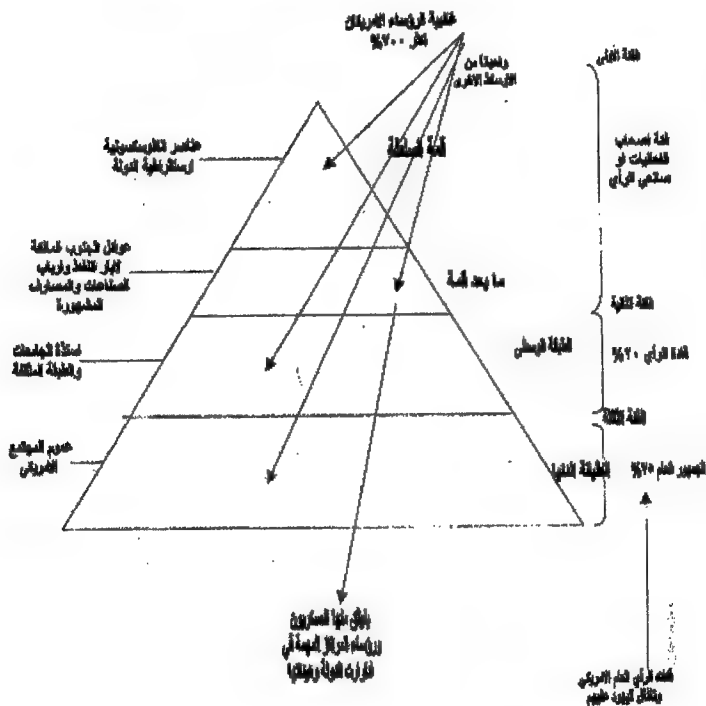
١. فوز كيري بشكل حاسم خصوصاً بعد دخول كلنتون وآل غور الى الحملة هذا الاسبوع ابتداءً من ٢٣/١٠/٢٠٠٤ وانتقادهم الشديد لسياسة بوش. وكلنتون دخل الحملة يوم ٢٥/١٠/٢٠٠٤ الى حملة كيري. وهي خطوة يعدها الجمهوريون اهم ورقة رابحة لحملة كيري. اذ قال روجر ستون امس ٢٥/١٠/٢٠٠٤ ان دخول كلنتون يعد دفعة قوية لكيري.

٢. فوز بوش بشكل حاسم طالما ظل يردد ان الولايات لن تكن امنة بسبب الارهاب على ان يسبق ذلك عمل ابراهيمي داخل امريكا. فيفوز برئاسة ثانية، مثلما حدث حينما ضربت الابراج يوم ١١/٩/٢٠٠١ اجتمع رامسفيلد بعد ٤ ساعات بكبار القادة العسكريين ليعلمهم بالاستعداد لغزو العراق.

٣. رغم كل خسائر المجتمع الامريكي من حروب بوش وخسارة اكثر من مليون ونصف امريكي وظائفهم بسبب سياسته على حد قول كيري يبقى الحسم فيما اوردها مسبقاً. الا ان ذلك لا يعني قطعاً فمثلاً العرب والمسلمين غالبيتهم يصرحون مرة انهم سيكونوا مع كيري لان بوش خذلهم. واخرون قالوا انهم سيصوتوا الى رالف نادر كي يفوز بوش ويعيد النظر بسياسة حيالهم كهذا تفكير وهكذا منطق يحكم للحسم في الانتخابات الامريكية واخرون من العرب قالوا "الشين اللي تعرفه احسن من الزين اللي متعرفه".

احتمالية الحسم يوم الثلاثاء غير مؤكدة بعد ان هيا بوش قوات عسكرية لحماية الانتخابات، وهيا الديمقراطيين فقط في ولاية فلوريدا ذات المقاطعات النائية ١٠,٠٠٠ محامي لانهم على معرفة بان مقاطعات نائية سوف لا تشارك بالتصويت. وان امورا قد يترتب وتحدث كما حدثت عام ٢٠٠٠ وفي الولاية التي اوصلت بوش للرئاسة ويحكمها شقيقه. فاحتمالية المعركة للقضائية محتملة وقد لا تحسم في ٢/١١/٢٠٠٤ النتيجة كاملة.

## جدول يبين هزيمة المجتمع الأمريكي







## العولمة

### وآثرها على الأمن الاقتصادي العربي

الاستاذ المساعد الدكتور

خليل محمد شهاب الجبوري

كلية العلوم السياسية- الجامعة المستنصرية

#### المقدمة

##### ١. المقدمة

تهدف هذه الدراسة الى بيان اثر العولمة على الامن الاقتصادي العربي، ولتحقيق هذا الهدف علينا ان نتعرف اولاً على ماهية العولمة، وما هو المقصود بالامن الاقتصادي العربي. فلا يوجد مفهوم واحد للعولمة، بل تعددت التعاريف والمفاهيم لهذه الظاهرة في الادب الاقتصادي، وكذلك الوضع ايضا بالنسبة لمفهوم الامن الاقتصادي. فلا يوجد مفهوم واحد متفق عليه في الادبيات حتى يمكن استخدامه في تحليلنا لآثار العولمة على الامن الاقتصادي في الدول العربية، اما ما نشير اليه اختصاراً بالامن الاقتصادي العربي. وحيث ان الامن الاقتصادي في أي دولة يتحدد بدرجة كبيرة بخصائصها الاقتصادية من حيث عناصر انتاجها، وهيكلها القطاعي ووفرة مواردها ... الخ، فإن دراسة اثر العولمة على الامن الاقتصادي العربي يتطلب بالضرورة دراسة الخصائص الاقتصادية للدول العربية.

وبناء عليه ، تنقسم هذه الدراسة الى خمسة اقسام شاملة المقدمة. يشمل القسمين الثاني والثالث استعراض التعاريف المختلفة للعولمة والامن الاقتصادي في الادبيات الاقتصادية. ثم اختيار المفهوم الذي سنعتمد في هذه الدراسة. ويتعرض القسم الرابع للخصائص الاساسية للدول العربية التي لها انعكاساتها على الامن الاقتصادي بها. واخيراً يشمل القسم الخامس تحليل الآثار المتوقعة للعولمة على الامن الاقتصادي في الدول العربية.

##### ٢. ماهية العولمة :

العولمة ظاهرة قديمة وحديثة في نفس الوقت، فهي قديمة اذا ما حصرناها في حجم التجارة الدولية، حيث ان نسبة التجارة الدولية التي الناتج المحلي في الدول الصناعية لم تصل الى مستواها عام ١٩١٣ الا في اواخر الستينات او السبعينات، وفي بعض الدول لم تصل الى هذا المستوى بعد، مثل الوضع في استراليا، والدنمارك، اليابان، والمملكة المتحدة (١٩٩٨ Feensra). وكلمة العولمة تعتبر ظاهرة حديثة لذا ما وسعنا مفهومها بحيث يشمل التجارة

الدولية، والتدفقات المالية، وانتقال الانتاج<sup>١</sup>. الخ من نتائج جولة اوروجواي الخاصة بالاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات ١٩٩٤) التي بدأ تطبيقها مع تأسيس منظمة التجارة العالمية<sup>٢</sup> في عام ١٩٩٥.

واهتمامنا في هذه الدراسة ينصب على المفهوم الحديث للعولمة الذي يتمثل في اتفاقية الجات ١٩٩٤، التي تنفذ بنودها وقوانينها عن طريق منظمة للتجارة العالمية، وبما انه ليس هناك تعريف موحد للعولمة، فأنا سنقوم باستعراض التعريفات المختلفة في الادبيات الاقتصادية لاختيار التعريف المناسب من الناحية العملية لاستخدامه في دراستنا هذه.

تفهم العولمة عدد البعض على انها مفهوم تجريدي لا يشير الى هدف محدد وانما هو تفسير تطور اجتماعي معين (LUBBERS ١٩٩٨) واخرون يفسرون العولمة على انها عملية يصبح بموجبها مفهوم الانتماء الى وطن محدد الجنسية امر غير وارد، وبناء على هذا المفهوم الاخير، يمكن للتمييز بين نوعين من العولمة في الادبيات الاقتصادية: عولمة المستهلك، حيث تكون جنسية المستهلك مستقلة تماما عن البلد الذي يصنع فيه المنتج الاستهلاكي، وعولمة الانتاج الملكية التي تشير الى ان جنسية المالك لعناصر الانتاج او المسيطر عليها (اي المنتج) مستقلة تماما عن البلد الذي يتم فيه الانتاج (HEAD ١٩٩٧).

ميشيل كامديسو، الرئيس السابق لصندوق النقد الدولي، وصف العولمة على انها كيان هندسي مكون من ٧ مقاطع: الامكانيات الكامنة الكبيرة للنمو والرفاهية التي توفرها العولمة للدول التي تندمج في الاقتصاد العالمي، والاندماج (اندماج الدول الفقيرة في الاقتصاد العالمي سيسرع من عملية التنمية بها)، والاجماع العالمي على اهمية تحرير التدفقات المالية والقاعدة الذهبية التي تتمثل في الشفافية، واسلوب الحكم الجديد، ووضع قواعد مثق عليها لافضل الاساليب التطبيقية، واعطاء الفرصة للمنهج متعدد الاغراض (Multilateral Approach) لمعالجة المشاكل المالية ذات الطبيعة العالمية (CAMDESSUS ١٩٩٨).

منظور اخر للعولمة في الادبيات الاقتصادية يتمثل في التفرقة بينها وبين مفهوم التدويل (Internationalization) وبناء على هذا المنظور، مايعيشه للعالم اليوم هو ظاهرة التدويل وليس ظاهرة العولمة، فالفرق بين الاقتصاد دولي واقتصاد عالمي يتوقف على الوحدات التي يتكون منها العالم، ففي الاقتصاد الدولي تقوم للتجارة والتدفقات المالية بين الدول بناء على للقواعد والقوانين الخاصة بهذه الدول، بينما في الاقتصاد العالمي تقوم هذه التدفقات بناء على قواعد وقوانين عالمية موحدة تنشأ وتنفذ عن طريق مؤسسات دولية (Hirst & Thompson ١٩٩٦).

وربما اكثر التعاريف عملية في التطبيق هو الذي يعرف العولمة على اساس اهم ابعاد هذه الظاهرة. فبناء على هذا التعريف، اهم ابعاد العولمة هي: تحرير التجارة، تحرير التدفقات المالية، نقل الانتاج (اي انتقال بعض السلع من الدول المتقدمة الى النامية)،

<sup>١</sup> Outsourcing of Production.

<sup>٢</sup> World Trade Organization (WTO).

وزيادة التنسيق فيما بين المؤسسات الاقتصادية والاطر التنظيمية لدول العالم (Cardoso ١٩٩٦; Sachs ١٩٩٨).

ولدراسة اثر العولمة على الامن الاقتصادي العربي، لابد ان نتعرف اولا على الوضع الحالي للعولمة في ظل ابعادها الاربعة المذكورة اعلاه، واهم المستفيدين الحاليين (الدول المتقدمة مقابل الدول النامية) بالنسبة لكل بعد من هذه الابعاد حتى يمكننا ان نقيم اثرها المتوقع على المنطقة العربية.

وبالنظر الى التجارة الدولية، وهي احدى الابعاد الاربعة للعولمة. نجد ان الجزء الاكبر منها يقوم فيما بين الدول الثلاث<sup>١</sup>. (الولايات المتحدة الامريكية، واوروبا الموحدة، واليابان) وفيما بين الشركات متعددة الجنسيات<sup>٢</sup>. ففي عام ١٩٩٢ مثلاً، كان ٦٩,٩% من الصادرات في العالم يتم بين الدول الثلاث<sup>٣</sup> التي تضم فقط ١٤% من سكان العالم (Hirst & Thompson ٣,٢ & ٣٣) وتعتبر الشركات متعددة الجنسيات المستفيدين الاساسيين ايضا من التجارة الدولية، فحوالي ٨٠% من تجارة الولايات المتحدة الامريكية تقوم بها الشركات متعددة الجنسيات، وينطبق ذلك على الدول المتقدمة الاخرى، كذلك ٩٠% من الشركات متعددة الجنسيات، المركز الرئيسي لها موجود في الدول المتقدمة (٥٣؛ ١٩٩٨ Hirst & Thompson).

لما بالنسبة لدول الجنوب، فقد انخفض حجم للتجارة بينها وبين دول الشمال كنسبة من التجارة الدولية نتيجة لانخفاض حصة المواد الخام في التجارة الدولية، ويرجع ذلك اساسا الى انخفاض اسعار البترول بعد ١٩٨٥ وتدهور معدل التبادل الدولي بالنسبة للمواد الخام (Jilbrto & Mommen، ١٩٩٨) وانخفاض حجم التجارة فيما بين الشمال والجنوب، وضعف حصة التجارة البينية فيما بين الدول النامية يشير الى تهميش دول العالم الثالث بالنسبة لهذا البعد من العولمة.

وتمثل التدفقات المالية البعد التالي من العولمة، فحرير التدفقات المالية يشمل التدفقات المالية قصيرة الاجل<sup>٤</sup>. والاستثمار الاجنبي المباشر<sup>٥</sup>. والاخير هو اهم مكون في التدفقات المالية في دول العالم الثالث بسبب اثره على التنمية الاقتصادية بها، فاذا نظرنا الى توزيع الاستثمارات الاجنبية المباشرة في العالم نجد انها مركزة في الدول المتقدمة. ففي الثمانينات

### <sup>٦</sup>Triad Countries.

<sup>٦</sup> يفضل تسميتها بالشركات متعددة الجنسيات (Multinational Corporation) وليس الشركات عبارة القارات، (Transnational Corporations) حيث ان اغلبيه هذه الشركات تنتمي الى دول معينة، هي الدولة الام، وتتبع قوانينها وسياساتها. اما الشركات عابرة القارات فهي لا تنتمي الى دولة الام، ولا تطبق او تتلزم بقوانين وسياسات دولة بعينها، والشركات عابرة القارات التي تعمل حاليا في العالم قليلة العدد للغاية (Hirst & Thompson ١٩٩٨).

<sup>٧</sup> تشمل الصادرات فيما بين دول الاتحاد الاوربي.

### <sup>٨</sup>Short-term Capital Flows.

### <sup>٩</sup>Foreign Direct Investment (FDI).

ذهبت ٧٥% من الاستثمارات المباشرة الى دول الثلاث (الولايات المتحدة الامريكية، اوربا، واليابان) وفي بداية ١٩٩٠ كان ٧٥% من اجمالي رصيد الاستثمارات المباشرة في العالم موجود بالفعل في دول الثلاث بالاضافة الى ٦٠% من تدفقات هذه الاستثمارات (١٩٩٨ Hirst & Thompson) وتعتبر الشركات متعددة الجنسيات مستفيد اساسي ايضا بالنسبة للاستثمارات الاجنبية المباشرة. ففي عام ١٩٩٠. كانت اكبر مئة شركة مساهمة فيها ثلث اجمالي رصيد الاستثمارات المباشرة المتواجدة في العالم و ١٤% من تدفقات هذه الاستثمارات، ٦٠% من اجمالي الاستثمارات المباشرة وجه الى الصناعات التحويلية، ٣٧% الى الخدمات و ٣% الى القطاع الاولى (Hirst & Thompson، ١٩٩٨).

اما الجنوب فهو مهمش ايضا بالنسبة لهذا البعد من العولمة. فـ ٥% فقط من رصيد الاستثمارات الاجنبية المباشرة في العالم يأتي من الشركات متعددة الجنسيات في الدول النامية. يضاف الى ذلك ان ٣/٢ الاستثمارات المباشرة المتدفقة على الدول النامية تذهب الى عشر دول فقط<sup>٨</sup>. تاركة غالبية دول العالم الثالث تعاني من النقص الحاد في هذه الاستثمارات بالرغم من حاجتها الملحة اليها لدفع عجلة التنمية الاقتصادية بها.

وبمقارنة معدل نمو الاستثمارات الاجنبية المباشرة بالتجارة الدولية، نجد ان الاولى تزيد بمعدلات كبيرة عن الثانية مما يعكس مدى اهمية الدور الذي تلعبه هذه الاستثمارات بالنسبة للاقتصاديات دول العالم - متقدمة ونامية. ويقدر معدل النمو السنوي لتدفقات الاستثمارات الاجنبية المباشرة فيما بين ١٩٨٣ و ١٩٩٠ بـ ٣٤% بالمقارنة بمعدل نمو ٩% بالنسبة للتجارة الدولية، أي ان معدل النمو السلوي للاستثمارات الاجنبية المباشرة كان اربعة امثال معدل نمو التجارة الدولية (Hirst & Thompson ١٩٩٨) وفي تقدير اخر، معدل النمو السنوي للاستثمارات الاجنبية المباشرة كان ثلاثة امثال معدل نمو التجارة الدولية، وتقريبا اربعة امثال معدل نمو الانتاج (Jilberto & Mommen، ١٩٩٨). وبالرغم من اختلاف التقديرات الا ان المصدرين اجمعوا ان معدل نمو الاستثمارات الاجنبية المباشرة يقوف كثيرا معدل نمو التجارة الدولية. وبمعنى ذلك انه في ظل العولمة، لم تعد التجارة الدولية هي القاطرة للنمو والتنمية في العلاقات بين الدول كما كان الوضع سابقا، بل هناك متغيرات اخرى اكثر اهمية في هذا المجال ولا بد من توجه الدول النامية اهتمامها اليها، واهم هذه المتغيرات الاستثمارات الاجنبية المباشرة.

وتحرير تدفقات رأس المال قصيرة الاجل يخفض من المخاطر ويعظم من الربح بالنسبة للمستثمرين في الاسواق المالية. فالاسواق المالية الدولية تتيح لمواطني الدول المختلفة فرصا افضل للاستثمار بالمقارنة بالاسواق المالية المحلية (Obstfeld ١٩٩٨) ولكن من ناحية اخرى، تحرير رأس المال قصير الاجل له اثاره السلبية على الاستثمار والانتاج، فبالرغم من الاثار الايجابية المذكورة، الا ان المكسب الكبير والسريع الذي يمكن ان يحققه رأس المال المباشر في فترة قصيرة من الوقت بالانتقال بين الاسواق المالية المختلفة، يخفض

<sup>٨</sup> هذه الدول هي : سنغافورة، المكسيك، الصين، البرازيل، ماليزيا، هونج كونج، الأرجنتين، تايوان، مصر، وتايوان (Table ٣,٢ : Hirst & Thompson ١٩٩٨).

من عرض رأس المال المتاح للاستثمارات المباشرة، فلقد لوحظ ان الزيادة في الارباح المحققة من عولمة الانتاج لم تؤدي الى زيادة الاستثمارات في الانتاج بالقدر المتوقع، وذلك بسبب تحويل جزء يعتد به من هذه الارباح الى الاستثمار في الاسواق المالية بدلا من اعادة استثمارها في الانتاج.

وتتميز العولمة ايضا بتحويل الانتاج<sup>١</sup> وهو ما يعرف ايضا في الادبيات الاقتصادية بنقل الانتاج. هذا هو البعد الثالث للعولمة، ففي الوضع الحالي للعولمة، من المتعارف عليه ان انتاج سلعة واحدة يوزع فيما بين عدة دول لتخفيض التكلفة وتعظيم الربح. وتقود الشركات متعددة الجنسيات هذا الاتجاه، فلقد قرر ان ثلثي اجمالي التجارة في الولايات المتحدة الامريكية تتم فيما بين الشركات متعددة الجنسيات (Hirst & Thompson) فتكامل الانتاج بين الدول يؤدي في حد ذاته الى زيادة التجارة نتيجة لانتقال مخلات الانتاج عدة مرات فيما بين الدول خلال العملية الانتاجية (Feenstra ١٩٩٨) فانتقال انتاج بعض السلع، او بعض مدخلات السلع، الى الدول النامية حيث الاجور المنخفضة ادى الى ظهور ادبيات كثيرة تبحث في تأثير هذا الاتجاه على سوق العمل في الدول المتقدمة، ويرى البعض انه نتيجة لهذا الاتجاه، تعاني الدول المتقدمة من زيادة البطالة فيما بين العمالة غير الماهرة وتدهور توزيع الدخل بها نتيجة لزيادة الفجوة بين اجور العمالة الماهرة والعمالة غير الماهرة (Kim ١٩٩٧).

وتذهب بعض الادبيات الاقتصادية الى ان هناك اكثر من متغير مسؤول عن تدهور اوضاع العمال غير الماهرة ونمط توزيع الدخل في الدول المتقدمة، وتختلف الدراسات بالنسبة للوزان النسبية التي تعطيها كل منها لكل من هذه المتغيرات. فبعض الدراسات ترجع السبب الرئيسي لزيادة بطالة للعمالة غير الماهرة وتدهور توزيع الدخل في الدول المتقدمة الى انتقال انتاج بعض سلع الصناعات التحويلية الى الدول النامية (Feenstra & Hanson ١٩٩٨: ١٩٩٨) ويذهب اخرون الى ان اثر هذا البعد (انتقال الانتاج) على سوق العمل في الدول المتقدمة هامشيا، وانما السبب الرئيسي يرجع الى التقدم التكنولوجي السريع الذي يؤدي الى تخفيض استخدام العمالة غير الماهرة، وزيادة الطلب على رأس المال والعمالة الماهرة في الانتاج (IMF ١٩٩٧ Burtless) ويرى البعض ان انتقال انتاج بعض السلع الى الدول النامية يمكن ان يؤدي الى افادة كبيرة للدول المتقدمة اذا ما كانت هناك مرونة في سوق العمل وفي آليات عمل الاقتصاد بحيث يتم نقل عناصر الانتاج الى القطاعات ذات القيمة المضافة المرتفعة بالنسبة لوحدة المدخل الانتاجي. بدلا من الصناعات التحويلية ذات القيمة المضافة المنخفضة.

وبالرغم من ان الدولي المتقدمة تنتج اكثر من ٣/٢ الناتج المحلي على مستوى العالم<sup>١١</sup>، وبالرغم من ان تخلفات الاستثمار الاجنبي المباشر الى الدول النامية، حتى في

<sup>١</sup> Internationalization of Production.

<sup>١١</sup> بناء على توزيع الناتج المحلي على مستوى العالم فيما بين الدول، يبلغ نصيب الدول المتقدمة منه ٦٩,٦% في السبعينات والثمانينات، أي فيما بين ١٩٨٩-١٩٧٠ (Hirst & Thompson ٣، ٤ Table).

فترات الذروة، يمثل نسبة ضئيلة للغاية من رصيد الاستثمارات الاجنبية المباشرة المتواجد في الدول المتقدمة<sup>١١</sup>. الا ان الدول المتقدمة تنظر الى نقل انتاج السلع ذات الكثافة المرتفعة في استخدام العمالة غير الماهرة الى الدول النامية على انها تهديد لاقتصادياتها، لذا كان هذا التهديد صحيحا فان معنى ذلك ان الدول المتقدمة ستواجه بانهيار في اسواق المال والانتاج لديها مما قد يجعلها تفرض ضرائب جمركية مرتفعة تستبعد بها منتجات دول العالم الثالث. في هذه الحالة سيقضى على الجات بسبب ضرورات سياسية (Hirst & Thompson ١٩٩٨: ١١٩).

البعد الرابع للعولمة هو انتشار نطاق اقتصاد السوق عالميا، فالدولة كانت تلعب الدور الرئيسي في الاقتصاد في كثير من الدول النامية في الستينات والسبعينات، وفي الثمانينات والتسعينات تركت كثير من الدول النامية هذا النظام، واتجهت الى نظام اقتصاد السوق بناء على سياسات الإصلاح الاقتصادي المعدة من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي. وفي حالات كثيرة لم تؤدي فرض سياسات الإصلاح هذه الى تحقيق اهداف الدول النامية من زيادة الانتاج ورفع الدخل، وانخفاض البطالة ... الخ، من الاهداف التي تضعها هذه الدول في اعلى سلم اولوياتها القومية، فنجاح هذه البرامج انصب على الجانب المالي فقط، مثل خفض عجز ميزانية الحكومة ومعدل التضخم. وفي دول كثيرة ومنها الدول العربية، كانت لبرامج الصندوق والبنك هذه اثار سلبية على الاقتصاد مثل زيادة البطالة، والفقر، وتدهور توزيع الدخل، وبناء على ذلك، فعلى الرغم من ان اتجاه البناء المؤسسي للنظام الاقتصادي في دول العالم نحو تطبيق اقتصاد السوق يسير من العولمة، الا ان ثمار هذه العملية لم ولن توزع بالتساوي فيما بين الدول المتقدمة والدول النامية. فالجوة الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة الموجودة بين المجموعتين من الدول متوقع ان تكون اكبر مستقبلا.

### ٣. الامن الاقتصادي العربي:

لا يوجد تعريف محدد وصريح عن الامن الاقتصادي في الادبيات الاقتصادية، فما هو شائع في هذه الادبيات التعريفات الخاصة بالامن الغذائي والامن العسكري، ولا شك ان الامن الغذائي جزء اساسي من الامن الاقتصادي، بل هو قلب هذا المفهوم، ولكن في نفس الوقت ليس مرادفا له. فالامن الاقتصادي اكثر شمولاً للامن الغذائي بحيث يشمل ضمان الحصول على السلع والخدمات الاخرى التي يحتاجها الانسان بالاضافة الى الغذاء. فالامن الاقتصادي يقع في تعريفنا. فيما بين الامن الغذائي والامن الانساني حيث يشمل الاخير بالاضافة الى الحصول على الاحتياجات الاساسية المادية من غذاء، وكساء، وماوى، وتعليم... الخ، حق التمتع بالديمقراطية وحرية المشاركة السياسية والاجتماعية بدون قيود<sup>١٢</sup>.

<sup>١١</sup> يذهب كروجمان (Krugman) الى ان صافي تدفقات الاستثمارات منذ ١٩٩٠ خفضت رصيد الدول المتقدمة من رأس المال بمقدار نصف في المائة فقد (٥٠%) مذكور في (Hirst & Thompson ١٩٩٨: ١١٧).

<sup>١٢</sup> لمزيد من التفصيلات عن مفهوم الامن الانساني، انظر (Thomas & Wilhiin ١٩٩٩).

وبما ان الامن الغذائي اكثر الاركان اهمية في الامن الاقتصادي، ولكنه ليس مرادفا له كما ذكرنا اعلاه، فسنعتمد على التعريف المتوارد عن الامن الغذائي لتطبيقه على تعريفنا للامن الاقتصادي للدول العربية الذي سنتبعه في هذه الدراسة، ويعرف الامن الغذائي على انه القدرة على حصول دولة ما على السلع الغذائية التي تفي بأحتياجات سكانها، سواء كانت هذه السلع تنتج بالداخل او الخارج، وهذا يعني ضمنا انه في حالة عدم كفاية الانتاج الداخلي لسد احتياجات الافراد- او عدم وجود الانتاج الداخلي اصلا من السلع الغذائية المطلوبة- فإن الدولة المعنية يجب ان تكون قادرة على كسب موارد كافية من النقد الاجنبي يمكنها من استيراد هذه السلع بالقدر المطلوب، وان يكون هناك ايضا دولا اخرى لديها فائض من هذه السلع في تصديره في الوقت الذي تحتاجه الدول المعنية وبالكمية التي تحتاجها. فالامن الغذائي لايعني الاكتفاء الذاتي. فهناك دولا مثلا لاينتج كل احتياجاتها من الغذاء ولكن عائد صادراتها يسمح باستيراد احتياجاتها من الغذاء، مثل اليابان، وهناك دولا اخرى تنتج كفايتها من الغذاء، ولكن مع ذلك لايتوفر لكل سكانها احتياجاتهم منه حيث تصدر جزءا كبيرا من انتاجها بحيث المتبقي لايفي احتياجات سكانها (مثل البرازيل) ففي هذه الحالة نجد ان الامن الغذائي يتحقق في اليابان، رغم قلة انتاجها من الغذاء بالمقارنة لاحتياجاتها، بينما لايتحقق في البرازيل بالرغم من كفاية انتاجها لاحتياجات سكانها (Hollist & Tullis ١٩٨٧، Ruppel & Kellogg ١٩٩١).

والامن الاقتصادي، في تصورنا، يشمل بعدين : البعد الاول هو توسيع مفهوم الامن الاقتصادي ليشمل توفير الاحتياجات الاخرى الاساسية بالاضافة للغذاء، وذلك على المستوى القومي. والبعد الثاني هو امكانية توفير الفرد لهذه الاحتياجات الاساسية له ولاسرته، فالاسرة جزء من المجتمع ككل. وبالتالي تحقيق الامن الاقتصادي على المستوى القومي يتطلب تحقيق الامن الاقتصادي على مستوى الاسرة، وبناء على ذلك فان البعد الاول للامن الاقتصادي العربي يعني ان تستطيع دول المنطقة العربية ان تحصل على احتياجاتها من السلع الغذائية والصناعية بالكميات التي تريدها وفي الاوقات التي تطلبها فيها. وهذا يتوقف على انتاجها المحلي من هذه السلع، بالاضافة الى قدرتها على كسب النقد الاجنبي اللازم لاستيراد ماتحتاجه منها لسد الفجوة بين الانتاج المحلي لهذه السلع والطلب عليها. والمصدرين الاساسيين لكسب النقد الاجنبي في الدول العربية وغيرها من الدول، هما الصادرات السلعية وجنب رأس المال الاجنبي، ومركز في دراستنا هنا على هذا الجزء من رأس المال الاجنبي الذي يتمثل في الاستثمارات الاجنبية المباشرة (FDI). يرجع ذلك لاعتبارين: اولاً: رأس المال الاجنبي قصير الاجل يتجه الى البورصات لتحقيق الربح السريع، وهو بذلك يعتبر عنصر غير امن بالنسبة للدول النامية حيث يثير للقلق الاقتصادية التي تتعارض مع مفهوم الامن الاقتصادي. ثانياً: الاستثمارات الاجنبية المباشرة هي التي تؤدي الى زيادة الانتاج المحلي (بما قد يتضمنه ذلك من زيادة التصدير ايضا). وزيادة فرص العمل المتاحة مما يزيد بالتالي من الامن الاقتصادي للدول المعنية.

اما البعد الثاني للامن الاقتصادي فهو الطلب على العمالة، فزيادة الطلي على العمالة يعني توفير مزيد من فرص العمل للافراد للقادرين والراغبين في العمل فالحصول على عمل

يعني حصول الفرد على دخل يحقق له الامن الاقتصادي له ولامرتته، وهو مسايعة جزء اساسي من الامن الاقتصادي للمجتمع ككل .

وبناء عليه سنعرض في هذه الدراسة للاثر المتوقع للعولمة على بعدي الامن الاقتصادي والعربي: الانتاج والصادرات، والطلب على العمالة.

#### ٤. محددات الامن الاقتصادي العربي: الخصائص الاقتصادية للدول العربية:

التكوين القطاعي للدول العربية ومدى وفرة الموارد الاقتصادي بها من محددات الامن الاقتصادي بها. فالدول العربية ليست متجانسة في هيكلها الاقتصادية، او في عناصر الانتاج، او في حجمها، مما له انعكاساته على الامن الاقتصادي العربي. فمثلا هناك دول عربية لا تنتج مايكفيها من غذاء ولكن لديها امكانيات كسب مايكفي من الصلوات الاجنبية يمكنها من استيراد احتياجاتها من الغذاء وغيره مثل الدول الخليجية، بينما هناك دول عربية اخرى تنتج قدرا من احتياجاتها الغذائية ولكن ليس لديها امكانيات كسب صلات اجنبية تمكنها من سد الفجوة الغذائية بها واستيراد احتياجاتها من السلع الاخرى (مثل السودان واليمن) لذلك لابد من التعرف، اولا على خصائص الدول العربية التي لها انعكاسات اساسية على الامن الاقتصادي بها. وهذا يتطلب تقسيم الدول العربية الى مجموعات متجانسة بناء على مؤشرات مختارة.

وهناك نوعان من التقسيمات تتبعها المنظمات التي تعمل بالمنطقة العربية، التقسيم الاول تستخدمه اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا (الاسكوا) التي تقسم الدول العربية الى مجموعتين: المجموعة الاولى تشمل دول التعاون الخليجي وتضم البحرين، الكويت، عمان، قطر، المملكة العربية السعودية والامارات، والمجموعة الثانية تشمل الدول العربية الاخرى، اما التقسيم الثاني فيستخدم في التقرير الاقتصادي العربي الموحد الذي تصدره الامانة العامة لجامعة الدول العربية، الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعي، صندوق النقد العربي، ومنظمة الاقطار العربية للمصدرة للبترول، ويشمل هذا التقسيم مجموعتين: المجموعة الاولى تضم المصدرين الاساسيين للبترول في المنطقة العربية، وتشمل دول مجلس التعاون الخليجي، والجزائر والعراق، والجمهورية الليبية، اما المجموعة الثانية فتشمل بقية الدول العربية.

وسوف نستخدم في دراستنا هذه التقسيم الثاني لان الدول الاساسية المصدرة للبترول وسنشير لها اختصارا بالدول البترولية، لها خصائص معينة تنعكس على الامن الاقتصادي بها، فمثلا ارتفاع متوسط دخل الفرد، والاعتماد الكبير اقتصاديا على سلعة واحدة (البترول) وانخفاض تنوع اقتصادياتها، وصغر حجم السكان في معظمها، كسل ذلك يجعل الامن الاقتصادي بها من حيث وضعه الحالي ودرجة تاثره بالعولمة يختلف عن المجموعة الاخرى من الدول العربية التي لديها اقتصاديات اكثر تنوعا.

هناك عدد من الاختلافات الاساسية في خصائص الدول العربية في المجموعتين نتلخص في التالي:

من خصائص المجموعة (١) وعلى الاخص دول مجلس التعاون الخليجي، صغير حجم السكان مع كبر حجم الناتج المحلي الاجمالي، بينما العكس هو الصحيح بالنسبة للمجموعة (٢) في الدول ذات الاقتصاديات الأكثر تنوعا، فمن جدولتي (١) و(٢) نجد ان المجموعة الاولى من الدول لديها مجتمعة ٣٢,٧% من السكان و ٦٦,٢% من الناتج المحلي الاجمالي للمنطقة العربية ككل في عام ١٩٩٨، ودول مجلس التعاون الخليجي كمجموعة داخل المجموعة (١)، لديها ١٠,٩ من سكان المنطقة العربية وتحصل على ٣٩,٢% من



اجمالي الدخل المحلي للمنطقة. وتحقق المملكة العربية السعودية أعلى دخل محلي فيما بين الدول العربية (٢١ من اجمالي للدخل المحلي للمنطقة). اما المجموعة (٢) فليدونها ١٧,٣% من السكان وتحقق ٣٣,٨% من الدخل المحلي في المنطقة العربية، وينعكس ذلك على متوسط دخل الفرد المرتفع كثيرا في دول المجموعة (١) بالمقارنة بمتوسط دخل الفرد في المجموعة (٢).

فكما نرى في جدول (١) عدد السكان في الدول النفطية في ١٩٩٨، باستثناء السعودية، اقل من ٣ مليون نسمة، بينما عدد السكان في المملكة العربية السعودية ٢٠ مليون نسمة، وبالنسبة للدول النفطية غير الخليجية في المجموعة (١) نجد ان الجزائر لديها اكبر عدد من السكان، حيث يبلغون ٣٠ مليون نسمة، اما في المجموعة (٢) فعدد السكان في ١٩٩٨ في نصف دول المجموعة (لبنان، تونس، الاردن، جيبوتي، وموريتانيا) يقلون عن ١٠ مليون نسمة. بينما يقل عدد السكان عن ٢٠ مليون نسمة في دولتين (سوريا واليمن) ويبلغون حوالي ٣٠ مليون نسمة في المغرب والسودان، وحوالي ٦١ مليون نسمة في مصر، واكبر معدل للنمو السكان سنويا في المنطقة العربية نجده في الدول الخليجية في المجموعة (١) حيث يبلغ ٢,٩% بالمقارنة بـ ٢,٥% في المجموعة (٢) و ٢,٠% في الدول النفطية غير الخليجية في المجموعة (١) وبمقارنة متوسط معدل نمو السكان في المنطقة العربية بالدول الاخرى في العالم، نجد ان خلال الفترة ١٩٩٠-١٩٩٨ كان اكبر من متوسط معدل النمو السنوي للسكان في مجموعة الدول منخفضة الدخل (٢%) ومجموعة الدول متوسطة الدخل (١,٥%) ومجموعة الدول مرتفعة الدخل (٠,٧%) (World Bank ٢٠٠٠ a, Table ٣).

واحد نتائج معدل النمو المرتفع للسكان في المنطقة العربية هو انخفاض نسبة القوى العاملة الى السكان، وتبلغ متوسط هذه النسبة في ١٩٩٨ (والتي تعرف ايضا بنسبة المشاركة) حوالي ٣٧% في الدول الخليجية في المجموعة (١) وفي دول المجموعة (٢)، ٣١% في الدول النفطية غير الخليجية في المجموعة (١) (جدول رقم (١)) هذه النسبة تقل كثيرا عن النسبة المماثلة في الدول منخفضة الدخل، ومتوسطة الدخل، ومرتفعة الدخل، حيث تبلغ هذه النسبة في عام ١٩٩٨، ٥٠%، و ٤٤% و ٤٨,٦% في الثلاث مجموعات على التوالي (حسبت من: World Bank ٢٠٠٠ a, Table ٣).

هذه النسبة المنخفضة للمشاركة في قوة العمل في المنطقة العربية ادت الى ارتفاع نسبة الاعالة (Support Burden Ratio) في المنطقة<sup>١٢</sup>. وتبلغ هذه النسبة ٣,٣ في كل الدول العربية، باستثناء الصومال والامارات، وذلك بالمقارنة بـ ٢ في الدول المتقدمة (مثل فرنسا، المانيا، الولايات المتحدة الامريكية)، وفي الدول المصنعة حديثا مثل (هونج كونج، وسنغافورة) (Korayem ١٩٩٨) وهذا يعني ان كل فرد عامل في الدول العربية يعول من ٣-٤ افراد في المتوسط، بينما كل فرد عامل في الدول المتقدمة والدول المصنعة حديثا-حيث الدخل ايضا مرتفع- يعول في المتوسط فردين فقط.

<sup>١٢</sup> هذه النسبة تساوي عدد العاملين/ عدد السكان.

ومن النتائج الأخرى لارتفاع معدل نمو السكان، ارتفاع نسبة صغار السن من السكان (تحت ١٥ عاماً) بناء على بيانات البنك الدولي، يتراوح نسبة السكان أقل من ١٥ عام إلى إجمالي السكان في ١٩٩٨ في معظم منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهي ممثل جيد للمنطقة العربية<sup>١٤</sup>. ٤٢,١% بالمقارنة إلى ٣٨,٧% في الدول منخفضة الدخل، ٣٦,٥% في مجموعة الدول متوسطة الدخل و ٣٣,١% في مجموعة الدول مرتفعة الدخل<sup>١٥</sup>. وارتفاع نسبة صغار السن من السكان في الدول العربية يعني ارتفاع معدل الزيادة في عرض العمالة في الأجيال القادمة، هذا معناه توقع ارتفاع معدل البطالة في المنطقة العربية، خاصة أن أحد آثار العولمة على الدول العربية-باعتبارها جزء من دول العالم الثالث- هو انخفاض الطلب على العمالة (Abdl-Khalek & Korayem ٢٠٠٢) وارتفاع البطالة، يتعارض مع الأمن الاقتصادي حيث يحرم الفرد العاطل من الحصول على دخل يمكنه من شراء السلع الأساسية له ولاسرته مما يعني عدم تحقيق الأمن الاقتصادي للأسرة، وهو ما ينعكس على الأمن الاقتصادي للدولة إذا ما اتسع نطاق البطالة.

ومن الخصائص الهامة المتعلقة بالأمن الاقتصادي، هيكل الإنتاج في الدول العربية، وهو يختلف فيما بين مجموعتي الدول اختلافات أساسية، ويشير جدول (٢) إلى أنه في ١٩٩٨، تمثل الصناعات الاستخراجية- وهي أساسها البترول- حوالي ١/٤ أو أكثر من الناتج المحلي الإجمالي في دول مجلس التعاون الخليجي، باستثناء الإمارات والبحرين حيث يبلغ نصيب هذه الصناعات في الناتج المحلي الإجمالي ٢٢% و ١٣,٥% على التوالي، وتبلغ نسبة الصناعات الاستخراجية إلى الناتج المحلي الإجمالي في الدول غير الخليجية في المجموعة (١)- ومع استثناء العراق يقع حالياً تحت الحصار- ١٦% في ليبيا و ٢٣% في الجزائر، وتقوم الصناعات التحويلية في دول البترول الرئيسية على إنتاج السلع البترولية مثل البتروكيماويات ومنتجات البترول الأخرى (نظر قطاع الصناعات التحويلية في دول مجلس التعاون الخليجي في : المؤسسة العربية لضمان الاستثمار ١٩٩٤)، والهيكل الإنتاجي أكثر تنوعاً في البحرين، والجزائر، والعراق بالمقارنة ببقية الدول في المجموعة (١) وفلي كل دول مجلس التعاون الخليجي، باستثناء المملكة العربية السعودية، نجد أن القطاع الزراعي يلعب دوراً هامشياً في الإنتاج، فنسبة القطاع الزراعي إلى الناتج المحلي الإجمالي تبلغ ٣,٤% أو أقل في هذه الدول. بينما في المملكة العربية السعودية وليبيا تبلغ نسبة الزراعة إلى الناتج المحلي حوالي ٧% وترتفع هذه النسبة إلى ١١% في الجزائر ٣٣% في العراق.

<sup>١٤</sup> تعتبر منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ممثل جيد للمنطقة العربية لأن أغلب الدول بها هي دولاً عربية، فالدول غير العربية المتضمنة في هذه المجموعة هي إيران وإسرائيل ومالطة، ولكن في نفس الوقت، لا تشمل هذه المنطقة الدول العربية التي تقع في أفريقيا جنوب الصحراء وهي حسب تقسيمات البنك الدولي، جيبوتي، موريتانيا، الصومال، السودان.

<sup>١٥</sup> حسب من : Table ٣ (٢٠٠٠ a) World Bank على أنها تساوي (١-السكان تحت من ١٥ عام/ إجمالي السكان) × ١٠٠.

اما دول المجموعة (٢) فلديها هيكل انتاجي اكثر تنوعا (انظر جدول (٢)) فباستثناء جيبوتي والاردن، نسبة الزراعة الى الناتج المحلي الاجمالي تتراوح بين ٨% في لبنان و٤٩% في السودان، وتتراوح نسبة للصناعات التحويلية الى الناتج المحلي الاجمالي من اقل من ٤% في جيبوتي الى ١٨% في تونس، اما النصيب النسبي للصناعات الاستخراجية فيتراوح بين ١١%-١٩% من الناتج المحلي الاجمالي في ثلاث دول (موريتانيا، سوريا، اليمن)، و٦% في مصر، و٤% واقل في بقية دول المجموعة (٢).

وبالنظر الى ميزان المدفوعات والميزان التجاري في الدول العربية، وهو ما يعبر عن امكانيات كسب العملات الاجنبية في المنطقة العربية، يتضح التالي (جدول ٣): في عام ١٩٩٨، كانت كل الدول في المجموعة (١) باستثناء عمان، لديها فائض في الميزان التجاري. وتبلغ نسبة هذا الفائض الى الناتج المحلي الاجمالي ٣% واقل في اربع دول (قطر، البحرين، ليبيا، الجزائر)، و٧%-٩% في الامارات العربية المتحدة، الكويت، والمملكة العربية السعودية، اما في عمان فيوجد عجز في الميزان التجاري يبلغ ٢,٢% من الناتج المحلي الاجمالي، وفي المجموعة (٢)، كل الدول لديها عجز في الميزان التجاري. باستثناء موريتانيا، وتبلغ نسبة العجز في الميزان التجاري الى الناتج المحلي ٩% واكثر في كل دول المجموعة باستثناء سوريا، وتصل النسبة الى ٢٢% في الاردن و٣٦% في لبنان، اما ميزان المدفوعات فهو يعاني من عجز في المجموعتين من الدول في ١٩٩٨، باستثناء الامارات والكويت في المجموعة (١) والاردن وسوريا وموريتانيا في المجموعة (٢)، ويلاحظ ان العجز في ميزان المدفوعات يزيد بدرجة يعتد بها في دول مجلس التعاون الخليجي بالمقارنة ببقية الدول في المجموعة (١) وكل دول المجموعة (٢)، باستثناء لبنان والسودان، فهو يبلغ ١٠% واكثر من الناتج المحلي الاجمالي في دول مجلس التعاون الخليجي بالمقارنة بـ ٥% واقل في الدول العربية الاخرى.

##### ٥. اثار العولمة على الامن الاقتصادي العربي:

العولمة لها اثار ايجابية وسلبية متوقعة على بعدي الامن الاقتصادي العربي: الانتاج والصادرات، والطلب على العمالة، وهناك تدخل بين البعدين، فزيادة الانتاج يؤدي الى زيادة الطلب على العمالة، ولكن تاثير العولمة على كل منهما لا يتم بنفس الالات وخلال نفس الفترات في كل الحالات كما سنرى لدناه.

##### اولا: الاثر على الانتاج والصادرات:

تحرير التجارة الدولية، وهي احد ابعاد العولمة كما رأينا اعلاه، لها اثار متوقعة، سلبية وإيجابية، على الدول العربية كمنتج ومصدر للسلع الصناعية والزراعية، مع الاخذ في الاعتبار ان الدول العربية صافي مستورد للنوعين من السلع. وتحرير التجارة يضع الدول العربية تحت ضغوط تنافسية قوية بالنسبة للسلع الصناعية نتيجة لفتح الاسواق المحلية امام السلع الاجنبية، ويأتي قطاع الصناعة في المرتبة الثانية بعد الزراعة من حيث مساهمته في الناتج المحلي الاجمالي في المنطقة العربية، اذا ما استثنينا قطاع الصناعات الاستخراجية (البترول اساسا) في دول المجموعة (١) ففي اربع دول في المجموعة (١) وخمس دول في المجموعة (٢) تبلغ مساهمته في الناتج المحلي الاجمالي ١٠% واكثر، وتصل الى ١٨% في

تونس (جدول ٢) واهم الصناعات في الدول العربية هي صناعة الكيماويات (بما فيها تكرير البترول) الصناعات الغذائية، الاقمشة والملابس الجاهزة، والالات ومعدات النقل، وتتفاوت الاهمية النسبية لهذه الصناعات بين دولة واخرى في المنطقة العربية . مثلا الصناعات الغذائية تمثل ٤١% من القيمة المضافة للصناعات التحويلية في موريتانيا، ٣١% في المغرب، ومن ٢٥-٢٧% في لبنان، والعراق وسوريا ، بينما تساهم صناعة الاقمشة والملابس الجاهزة بنسبة كبيرة في القيمة المضافة لقطاع الصناعات التحويلية في تونس (٣٦%) ، سوريا (٣١%) ومصر (٢٣%) (الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، جدول ملحق ٥/٤).

وتخفيض التعريفات الجمركية في ظل تحرير التجارة يهدد انتاج السلع الصناعية في غالبية الدول النامية، بما فيهم الدول العربية، فعدم قدرة الصناعات المحلية على منافسة المنتجات الاجنبية، سواء في السوق للداخلي او الاسواق الخارجية، يتوقع ان يؤدي الى اخلاق وانثار كثير من هذه الصناعات التحويلية، والنتيجة هي خفض الانتاج المحلي من هذه السلع، وما يترتب على ذلك من خفض للصادرات وزيادة للواردات منها.

وبالاضافة الى تحرير التجارة في ظل العولمة، سيتأثر قطاع الصناعات التحويلية بالمنطقة العربية باتفاقيات التجارة الحرة التي عقدت بين عدد من الدول العربية (تونس، المغرب، الاردن، والمنطقة الفلسطينية) وبين الاتحاد الاوروبي<sup>١٦</sup>، واتفاقية منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى التي عقدت فيما بين الدول العربية في ١٧/٢/١٩٩٧ ووقع عليها ١٤ دولة عربية<sup>١٧</sup>. ويتوقع انضمام السودان واليمن الى الاتفاقية في وقت مقبل من عام ٢٠٠٢ (المؤسسة العربية لضمان الاستثمار ٢٠٠١) وبناء عليه فان التوسع في قطاع الصناعات التحويلية في الدول العربية في ظل العولمة يتوقف الى حد كبير على التعاون على المستوى الاقليمي لتنمية هذا القطاع والارتفاع بكفاءته حتى يمكن ان يقابل المنافسة الخارجية المتوقعة نتيجة لتخفيض الرسوم الجمركية وفتح الحدود فيما بين الدول وبعضها في ظل العولمة، ودير بالذكر ان نظام الجات المطبق من منظمة التجارة العالمية لا يمنع كلية التدخل الحكومي لتعزيب الصناعة، وبالرغم من ان هذا النظام يمنع دعم الصادرات الا ان كثيرا من الاجراءات التي تستخدم لحماية الصناعة الوليدة ولتنويع الصناعات مازال مسموح به (٢٠٠٠ Amsden).

اما الآثار الايجابية المتوقعة للعولمة فتتمثل في انخفاض اسعار السلع الصناعية بالنسبة للمستهلك في الدول العربية، وقد يذهب البعض الى انه اذا كانت للدول العربية مسئورد صافيا للسلع الصناعية، فان الاثر الايجابي قد يعوض الاثر السلبي في هذا الصدد. ولكن

<sup>١٦</sup> الاتفاقية مع مصر في المراحل الاخيرة للتصديق عليها، بينما الاتفاقيات مع الجزائر ولبنان وسوريا في مرحلة التفاوض.

<sup>١٧</sup> هذه الدول هي الاردن، الامارات، البحرين، تونس، المملكة العربية السعودية، سوريا، العراق، عمان، قطر، الكويت، لبنان، مصر، المغرب، (المؤسسة العربية لضمان الاستثمار ، ٢٠٠١، ص ٤٠).

المسألة ليست بهذه البساطة إذ يجب أن نأخذ في اعتبارنا أثر المضاعف الناتج عن إغلاق المصانع والاستغناء عن العمال على الاقتصاد القومي ككل، وهو ما يحتاج إلى دراسة مستقلة.

وبالنسبة للسلع الزراعية، فأحد نتائج تطبيق اتفاقية الجات ١٩٩٤ هو تخفيض الدعم عليها مما سيؤدي إلى رفع أسعارها في الأسواق الدولية (ويشمل ذلك أسعار القمح والسكر، وزيت الطعام، ومنتجات الألبان) ويعني ذلك أن الدول التي تعتبر مستوردا صناعيا للمواد الغذائية، وهي تشمل كل الدول العربية بدرجات متفاوتة، ستحقق خسارة تتمثل في رفع فاتورة استيراد الغذاء من الخارج، ففي النصف الثاني من التسعينات نجد أن الفجوة الغذائية العربية لاهم السلع الغذائية الرئيسية تمثل حوالي ثلثين صافي الواردات الزراعية للدول العربية، فهي تبلغ ٦٦% و ٦٢% من صافي الواردات للزراعة للمنطقة العربية في عامي ١٩٩٥ و ١٩٩٩ على التوالي<sup>١٨</sup>.

ولكن في نفس الوقت، فإن رفع الأسعار العالمية للسلع للزراعة مفروض أن يكون دافعا للمنتجين المحليين في المنطقة العربية لزيادة إنتاجهم وزيادة أرباحها إذا ما اتبعت السياسات المناسبة، مما يترتب عليه تحقيق مكاسب في الدول العربية المنتجة للسلع الزراعية، يضاف إلى ذلك أن فتح الأسواق أمام السلع الزراعية قد يشجع زيادة إنتاج وتصدير هذه السلع، خاصة إلى أوروبا التي تقترب موقعا من عدد من الدول العربية المنتجة والمصدرة للسلع الزراعية (مثل المغرب، تونس، الأردن، السودان، مصر).

بصفة عامة، فإن تحرير التجارة، وما تتضمنه من تخفيض للتعريفات الجمركية والغاء القيود التجارية، تساعد على لتساع الأسواق، وهذا يزيد من الإنتاج، ويزيد بالتالي من فرص العمالة في الدول المنتجة، ولكن هذه المزايا المفترضة من تحرير التجارة بالنسبة للإنتاج والعمالة لن يحقق بنفس النسبة في كل الدول المنتجة. فحسب الأسد من هذه المنافع ستحصل عليه الدول المنتجة للسلع الصناعية، بينما يذهب الجزء الأصغر إلى الدول المنتجة للسلع الزراعية، ويرجع ذلك إلى أن اتفاقية الزراعة في الجات ١٩٩٤ لا تحرر التجارة في السلع الزراعية بنفس درجة تحرير التجارة في السلع الصناعية، حتى بعد التنفيذ للاتفاقية<sup>١٩</sup> فبناء على اتفاقية الزراعة هذه، ستخفض كل التعريفات الجمركية بمتوسط ٣٦% (بحد أدنى ١٥% بالنسبة لأي سلع زراعية) بالنسبة إلى التعريفات الجمركية في فترة الأساس ١٩٨٦-١٩٨٨. وبالنسبة للسلع الزراعية التي تحصل على دعم تصدير، سينخفض الدعم بمقدار ٣٦%،

<sup>١٨</sup> حسبت من جدولي ملحق ٩/٣ و ٦/٣ في : الامانة العامة لجامعة الدول العربية وآخرون، التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سبتمبر ٢٠٠١.

<sup>١٩</sup> التنفيذ الكامل للاتفاقية التي بدأ في تنفيذها في ١٩٩٥، هو ٢٠٠١ بالنسبة للدول المتقدمة و ٢٠٠٥ بالنسبة للدول النامية (Tanner & Swinbank ١٩٩٨).

وحجم الصادرات المدعومة بمقدار ٢١% بالمقارنة الى فترة الاساس ١٩٨٦-١٩٩٠ (Tanner ١٩٩٦ :Safadi & Laird ١٩٩٨: Swinbank).

وكما هو الوضع في دول العالم الثالث، فإن الدول العربية، خاصة دول المجموعة (٢) تعتبر منتجة للسلع الزراعية اساسا، فنسبة الناتج الزراعي الى اجمالي الناتج المحلي الاجمالي يبلغ ١٢% وأكثر من سبع دول عربية في المجموعة (٢)، والعراق في المجموعة (١)، ويصل الى ٢٩% من الناتج المحلي الاجمالي في سوريا و ٤٩% في السودان (جدول ٢). ولذلك فإنه من المتوقع ان يكون تأثير تحرير التجارة على الانتاج في الدول العربية، وهي غالبية الدول النامية كذلك، أقل من تأثيرها على الدول المتقدمة التي يتمثل انتاجها الاساسي في السلع الصناعية.

وتحرير التدفقات المالية، وهو اتحاد ابعاد العولمة، يؤثر على الامن الاقتصادي للدول العربية من خلال ما تؤدي اليه تدفق الاستثمارات الاجنبية الى هذه الدول من زيادة في الانتاج وما قد يؤدي اليه ذلك ايضا من زيادة للصادرات والحصول على مزيد من النقد الاجنبي، اما اثر تحرير رأس المال قصير الاجل على لقتصاديات الدول العربية والدول النامية بصفة عامة، فهو ليس بالضرورة اثرا ايجابيا لان الاسواق المالية في هذه الدول اسواق ناشئة، وبالتالي فإن الاثر السلبي لتدفق هذه الاسعار في هذه الاسواق قد يفوق في احيان كثيرة الاثر الايجابي لها. فالجزء المهم من تحرير التدفقات المالية بالنسبة للدول النامية عموما بما فيها الدول العربية، هي الاستثمارات المباشرة. فإذا نظرنا الى تدفق هذه الاستثمارات في الدول العربية نتيجة العولمة، نجد انها محدودة للغاية. فالاستثمارات الاجنبية الخاصة المباشرة الى الدول العربية تبلغ حوالي ٠,٥% من الناتج المحلي خلال الفترة ١٩٨٤-١٩٩٤. والجزء الاكبر من هذه الاستثمارات كان في قطاع الطاقة (١٩٩٨ El-Erian & Sheybani) وفي عام ١٩٩٧، بلغ صافي تدفقات رأس المال الخاص الاجنبي الى المنطقة العربية ٤,٣ بليون دولار موزعين كالآتي: ٢,٤ بليون دولار استثمارات مباشرة، ٢,١ بليون دولار استثمارات في المحافظ المالية و- ٠,٢٤ بليون دولار صافي تدفقات الدين الخارجي. وإذا قارنا وضع الدول العربية بالدول النامية كمجموعة، نجد ان في ١٩٩٧ مثلاً اجمالي تدفقات رأس المال الخاص الاجنبي، شاملاً الاستثمار في المحافظ المالية، الى اكبر ست دول عربية متلقية لرأس

٢٠ يرى البعض ان القدر الفعلي لتحرير تجارة السلع الزراعية الناتجة عن تحقيق التعريفات الجمركية في الدول المتقدمة عن التنفيذ الكامل للاتفاقية سيكون أقل كثيراً مما تقول به الأرقام، واحد الانسحاب لذلك هو ان التعريفات الجمركية في فترة الاساس ١٩٨٦-١٩٨٨ كانت اعلى نسبياً من مستواها المعتاد في السنوات الطبيعية حيث كانت اسعار السلع الزراعية منخفضة بدرجة ملحوظة في فترة الاساس مما ادى بالدول المتقدمة الى رفع التعريفات الجمركية لها لحماية انتاجها. وبناء على ذلك فإن تخفيض التعريفات الجمركية على هذه السلع بمقدار ٣٦% سيؤدي الى سيادة معدل تعريفات اعلى من المفروض ان يكون عليه اذا ما كانت الاسعار الصاعدة في فترة الاساس في الاسعار المعتادة (Tanner & Swinbank, ١٩٩٨).

المال الاجنبي كان اقل من ١,٥% مما حصلت عليه الدول النامية كمجموعة (Table ٧: ٢٠٠٢ Abdel - Khalek & Korayem).

ومن ناحية اخرى نجد ان المنطقة العربية تعتبر صافي مصدر للاستثمارات الاجمالية (عام وخاص) بالرغم من عدم وجود بيانات دقيقة عن تدفق الاستثمارات العربية الى الخارج، وتذهب احدى التقديرات الى ان رصيد الاستثمارات العربية خارج المنطقة زادت من ٤٠٠ بليون دولار في ١٩٩٠ الى ٧٥٠ بليون دولار في ١٩٩٥ (Kharioush & EI Hammoury) معنى ذلك ان صافي تدفق الاستثمارات خارج المنطقة العربية يبلغ حوالي ٥٠ بليون دولار في السنة خلال الفترة ١٩٩٠-١٩٩٥. وتذهب غالبية الاستثمارات العربية الى اوربا، واليابان، والولايات المتحدة الامريكية. واغلب هذه الاموال توضع كإيداعات في البنوك او في شراء اذون خزانة حكومية. ويذهب جزء هامشي من هذه الاستثمارات العربية الى الدول العربية، إذ تتراوح هذه الاموال فيما بين ١,٥-٢,٠ بليون دولار سنويا ( ٢٠٠٠ Kharioush & EI Hammoury).

واذا ما نظرنا الى اثر التحرير المالي على الامن الاقتصادي العربي، لابد من ان نميز بين التدفقات التي تأتي في شكل استثمارات مباشرة وتلك التي تأتي في شكل استثمارات في المحافظ المالية. فبينما تؤدي النوع الاول من التدفقات الى زيادة الانتاج وفرص العمل. وايضا زيادة الصادرات في حالات عديدة، يحمل النوع الثاني من التدفقات كثير من المخاطر على اقتصاديات الدول العربية. فهذا النوع الاخير يتميز بسرعة دخوله الى البلاد وخروجه منها بحثا وراء الربح السريع. وهو بالتالي يعرض الدول المعنية الى ازمات اقتصادية نتيجة لما يحدثه من اضطرابات في الاسواق المالية.

وبالنظر الى توزيع تدفقات رأس المال الخارجي الاجنبي الى المنطقة العربية فيما بين هذين النوعين. نجد ان الاستثمارات في محافظ الاوراق المالية، وهو ما تلقب ايضا برأس المال قصير الاجل، تمثل ٤٩% من اجمالي تدفقات رأس المال الخاص الى المنطقة العربية و ٨٦% من الاستثمارات الاجنبية المباشرة الى هذه المنطقة، هذا النمط التوزيعي لرأس المال الاجنبي في المنطقة العربية اكثر سواها من النمط التوزيعي لرأس المال الاجنبي في الدول النامية كمجموعة، حيث يبلغ رأس المال قصير الاجل ١٠% فقط من اجمالي تدفقات رأس المال الخاص الى هذه الدول، ويمثل ١,٩% فقط من تدفقات الاستثمارات الاجنبية المباشرة اليها. ورغم ارتفاع نسبة رأس المال قصير الاجل الى اجمالي تدفقات رأس المال الخاص الاجنبي في المنطقة العربية، نجد ان هذه النسبة اكثر ارتفاعا في بعض الدول العربية، فمثلا في مصر، نجد ان الاستثمارات الاجنبية في المحافظ المالية تبلغ ٧٠% من اجمالي تدفقات رأس المال الاجنبي الى مصر، واكثر من ضعفي الاستثمارات الاجنبية المباشرة اليها (Table ٧: ٢٠٠٢ Abdel - Khalek & Korayem).

كما هو مذكور اعلاه، اغلب الاستثمارات الاجنبية المباشرة موجهة الى الدول المتقدمة (الولايات المتحدة، اوربا، واليابان) يضاف الى ذلك ان نسبة صغيرة للغاية من نصيب الدول النامية من الاستثمارات الاجنبية المباشرة، وهي اصلا صغيرة للغاية كما

وضحنا اعلاه- نذهب الى الدول العربية. فمن اجمالي ١٦٣٤٢٣ بليون دولار صافي تدفقات الاستثمار الاجنبي الى الدولي النامية في عام ١٩٩٧، ١,٥% فقط (٢٤٤٦ مليون دولار) موجهة الى ست دول عربية يمثلون كبر المتلقين للاستثمارات الاجنبية المباشرة في المنطقة العربية<sup>٢١</sup> (Table ٢٠٠٢: Abdl- Khalek & Korayem). وفي تقدير الائتداد. صافي تدفقات الاستثمارات الاجنبية المباشرة الى كل الدول العربية تبلغ حوالي ٢٨٧٤ مليون دولار في ١٩٩٧ (Annex Table #١: UNCTAD ١٩٩٨) أي تبلغ حوالي ١,٨% فقط من اجمالي الاستثمارات الاجنبية المباشرة الى الدول النامية. ومعنى ذلك ان تأثير تحرير التدفقات المالية على زيادة الانتاج والصادرات في الدول العربية، وهما احدي بعدي الامن الاقتصادي العربي، محدود للغاية.

اما على مستوى الدولة الواحدة، نجد ان اكبر ثلاث دول عربية متلقية للاستثمارات الاجنبية المباشرة في ١٩٩٧ هي المغرب (١٢٠٠ مليون دولار)، مصر (٨٩١ مليون دولار)، وتونس (٣١٦ مليون دولار) (Table ٢٠٠٢: Abdel - El Khalek & Korayem) فإذا ما قارنا حجم الاستثمارات الاجنبية المباشرة الى اجمالي الاستثمارات في هذه الدول الثلاث لنعرف الاهمية النسبية للتدفقات المالية لمباشرة على اقتصاديات هذه الدول، نجد انها تمثل ١٧,٤% من اجمالي الاستثمارات في المغرب، ٥,٨% في مصر، و ٦,٢% في تونس<sup>٢٢</sup>. ويلاحظ انه في اليمن، وهي من الدول المنخفضة الدخل في المنطقة، هناك صافي تدفق للاستثمارات الاجنبية المباشرة الى الخارج يبلغ ١٣٨ مليون دولار في ١٩٩٧، وهو ما يمثل ٨,٦% من اجمالي الاستثمارات بها (Table ٢٠٠٢: Abdel - El Khalek & Korayem) ونخلص من ذلك الى هامشية اثر التدفقات المالية المباشرة على زيادة الانتاج وصادرات الدول العربية.

وقد يقال ان امكانيات الدول العربية لجذب رأس المال الاجنبي وتحقيق معدلات نمو مرتفعة اكبر في المستقبل عندما يحدث تحرير اقتصادي ومالي اكبر في الاقتصاد الدولي، وتنضم كل الدول العربية الى اتفاقية الجات<sup>٢٣</sup>. ولكن حتى اذا حققت الدول العربية معدلات اقتصادية مرتفعة، ليس من المتوقع ان يتغير نمط توزيع الاستثمارات الاجنبية المباشرة لصالحها في الاجلين القصير والمتوسط، ففي الثمانينات واول التسعينات كان نمط توزيع

<sup>٢١</sup> هذه الدول هي: الجزائر، مصر، المغرب، عمان، سوريا، وتونس.

<sup>٢٢</sup> في ١٩٩٧، كانت اجمالي الاستثمارات ٦٩١٤ مليون دولار في المغرب ١٥٣٠٠ مليون دولار في مصر، و ٥٠٧٥ مليون دولار في تونس (الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، ملحق جدول (٦/٢)).

<sup>٢٣</sup> هناك سبع دول عربية منضمة الى هذه الاتفاقية وهي مصر، تونس، المغرب، جيبوتي، موريتانيا، والكويت، البحرين، الامارات، وقطر، ولبنان، واليمن اعضاء بالفعل ولكن ليسوا اعضاء قانونيين (لم يتخذوا الاجراءات القانونية لاتضمامهم بعد). والمملكة العربية السعودية والاردن، والسودان في مرحلة التفاوض (Zarrouk & Zallio ٢٠٠٠).



الاستثمارات الأجنبية المباشرة متحيز كثيرا لصالح الدول المتقدمة بالرغم من الانجازات الاقتصادية الكبيرة التي حققتها الدول حديثة التصنيع في اسيا.  
ثانيا: الاثر على العمالة:

تعاني الدول العربية حاليا من معدلات مرتفعة للبطالة. ففي بداية التسعينات كان معدل البطالة في مصر ١٤% وفي الاردن ١٨,٨%. وفي لبنان ١٥%-١٧%، وفي اليمن ١٢,٣% وفي دول مجلس التعاون الخليجي ١٤,٨% (الاسكوا، (أ) ١٩٩٧ جدول ٣. II). وبناء على تقديرات اخرى، بلغ معدل البطالة ٢٠% في الجزائر والاردن ولبنان وتونس، و١٥% في مصر والمغرب و٦٠% في قطاع غزة (الاسكوا (ب) ١٩٩٧، ص ٧٣) وحديثا هناك دولا عربية لم تكن تعاني من البطالة قبلا مثل (دول مجلس التعاون الخليجي) وبدأت تعاني حاليا من هذه الظاهرة، وخلال العقد السابق، انتشرت البطالة على الاخص فيما بين خريجي الجامعات وحملة المؤهلات الاعلى (الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، ص ٢٣). فهل سيؤدي العولمة الى زيادة الطلب على العمالة في المنطقة العربية وما يترتب على ذلك من خفض لمعدل البطالة وبالتالي خفض لاعداد الذين لا يستطيعون الحصول على دخول لمقابلة احتياجات اسرهم وتحقيق الامن الاقتصادي لهم، وهو جزء من الامن الاقتصادي القومي؟

تؤثر العولمة على العمالة في دولة ما من خلال ثلاث قنوات: الاثر على الاستثمار ، وعلى معدل النمو، وعلى الطلب عليها.

١. بالنسبة لاثار العولمة على الاستثمار، فان هذا يتم من خلال تحرير التدفقات المالية وخاصة ذلك الجزء من التدفقات المالية الذي يوجه الى الاستثمارات، وهو ما يسمى بالاستثمارات الأجنبية المباشرة. والاستثمارات الأجنبية المباشرة لها اثار مباشرة وغير مباشرة على الدول المتلقية لها (LAI، ١٩٩٥) وتتوقف الاثار المباشرة للاستثمارات الأجنبية المباشرة على عدد من العوامل: (أ) حجم ونوع الاستثمارات. فإذا كانت هذه الاستثمارات تؤدي الى انشاء وحدات إنتاجية جديدة، فان هذا سيؤدي الى زيادة الانتاج والعمالة. اما اذا كانت هذه الاستثمارات توجه لشراء وحدات انتاجية قائمة بالفعل، فليس بالضرورة ان تؤدي في هذه الحالة الى أي زيادة في الانتاج او العمالة. (ب) نوع الفن الانتاجي (التكنولوجيا) المطبق. فبالرغم من ان الشركات عابرة القارات تطبق عادة أحدث التكنولوجيات، وهي عادة كثيفة رأس المال، الا ان اثر الاستثمارات على الدولة المتلقية يتحدد بمدى قدرة هذه الدول على تطوير هذه التكنولوجيات المستوردة بما يتفق مع احتياجاتها. (ج) هناك متغيرات اخرى لها اثار مباشرة على العمالة في الدول المتلقية، منها استراتيجية المستثمر الاجنبي في تطوير التكنولوجيا المستخدمة سواء في اتجاه زيادة استخدام رأس المال او العمالة، وتوجه المستثمر الى تصدير جزء من المنتج اولا، والاحوال الاقتصادية وظروف السوق في الدول المتلقية.<sup>٢٤</sup>

<sup>٢٤</sup> لمزيد من التفاصيل عن الاثار المباشرة على العمالة، انظر: LAII ١٩٩٥.

والاستثمارات الاجنبية المباشرة لها ايضا اثار غير مباشرة على العمالة. من هذه الاثار مايمكن ان تؤدي اليه هذه الاستثمارات من زيادة الطلب على العمالة في المشروعات التي تتكامل راسيا مع مشروعات الشركات عابرة القارات، كذلك قد تؤثر هذه المشروعات الاجنبية الجديدة على احداث تقدم في الدولة المتلقية في مجالات العلوم والتكنولوجيا، والتعليم والتدريب، ويخلص لال الى ان اثر الاستثمارات الاجنبية المباشرة على العمالة اثر مركب، وان السياسات الاقتصادية يمكن ان تلعب دورا هاما في توجيه الاستثمارات الاجنبية الى افضل الاستخدامات وتعظيم فوائدها في الدول المتلقية.

وبالنسبة لاثار العمالة على النمو الاقتصادي في الدول النامية عموما وتأثيره على العمالة، هناك وجهتين نظر بهذا الخصوص - واحد متفائلة، والاخرى متشائمة بالنسبة لوجهة النظر المتفائلة، هناك اتجاهين. اتجاه منهما يتوقع نمو اقتصادي سريع في جزء كبير من دول العالم الثالث، وعلى الاخص في شرق جنوب اسيا وامريكا اللاتينية (Hirst & Thompson ١٩٩٨) والاتجاه الاخر يرى ان كل الدول النامية ستستفيد من العمالة نتيجة للتقدم التكنولوجي وفتح الاسواق مما سيكون له اثارا ايجابية على العمالة. ولكن هذا الاتجاه الاخير يستلزم من ذلك التوقع ثلاث انواع من الدول: الدول التي ليس لها منافذ مائية، والدول ذات المناخ الاستوائي، والدول التي تعتبر منتجة رئيسية للموارد الطبيعية مثل البترول (Sachs، ١٩٩٨).

اما وجهة النظر المتشائمة فترى ان مرونة رأس المال وتحرير التجارة مستقل الاستثمارات في الصناعات التحويلية من الدول الصناعية الى الدول النامية ذات الاجور المنخفضة. ولكن دون ان تستفيد من ذلك العمالة في الدول النامية لان حكومات هذه الدول وقوانين العمل المجحفة فيها ستبقى على الاجور عند مستوى منخفض.

ويذهب البعض ايضا الى ان النمو الاقتصادي في الدول النامية الذي يقوم على الاستثمارات الاجنبية المباشرة لن يكون نموا مستقرا حيث ان هذه الاستثمارات سريعة الانتقال مما يؤدي الى عدم استمرارية عملية التنمية وحدوث تفاوتات كبيرة داخل هذه الدول<sup>٢٥</sup> (Hirst & Thompson، ١٩٩٨).

وبناء على هذه الآراء، نجد ان عددا ليس صغيرا من الدول العربية يقع في مجموعة الدول التي لن تستفيد من العمالة بناء على الاتجاهين في وجهة النظر المتفائلة، فعدد من هذه الدول من المنتجين الاساسية للموارد الطبيعية (البترول)، بالإضافة الى ان بعض منها تقع في مناخ قاسي يعوق النمو الاقتصادي بها. اما بالنسبة لوجهة النظر المتشائمة. فلن تكون للعمالة اثار ايجابية على النمو الاقتصادي في الدول النامية شاملة الدول العربية.

بالنسبة لاثار العمالة على الطلب على العمالة، فان من ابعاد العمالة التي يتوقع ان يكون لها اثار ايجابية في هذا الصدد هو نقل انتاج بعض الصناعات التحويلية من الدول الصناعية الى الدول النامية، ولكن هناك من يشكك في امكانية تحقق هذا البعد من

<sup>٢٥</sup> لمزيد من الآراء عن الآثار السلبية المتوقعة على الدول النامية، انظر Thomas & Wikin.

العولمة على نطاق واسع، وبالتالي في إمكانية استفادة دول العالم الثالث منه. إذ يقال في هذا الصدد أن تكلفة العمل لا تمثل أكثر من ٢٠% من إجمالي تكاليف المنتج النهائي في الصناعات التحويلية في الدول المتقدمة، وبناء عليه فإن نسبة الأجور المنخفضة في الدول النامية قد تكون أقل من التكلفة المرتفعة للبحث والتطوير والتسويق مما لا يشجع انتقال عدد من الصناعات التحويلية من الدول المتقدمة إلى الدول النامية (Hirst & Thompson ١٩٩٨). يضاف إلى ذلك أن متوسط إنتاجية العامل قد تكون منخفضة كثيراً في الدول النامية عن نظيرتها في الدول المتقدمة مما يرفع من تكلفة وحدة العمل بالرغم من انخفاض الاجر، فمثلاً بالرغم من أن الاجور في تونس والمغرب نقل حوالي ١٠ مرات عن الاجور في الاتحاد الاوربي، نجد أن انخفاض إنتاجية العمل ترفع من تكلفة وحدة العمل بها بالمقارنة ببعض الدول الاوربية (Boughzala ١٩٩٧). يضاف إلى ذلك أنه على الرغم من انخفاض الاجور في الدول العربية انخفاضاً كبيراً بالمقارنة بالدول الاوربية، نجد أن هناك دولاً في جنوب شرق آسيا-مثل الدونيسيا- معدل الاجور فيها أكثر انخفاضاً، مما يقلل من احتمالات نقل الصناعات التحويلية إلى المنطقة العربية<sup>٢٦</sup>.

كما أن تحرير التجارة لا يتوقع أن يكون له أثر إيجابي كبير على الطلب على العمالة في الدول العربية، فالدول العربية، مثلها مثل غالبية الدول النامية، منتجة السلع الزراعية أساساً. وهذه كما أوضحنا أعلاه، لاتخضع لتخفيض في التعريفات الجمركية كما هو الوضع بالنسبة للسلع الصناعية مما يجعلنا نحفظ في توقعاتنا بخصوص مقدار فتح الأسواق الدولية أمام المنتجات الزراعية العربية، وتأثير ذلك على زيادة الطلب على العمالة بالمنطقة. يضاف إلى ذلك أن فتح الحدود أمام السلع الصناعية سيهدد الصناعات المحلية في المنطقة العربية بسبب منافسة المنتجات الغربية لها مما قد يؤدي إلى غلق عدد من للصناعات المحلية، على الأقل في الأجلين القصير والمتوسط وبالتالي فقد عدد من العمالة الصناعية لعملم.

ولكن هناك وجهة نظر أخرى بخصوص أثر تحرير التجارة على العمالة في الدول العربية. فأحدى الدراسات عن المغرب توصلت بناء على استخدام نموذج معين، إلى أن العمالة في الصناعة لم تتأثر من تحرير التجارة بها، عام ١٩٨٣<sup>٢٧</sup>. إذ تذهب للدراسة إلى أن عدداً كبيراً من المصانع وفقت لوضعها تبعاً للظروف الجديدة، ليس بخفض العمالة بها، وإنما بتخفيض هامش الربح ورفع الإنتاجية (Currie & Harrison ١٩٩٧). ولكن هناك دراسات أخرى تخلص إلى أن أثر اتفاقية التجارة الحرة مع الاتحاد الاوربي على العمالة في

<sup>٢٦</sup> فمتوسط تكلفة وحدة العمل في الصناعة في تونس عام ١٩٩٣ كانت ١٠,٥% و ٨,٦% من التكلفة المقارنة في فرنسا وألمانيا على التوالي (Boughzala ١٩٩٨) ولكن في اندونيسيا يبلغ اجر العامل ٢% من الاجر في ألمانيا، فهو ٠,٥ دولار في الساعة في اندونيسيا بالمقارنة بـ ٢٥ دولار في الساعة في ألمانيا (Hirst & Thompson ١٩٩٨، ١١٧).

<sup>٢٧</sup> في ١٩٨٣ قامت المغرب ببناء على أزمة اقتصادية كانت تمر بها، بإلغاء القيود على الواردات، وتخفيض التعريفات الجمركية ١٦٥% إلى ٤٥% على مدار ست سنوات (Currie & Harrison).

تونس والمغرب قد يكون حديا، او حتى سالبا مما يرفع من معدل البطالة بها عن المستوى المرتفع السائد في البلدين بالفعل.

وينتقد بوزغالة هذه الدراسات على انها مبنية على نموذج ستاتيكي. وباستخدام لنموذج ديناميكي، توصل الى ان الخسارة المتوقعة في فرص العمل في تونس والمغرب يمكن تعويضها بحدوث تدفقات مالية سنوية الى البلدين بمقدار ١ مليار دولار لتونس. ٢-٣ مليار دولار للمغرب (Boughza; a, ١٩٩٧). ولكن هذا القدر من الاستثمارات الذي يمنع حدوث خسارة في فرص العمل في تونس والمغرب بناء على هذه الدراسة يبدو كبيرا للغاية اذا ما قارنا بالوضع الحالي لتدفق الاستثمارات الاجنبية الى هذين البلدين. اذ نجد ان هذا يتطلب زيادة تدفق الاستثمارات الى البلدين بمقدار ٣ مرات سنويا عن المستوى الحالي لها (٢٠٠٢، Abdel- Khalek & Korayem).

والبند الذي لم يطبق بعد ولكنه موضوع على جدول اصنام منظمة التجارة العالمية، وتعمل الدول المتقدمة على تمريره بالرغم من المعارضة الشديدة له من جانب دول العالم الثالث، هو ما يطلق عليه بند العمل (Labour Clause) ومضمون هذا البند انه لايسمح بالاستيراد من الدول التي لديها عمالة اطفال والتي لا تنطبق ظروف العمل التي تتفق مع متطلبات حقوق الانسان (Castle & others, ١٩٩٨). هذا البند، اذا ما طبق، سيكون له اثار سلبية على العمالة في الدول العربية والدول النامية عموما. اذ سيؤدي الى وضع قيود على الواردات من الدول العربية حيث تتواجد عمالة الاطفال بالاضافة الى ان ظروف العمل في كثير من هذه الدول لا تتفق مع متطلبات حقوق الانسان من ناحية مستوى الاجر، ومناخ العمل، والقبالات العمالية ... الخ، ومن اكثر الدول العربية التي ستضار من لك موريتانيا واليمن ومصر، حيث تبلغ عمالة الاطفال لديهم ٢٣% و ٢٠% و ١٠% من السكان في الفئات العمرية من ١٠-١٤ سنة (الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، ص ٢٣). واذا ما ادى التقدم التكنولوجي الى للتوسع في استخدام الانسان الالي واستبداله بالعمالة غير الماهرة كما يتوقع البعض (Hirst & Thompson ١٩٩٨) فان هذا سيؤدي الى ضرر اضافي بالنسبة للعمالة في الدول النامية، والدول العربية بالتالي حيث تزيد نسبة العمالة غير الماهرة في قوة العمل بها.

ومن ابعاد العمالة التي نتوقع ان تؤثر ايضا سلبيات على العمالة في المنطقة العربية تطبيق اقتصاد السوق. فمن الدعائم الاساسية لهذا النظام، كما ينعكس في برامج الاصلاح الاقتصادي لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، الخصخصة، فالدول العربية لديها قطاع عام كبير بالمقارنة بالدول النامية عموما، فنسبة العمالة في القطاع العام في الدول العربية كانت في المتوسط ٣٧% من اجمالي العمالة خلال الفترة ١٩٨٧-١٩٩٢، بالمقارنة الى ١٠% في المتوسط في الدول النامية و ١٨% في الدول الاوروبية (الاسكوا، (ا)، جدول II.1 ص ٨٦). وفي المنطقة العربية ترتفع العمالة في القطاع العام في دول مجلس التعاون الخليجي نتيجة للسياسات المتبعة في هذه الدول- من تقديم لجزر مرتفعة للعمالة الوطنية، وكذلك الالتزام بتقديم خدمات اجتماعية مدعمة لافراد الشعب، ففي بداية التسعينات بلغت العمالة في القطاع

العام في الكويت والبحرين ٢٣% من اجمالي العمالة<sup>٢٨</sup>. وترتفع العمالة في القطاع العام في دول المجموعة (٢) ايضا اذ تبلغ في عام ١٩٨٧، ٤٥% من اجمالي العمالة في الاردن ، ٣٤% في مصر، و٢٣% في سوريا (الاسكوا، (١) ١٩٩٧، جدول III.I).

وكبر حجم العمالة في القطاع العام يجعل الانتقال الى اقتصاد السوق له تكلفة مرتفعة في الدول العربية من حيث ارتفاع معدل البطالة، وهناك العديد من الدول العربية التي تطبق برامج الاصلاح الاقتصادي بالتعاون مع البنك الدولي وصندوق النقد الدولي واخرى تطبق برامج خاصة بها تتضمن ايضا خصخصة القطاع العام (الاسكوا، (١) ١٩٩٧).

المراجع باللغة العربية

- الاسكوا (ب) ١٩٩٧) الفقر في غرب اسيا، نيويورك، الامم المتحدة.
- الاسكوا (أ) ١٩٩٧) مؤشرات مختارة في منطقة الاسكوا ، نيويورك، الامم المتحدة.
- الامانة العامة لجامعة الدول العربية، الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي، صندوق النقد العربي، ومنطقة الاقطار العربية المصدرة للبترول (١٩٩٩-٢٠٠١)، التقرير الاقتصادي العربي الموحد.
- المؤسسة العربية لضمان الاستثمار (١٩٩٤ و٢٠٠١) مناخ الاستثمار في الدول العربية، الكويت.

المراجع باللغة الانجليزية

**Abdel- Khalek, Gouda & Kanma Korayem (Forthcoming) "Economic and Social Implications of Globalization for The Arab countries", a Paper presented in The International Conference on Arab Development Challenges of The New Millenium, Rabat- Morocco, June 26-28, 2000, organized by The Arab Planning Institute (API)- Kuwait, Publisher: Ashgate, England, forthcoming publication of The API.**

Amsden , Alice (2000), Industrialization under New WTO Law, Paper Prepared for The High- level Round Table on Trade and Development: Directions for the Twenty- First Century, UNCTAD, Bangkok. February 12.

Boughzala, Mongi (1997) Impact on workers of reduced trade barriers :The case of tunisia and Morocco, International Labour review, Vol 136 (3).

Burtliss Gary (1995), International Trade and The Rise in Earnings Inequality, Journal of Economic Literature, Vol, 33, June.

Camdessus Michel (1998) Toward a New Financial Architecture for a Globalized World Address of The Managing Director of The International Monetary Fund at The Royal Institute of International Affairs, London, May 8.

<sup>٢٨</sup> ترتفع نسبة العمالة في القطاع العام الى اكثر من ذلك اذا ما قارناها باجمالي العمالة الوطنية، فنسبة العمالة في القطاع العام الى العمالة الوطنية تبلغ ٩١% في الكويت، اذ يبلغ الاجر ٢-٣ من اكثر من اجر السوق (الاسكوا (١) ١٩٩٧).

- Cardoso Fernando H. (1996) Social Consequences of Globalization , Marginalization or Improvement, The Indian International Center, New Delhi.
- Castle, Robert, D.P.Chundhri & Chris Nyland (1998) Integration of Market Economies and The Rights of Labour: International Regulation of Labour Standards in Ammon Levy-Livemore(ed) Handbook on The Globalization of The World Economy, Cheltenham, UK, Edward Elgar.
- Currie, Janet and Ann Harrison (1997), Sharing The costs: Impact of Trade Reform on Capital and Labour in Morocco, Journal of Labor Economics, Vol 15 (1).
- El- Erian , Mohamed and Shahpassand Sheybani (1997), Private Capital Flow in The Development of The Arab Countries, in Donald Heisel (ed) The Middle East in a Changing World, Caier Papers in Social Science, Vol. (20) (2).
- Feenstar, Robert C.(1998) Integration of Trade and Disintegration of Production in The Global Economy, Journal of Economic Perspectives, 12 (4), Fall Economics Vol. 42.
- Head, Keith (1997)" Lecture 2: Globalization- Definition, Evidence, Mechanisms", April 23. World Wide Web.  
<http://Pacific.commerce.ubc.ca/Keih/Lectures/mne2html1>.
- Hirst Paul & Graham Thompson (1998) Globalization in Question:The International Economy and Possibilities of Governance, Cambridge:Polity Press, 3<sup>rd</sup> edition.
- Hollist, W.Ladd& F.Lamond Tullis (eds) (1987) pursuin food security, Strategies and Obstacles in Africa, Asia, Latin America and The Middle East, Boulder (US), Lynne Rienner Publishers Inc.
- International Monetary Fund (IMF) (1997) World Economic Outlook, Washington, DC, May.
- Jilberto, Alex E.F.& Andre Mommen (1998) Globalizations Versus Regionalization, in Alex E.F.Jilbrto& Andre Mommen (eds) Regionalization and Globalization in The Modern World Economy, London: Routledge.
- Kharioush, Hosni A & Bassam El-Hammoury (2000) "Arab Investments Abroad (Determinants and Solutions)", Arab Economic Journal, Vol 19 (19), Spring.
- Kim, Kwan (1997) Income Distribution and Poverty:An Interregional Comparison, World Development Vol 25 (11).
- Korayem ,Karima (2000) Social Implications of Globalization on The Developing Countries" GlobalIZATION AND The South:Economic and Social Implications, Center for Developing Countries Studies Faculty of Ecomics and Political Science, Cairo University, Cairo.

- (1998)" Causes of Poverty in the Arab Countries:An Economic Perspective, in Korayem, Karima & Maria Petnessidou (eds) Poverty and Social Exclusion in The Mediterranean Area, Comparative Research Programme on Poverty (CROP) Bergen, Norway.
- Lall, Sanjaya (1995) Employment and Foreign investment :Policy options for developing countries, International Labour Review, Vol 134 (4-5).
- Lubbers , R.F.M (1998) The Dynamic of Globalization, Tilburg University seminar, November 26.
- Obstfeld, Maurice (1998) The Global Capital Market: Renefactor or Menace? Journal of Economic Perspectives 12 (4) Fall.
- Ruppel, Fred & Earl Kellog (eds) 1991 National and Regional Self-Sufficiency Goals, Implications for Inetrnational Agriculture, Boulder (US) Lynne Rienner Publishers Inc.
- Sachs, Jeffrey (1998) International Economeice:Unlocking The Mysteries of Globalization, International Economics, Spring.
- Safadi, Raed& Sam Laird (1996) The Uruguay Round Agreements: Impact on Developing Countries, World Development 24 (7).
- Tanner, Carolyn& Alan Swinbank (1998) Agricultural Trade Liberalization:Regionalism Versus Multilateralism, in Ammon Levy-Livernmore (ed) Handbook on The Globalization of The World Economy, Cheltenham UK: Edward Elgar.
- Thomas Caroline & Peter Wilkin (eds) 1999 Globaliztion Human Security and The African Experience, Boulter (US)Lynne Rienner Publishers Inc.
- Thomas, Caroline& Peter Wilkin (eds) 1997 Globalization The South, Houndmills:Macmillan Press Ltd.
- World Bank 2000a, Entering The 21<sup>st</sup> Century:World Development Report 1999/2000 Oxford U.Press.
- World Babk (2000b) Global Economic Prospects and The Developing Countres 2000.
- Zarrouk Jamal & F.Zallio (2000) Integration Free Trade Agreements, Paper Presented to The Third Mediterranean Development Forum, Cairo March 5-8.

جدول رقم ( ١ ) السكان والقوة العاملة في الدول العربية ١٩٩٨

الخدمة (٧)	النسبة المئوية للقوة العاملة الصناعة (٦)	النسبة المئوية للقوة العاملة الزراعة (٥)	القوة العاملة		السكان		
			% من السكان (٤)	العدد بالآلاف (٣)	معدل النمو السنوي % (٢)	العدد بالآلاف (١)	
٧٦,٨	١٢,٩	١٠,٣	٣٦,٥	١٠٤٠٤	٢,٩	٢٨٤٦٩	المجموعة (١)
٧٧,٤	١٩,٢	٢,٤	٤٢,٨	١١٦٦	٥,٦٩	٢٧٧٦	دول البترول
٩٠,٦	٧,٥	١,٩	٤٣,٥	٣١٩	٥,٤٤	٧٣٤	١. دول مجلس
٧٩,٢	١٨,٩	١,٩	٥٥,١	١٢٥١	٢,٨١	٢٢٧١	التعاون الخليجي
٦٩,٤	٢٩,٩	٥,٧	٤٢,٢	٢٧١	٣,٥٧	٦٤٢	الإمارات المتحدة
٧٨,٣	١٠,٣	١١,٤	٣٣,٩	٦٦٩٨	٢,٦٠	١٩٧٥٨	قطر
٥٢,٩	١١,٥	٣٥,٦	٢٩,٦	٦٧٧	١,٤٠	٢٢٨٨	الكويت
٥٨,٦	٢١,٥	١٩,٩	٣٠,٨	١٧٤٦٩	٢,٠	٥٦٧٧٥	البحرين
٧١,٤	١٩,٤	٩,٢	٣٣,٠	١٧٠٦	٢,٥٢	٥١٧١	المملكة العربية
٦٤,٨	٢٢,٦	١٢,٦	٢٧,٦	٦٠١٥	٢,٣٠	٢١٧٩٥	السعودية
٥٢,٦	٢١,١	٢٦,٣	٣٢,٧	٩٧٤٨	١,٧٥	٢٩٨٠٩	عمان
٤٣,٥	١٩,٠	٣٧,٥	٣٦,٩	٦٤٧١٤	٢,٥	١٧٥٣٠٩	د. الدول الأخرى
٥٩,٢	٣٥,١	٥,٧	٣٢,٢	١٠٩٥	٣,٣٧	٣٤٠١	١. ليبيا
٤٢,٠	٢٥,٨	٢٩,٢	٣٩,٠	٣٦٤٠	١,٧٨	٩٣٣٢	٢. العراق
٨١,١	٨,٤	١٠,٥	٢٩,٣	١٣٩٦	٣,٥٤	٤٧٦٣	٣. الجزائر
٤٨,٧	٢١,٨	٢٩,٥	٤٠,٤	٢٤٥٢٥	٢,١١	٦٠٧٠٦	المجموعة (٢)
٤١,٦	٢١,٢	٣٧,٢	٢٨,٢	١٠٩٩٥	٢,٠٠	٢٨٧٨٣	١. اليمن
٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	١,٨٨	٦١٣	٢. تونس
٤٦,٥	٢٦,٩	٢٦,٦	٣٢,٣	٥٠٣٨	٣,٢٩	١٥٥٩٧	٣. الأردن
٣٥,٧	٥,١	٥٩,٢	٤٦,٤	١١٢٨	٢,٤٠	٢٤٣١	٤. مصر
٣٠,٨	٩,٤	٥٩,٨	٣٥,٩	١١٧٠٧	٣,٠٠	٣٢٦١١	٥. المغرب
٣٨,٥	١٠,٢	٥١,٣	٣٠,٤	٥١٩٠	٢,٥٧	١٧٠٧١	٦. جيبوتي
٤٤,٤	٢٠,٠	٣٥,٦	٣٥,٩	٩٢٥٨٧	٢,٤١	٢٦٠٥٥٣	٧. سوريا
							٨. موريتانيا
							٩. السودان
							١٠. اليمن
							الإجمالي (٣)

ملاحظات: في الجدول ١-٣، الدول مرتبة تنازليا حسب متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي.

(١) تقديرات أولية.

(٢) حسب من الإعمدة رقم ٤٠.

(٣) لاتشمل فلسطين والصومال بسبب عدم توفر البيانات لأغلب المؤشرات.

(٤) الوسط المرجح باستخدام القوة العاملة في الدول المختلفة كأوزان.

(٥) الوسط المرجح باستخدام سكان كل دولة كأوزان.

المصدر: الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ولخبرون ١٩٩٩، جدول الملحق ٧/٢ و ١١/٢.



جدول رقم ( ٢ ) الانتاج والاستثمار في الدول العربية ١٩٩٨

معدل الاستثمار (%) من الناتج المحلي الإجمالي	الهيكل الانتاجي <sup>(١)</sup> (% من الناتج المحلي الإجمالي)					الدخل المحلي الإجمالي (بالدولار)
	القطاعات المتبعة <sup>(٢)</sup>	الصناعة الاستخراجية	الصناعة التحويلية	الزراعة <sup>(٣)</sup>	(بالمليون)	متوسط نصيب الفرد <sup>(٤)</sup>
(٧)	(٦)	(٥)	(٤)	(٣)	(٢)	(١)
						جمهورية (١)، دول البترول
	٥١,٤ <sup>(١)</sup>	٢٧,٢ <sup>(٢)</sup>	١٠,١ <sup>(٣)</sup>	٤,٩ <sup>(٤)</sup>	٢٣٢٣٣٤	٨١٦١
	٤٩,٢	٢٢,٠	١١,٨	٣,٤	٤٦٨٥٢	١٦٨٧٨
٣٠,١	٥٥,٥	٣٦,٨	٩,٠	٠,٨	١٠٤٦٠	١٤٢٥١
٢٤,٥	٤٦,٥	٣٠,٩	١١,٩	٠,٥	٣١,٢٢	١٣٦٦٤
١٤,٣	٣٣,٣	١٣,٥	١٢,٤	٠,٩	٥٥٥٢	٨٦٤٨
١٧,٦	٥٤,٦	٢٧,٨	٩,٧	٧,٠	١٢٥٧٠٤	٦٣٦٢
٢١,٠	٤٣,٥	٣٦,١	٤,٧	٢,٩	١٢٧٣٤	٥٥٦٦
٢٤,٠	٤٩,٢ <sup>(١)</sup>	١١,٨ <sup>(٢)</sup>	٩,٠ <sup>(٣)</sup>	٢١,٩ <sup>(٤)</sup>	١٦٠٣٧٩	٢٨٢٥
	٤٤,٤	١٦,٢	١٠,٧	٧,٦	٣٥٩٩	٦٨٨٤
١٨,٦	٤٨,٧	٣,٢	٧,٨	٣٣,٣	٧٩٥٢٠	٣٦٤٩
١٧,٢	٥٤,٦	٢٣,٠	٩,٧	١١,١	٤٥٢٥	١٥١٨
٢٧,٢						جمهورية (٢) الدول العربية
	٤٥,٨ <sup>(١)</sup>	٥,٠ <sup>(٢)</sup>	١٥,١ <sup>(٣)</sup>	١٧,٧ <sup>(٤)</sup>	٢٠١١٥١	١١٤٢
	٢٧,٠	٠,٠	٩,١	٧,٨	١٦٦٦٨	٤٧٥٤
٢٩,١	٤٠,٩	٣,٦	١٨,٢	١٢,٤	١٩١٦٥	٢٠٥٣
٢٧,٨	٢٤,١	٣,٣	١١,٦	٢,٥	٧٢٥٨	١٥٢٤
٢٥,٠	٤٦,٦	٦,٠	١٧,٤	١٦,٤	٨٧٤٦٥	١٤٤١
٢٢,٢	٤٩,٤	٧,٠	١٧,٣	١٧,٣	٣٧٣٤١	١٢٩٧
٢١,٩	١٩,٢	٠,٠	٣,٦	٢,٣	٧٥٣	١٢٢٨
١٨,٦	٥٥,٢	١٢,٩	٨,٥	٢٩,٢	١٦٠٤٩	١٠٢٩
٢٠,٤	٤٨,٨	١٠,٧	٩,٥	٢٢,٥	٩٢٣	٣٨٠
١٥,٣	٦٣,٧	٠,٠٧	٨,٠	٤٨,٦	١٠٢٨٦	٣١٥
١٥,٤	٥٤,٥	١٨,٩	١٢,٢	١٦,٧	٤٧٣٩	٢٧٨
٣٦,٣	٤٦,٠	١٥,٦	١١,٥	١٣,٦	٥٩٢٨٦٤	٢١٩٦
٢٢,١						ماليسي <sup>(٣)</sup>

ملاحظات ومصادر:

(١) حسب من الامانة العامة لجامعة الدول العربية ولخزون، ١٩٩٩، جدول ملحق

٣/٢.

(٢) حسب من جداول ملحق ٥/٢ و ٧/٢ من المصدر السابق.

(٣) يشمل صيد الاسماك والغابات.

(٤) تتكون من الزراعة، الصناعات التحويلية، للصناعات الاستخراجية، وقطاع الكهرباء والغاز والماء.

(٥) لاتشكل فلسطين والسودان لعدم توفر البيانات.

(٦) الوسط المرجح باستخدام الناتج المحلي الاجمالي للدول كلوزان للترجيح.

جدول رقم ( ٣ ) التجارة البينية وموازن العمليات الجارية فيما بين الدول العربية  
١٩٩٨

نوع السلعة	نسبة صادرات البيترول الى الاجمالي (%)	نسبة الصادرات البينية الى الاجمالي (%)	نسبة الواردات البينية الى الاجمالي (%)	الميزان التجاري (% الناتج المحلي)	ميزان العمليات الجارية (%) من الناتج المحلي	صافي الواردات المنتجات الزراعية (مليون دولار)
(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
المجموعة (١)، دول البترول						
١. دول مجلس التعاون الخليجي	٣٣,٨	٥,٦	٥,٢	٦,٨	٣,٨	١٤٠٣
٢. الامارات المتحدة	٦٢,٠	٧,٩	٩,٠	٣,٤	١٩,٩	٢٧٣
٣. قطر	٨٧,٣	٤,١	١٣,١	٧,٥	١,٣	١٢١٦
٤. الكويت	٥٠,٨	٣٤,٨	١٣,٤	١,٢	١٧,٦	٢٩٤
٥. المملكة العربية السعودية	٨٠,٦	١٥,٤	٦,٢	٩,٤	١٠٠,٠	٤٤٦٤
٦. عمان	٦٩,٩	٢٠,١	٢٤,٦	٢,٢	٢٠,٨	٤٨٦
ب. الدول الاخرى						
١. ليبيا	٦٥,٩	٧,٣	٦,٦	١,٢	٠,٨	١٢٣٢
٢. العراق	...	٣,٢	٧٥,٥	...	...	١,٣٨
٣. الجزائر	٦٥,٦	٢,٧	٤,٨	٢,٢	٢,٦	٢٦٦٧
المجموعة (٢) الدول العربية الاخرى						
١. لبنان	...	٤٧,٦	٨,٦	٣٦,٢	٣٣,٩	١,٢٥
٢. تونس	٤,٢	٥,٨	٦,٩	١٠,٧	٣,٤	٢٦٦
٣. الاردن	...	٤٤,٧	١٩,٤	٢١,٨	٠,٠	٦٤٠
٤. مصر	٢٨,٦	١٤,٥	٣,٨	١٢,٣	٢,٩	٢٩٩٦
٥. المغرب	...	٦,٦	٩,٧	٨,٧	٠,٧	٥٩٩
٦. جيبوتي	...	...	...	...	...	٧٣
٧. سوريا	٤٩,١	٢٧,٩	٧,٩	١,١	١,٤	٣,٥
٨. موريتانيا	...	٨,١	٥,٩	٣,١	٣,٣	١,٢
٩. السودان	...	٤١,١	٢٧,٥	١١,١	٩,٣	٢١٩
١٠. اليمن	٩٤,٤	١١,١	٢٩,٥	١٤,٠	٥,١	١٠٨٨
الاجمالي (٣)	٦٠,٩	١٠,٩	٨,٥	١,٢	٥,١	١٩٣١٦

ملاحظات ومصادر:

العمود (١) الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، جداول ملحق ٥/٥ و ١/٩.  
الاعمدة (٢) و (٣) و (٤) الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، جداول  
ملحق ٨/٨ و ٢/٨.

العمود (٥) الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، جداول ملحق ٣/٢ و ١/٩.  
العمود (٦) الامانة العامة لجامعة الدول العربية واخرون، ١٩٩٩، جداول ملحق ٣/٨

## العولمة

### ومستقبل الدولة الوطنية في الوطن العربي

الأستاذ المساعد الدكتور

حميد نفل النداوي

كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

#### المقدمة

شهد عقد التسعينات من القرن الماضي جملة من المتغيرات على الساحة الدولية كان من أبرزها انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط النظم الاشتراكية في دول أوروبا الشرقية، وتزامن ذلك مع شيوع استخدام مفهوم "النظام الدولي الجديد" حيث انهارت التوازنات الدولية وتكرست للقطبية الأحادية وجرى الترويج لمفاهيم وافكار مختلفة كان من أبرزها العولمة.

حيث درج الخطاب السياسي والاعلامي الغربي بزعماء الولايات المتحدة الأمريكية للترويج لفكرة مفادها ان العولمة سوف تزيل الحواجز لبين الدول وانها ستضع شعوب العالم امام فرصة كبيرة للتقدم وضع المستقبل.

ان اهمية الدراسة تكمن في تحليل مضمون وإبعاد العولمة في اطارها السياسي وتحديد طبيعة العلاقة بين العولمة والدولة اولا وحجم التأثير ثانياً وهذا بالتأكيد يتطلب الاجابة على الاسئلة التالية:

١. ما العولمة؟ وما هي تجلياتها المختلفة؟ وما هو تعريفها؟
٢. ما طبيعة الجدل النظري حول دور الدولة؟
٣. ما هي التحديات التي تواجه الدول الوطنية في ظل العولمة؟

### اولاً: العولمة: المفهوم والتعريف:

تعني العولمة في معناها اللغوي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله<sup>(١)</sup>. والعولمة هي واحدة من ثلاث كلمات عربية جرى طرحها ترجمة الكلمة الانكليزية "Globalization" والكلمتان الاخرتان هما الكوكبية والكونية.

والعولمة في اللسان العربي من "العالم" ويتصل بها فعل "عولم" على صيغة "فعل" وهي من ابنية الموازين الصرفية العربية. ونلاحظ على دلالة هذه الصيغة انها تفيد وجود فاعل يفعل وهذا ما نلاحظه على صيغة "Zation-" في الانكليزية على خلاف صيغة "-ism" في "Globalism" التي تعني العالمية. وربما ستكون الغلبة لـ "العولمة" لشيوع استخدامها في هذه الفترة<sup>(٢)</sup>. وارتباطها بمجالات وميادين اخرى كالمساحة وسميت بالعولمة السياسية أي النفوذ السياسي العالمي وارتبطت ايضاً بالاقتصاد والاعلام والثقافة وسميت بالعولمة الاقتصادية والعولمة الثقافية<sup>(٣)</sup>.

واذا كان الكثير من الباحثين يرى في العولمة "متغير اقتصادي اجتماعي سياسي لم يشهد للتاريخ الاقتصادي له مثيلاً ذلك انه يشمل تغييرات جذرية في الاقتصاد والسياسية والثقافة والاجتماع والتكنولوجيا هدفها تهيئة الاجواء لمرحلة اقتصادية جديدة تتميز بعده انماط حديثة<sup>(٤)</sup>.

فان التباين كان واضحاً في تحديد تعريف دقيق لها نظراً لتعدد الآراء حولها والتي تتأثر اساساً بأفكار الباحثين الايديولوجية واتجاهاتهم ازاء العولمة رفضاً او قبولاً<sup>(٥)</sup>.

وفي الحقيقة فان جيمس روزناو اسناد العلوم السياسية الامريكي كان مصيباً في دعوته للكشف عن جوهر العولمة قبل صياغة تعريف شامل لها عبر ثلاث عمليات.

(١) محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية عشر اطروحات. ورقة قدمت الى العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٨، ص ٣٠٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر مداخلة احمد صنقي الدجاني ضمن المناقشات التي دارت حول بحث السيد يسين في مفهوم العولمة ورقة قدمت الى العرب والعولمة. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، مصدر سبق، ص ٦٢.

(٣) عبد الجليل كاظم الوالي: جذلية العولمة بين الاختيار والرفض، مجلة المستقبل العربي، السنة ٢٤، العدد ٢٧٥، كانون الثاني ٢٠٠٢.

(٤) الدكتور محمود خالد المسافر، العولمة الاقتصادية هيمنة الشمال والتداعيات على الجنوب بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٨٨.

(٥) السيد يسين، في مفهوم العولمة ورقة قدمت الى العرب والعولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، مصدر سابق، ص ٢٥.

العملية الاولى تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح متاحة لدى جميع الناس والعملية الثانية تتعلق بتزويد الحدود بين الدول والعملية الثالثة هي زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات وكل هذه العمليات قد تؤدي الى نتائج سلبية بالنسبة الى بعض المجتمعات والى نتائج ايجابية بالنسبة الى بعضها الآخر<sup>(١)</sup>.

وهكذا نلاحظ عدد كبير من الدراسات العربية والاجنبية التي تناولت موضوع العولمة والتي عكست المواقف من هذه الظاهرة في ثلاثة اتجاهات<sup>(٢)</sup>

الاتجاه الاول، يرفض العولمة بالكامل باعتبارها اعادة انتاج لنظام الهيمنة الرأسمالي القديم.

الاتجاه الثاني، يقبل العولمة من دون تحفظات باعتبارها لغة العصر القادم.

الاتجاه الثالث، يرى ضرورة فهم القوانين المحركة للعولمة باعتبارها عملية تاريخية ولكن ليس معنى ذلك التسليم بحتمية القيم التي تقوم عليها في الوقت الراهن. وانما التفاعل الواعي في اتجاه "تعظيم" المنافع التي تنبشر بها و"تدنية" التكاليف الاجتماعية المقترنة بالاندماج فيها والتكامل معها.

وتأسس على هذا التباين والاختلاف اختلافاً آخر يكمن في تعريفها وهذا يشابه الى حد ما اختلاف الفلاسفة فيما بينهم في تعريف الفلسفة فكل فيلسوف عرف الفلسفة تعريفاً ينسجم وطبيعة النظام الفلسفي الذي يضعه، ولهذا فالعولمة مشابهة للفلسفة من هذه الناحية أي من ناحية اختلاف التعريف بين مفكرها فاذا كانوا سياسيين كان التعريف سياسياً او كانوا اقتصاديين او اعلاميين او ثقافيين كانت تعريفاتهم اقتصادية او اعلامية او ثقافية<sup>(٣)</sup>.

وتأسيساً على ذلك يمكن القول ان تعريف العولمة يختلف باختلاف تجلياتها وابعادها ومؤثراتها الاقتصادية والسياسية والثقافية والاتصالية وهذا ما تكشف عنه التعريفات التالية:

العولمة تعني من الناحية النظرية التدفق الحر للبضائع والافراد ورؤوس الاموال وكذلك المعلومات عبر بلاد العالم وهي تمثل استراتيجية وجد الفريق للقوي او هو يظن كذلك انها تخدم مصالحه<sup>(٤)</sup>.

(١) السيد يسين، في مفهوم العولمة، مصدر سبق ص ٢٧.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٣، انظر كذلك محمد ابراهيم منصور، العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي، المستقبل العربي السنة ٢٥ العدد ٢٨٢ آب ٢٠٠٢، ص ١٤٥.

(٣) عبد الجليل كاظم الوالي، مصدر سبق ص ٦٠.

(٤) باسل محمد حسن العزاوي، العولمة ومستقبل النظام الاقليمي العربي، رسالة ماجستير معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، بغداد ص ٢٧، نقلاً عن د. عفاف علي ندا، العولمة والعالم، صحيفة الاهرام ٢ نيسان ١٩٩٩ ص ١٠.

والعولمة على حد وصف توماس فريدمان وهو احد دعاة العولمة "عملية ديناميكية مستمرة تتطوي على ذلك التكامل الصارم في الاسواق وفي الدول والامم وفي التكنولوجيات الى درجة لم تحدث من قبل تمكن الافراد والشركات والدول والامم من التجول حول العالم والوصول الى مسافات ابعد واعمق وارخص من أي وقت مضى<sup>(١٠)</sup>.

ويذهب المفكر السوري واستاذ الفلسفة صادق جلال العظم الى صياغة تعريف عام للعولمة كونها "حقبة التحول الرأسمالي العميق للانسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ<sup>(١١)</sup>". وهناك من يشدد على ان العولمة نمق جديد من العلاقات السياسية والاجتماعية والثقافية بين مختلف دول للعالم تتجاوز الحدود الجغرافية وتختصر المسافات وتتحدى مفاهيم السيادة<sup>(١٢)</sup> وهي الدعوة الى اعتماد الديمقراطية والليبرالية السياسية وحقوق الانسان والحريات الفردية وهي اعلان لنهاية سيادة الدولة ولنهاية الحدود ولتكامل حقل الجغرافية السياسية<sup>(١٣)</sup>.

ويلخص برهان غليون للعولمة في "كثافة انتقال المعلومات وسرعتها الى درجة اصبحنا نعيش في عالم واحد وموحد<sup>(١٤)</sup>".

اما محمد عابد الجابري فينظر اليها كونها "ارادة للهيمنة وبالتالي قمع واقضاء الخصوصي<sup>(١٥)</sup>".

وهكذا يصل الكثير من الباحثين الى رؤية مفادها ان "الولايات المتحدة الامريكية هي الفاعل الرئيسي في عملية اعادة انتاج نظام هيمنة جديد تحت شعار العولمة والعولمة كما نعرفها اليوم هي عولمة امريكية اساساً ومحاولة لعولمة نمط الحياة الامريكي<sup>(١٦)</sup>".

(١٠) محمود خالد المسافر، مصدر سبق ذكره. نقلاً عن توماس فريدمان ٢٠٠٠ ص ٣٠-٣١.

(١١) السيد يسين، مصدر سابق ص ٢٨ نقلاً عن صادق جلال العظم. ما هي العولمة ورقة بحثية (تونس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٩٦).

(١٢) حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٠ ص ٢٨.

(١٣) انظر تعقيب طلال عتريسي على بحث السيد يسين في مفهوم العولمة في العرب والعولمة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ص ٤٤.

(١٤) محمود خالد المسافر، العولمة الاقتصادية، مصدر سابق ص ٩٤ نقلاً عن برهان غليون وميمر امين ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر، دمشق ١٩٩٩.

(١٥) محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، عشر اطروحات، مصدر سابق ص ٣٠١.

(١٦) لمزيد من التفاصيل انظمة اسامة امين الخولي: مقدمة لندوة العرب والعولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مصدر سابق ص ٩.

ووفقاً لهذا وذلك ليس للمهم الاسهاب في وصف العولمة وانما "هدف ومسرح هذه الظاهرة الذي هو ازالة الحضور التقليدي للدولة الوطنية والمهددة في الوقت الراهن بكيانات "فوق وطنية" خارجية وبكيانات "قبل وطنية" داخلية<sup>(١٧)</sup>.

### ثانياً.. "الجدول النظري حول دور الدولة" (١) الماركسية-اللينينية واضمحلال الدولة.

ان فكرة الغاء دور الدولة واضمحلالها لم تكن وليدة العولمة بل كانت موضع تنبؤ منذ قرنين من الزمان بدءاً بـ امانويل كانت<sup>(١٨)</sup> في كتابه السلم الدائم ١٧٩٥ مروراً بكارل ماركس الى كتابات برتراند رسل خلال الخمسينات والستينات. وخلافاً لرأي المفكرين البرجوازيين فان ماركس لم ينظر الى الدولة كظاهرة حتمية وابدية بل هي حدث تاريخي تحقق يوم انقسم المجتمع الى طبقات متصارعة احتكرت بعضها ملكية وسائل الإنتاج وسخرت الدولة لتحقيق اغراضها<sup>(١٩)</sup>. وعلى ذات المستوى من التفكير تنظر الماركسية الى النظريات التي تعتبر الدولة على انها شخص قانوني ينظم المصالح المشتركة ويحميها ليست سوى محاولات نظرية لتعطية استغلال الطبقة الحاكمة<sup>(٢٠)</sup>.

واتساقاً مع هذه الافكار تربط الماركسية نشوء الدولة بنشوء الملكية الخاصة وتطورها واضمحلالها باضمحلال هذه الملكية فالدولة لم توجد منذ الازل فقد وجدت مجتمعات كانت في غنى عن الدولة ولم يكن لديها أي فكرة عن الدولة وسلطة الدولة وعندما بلغ التطور الاقتصادي درجة معينة لفترت بالضرورة بانقسام المجتمع الى طبقات غدت الدولة بحكم هذا الانقسام امراً ضرورياً<sup>(٢١)</sup>. ومن الواضح اتصال نظرية الدولة عند ماركس وسائر فلسفته على المادية التاريخية فهو يؤكد في نقده لفلسفة الدولة والقانون عند هيغل بأن ماهية الانسان تكمن

(١٧) مصطفى بن تمسك. العولمة وتنامي خطاب الهوية في العولمة والنظام الدولي الجديد سلسلة كتب المستقبل العربي ٣٨- مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ٢٠٠٤ ص ٣٣.

(١٨) يرى كانت ان مصير الانسانية متجه نحو تكوين دولة عالمية واحدة وان سيرها في هذا الطريق بطيئاً تحفه الكثير من الصعاب والعقبات وقد أن للدول ان تفعل ما فعله الافراد فتخرج من حالتها الطبيعية الوحشية ويتعاقد بعضها مع بعض لحفظ السلام. انظر الدكتور حسن علي الذنون. فلسفة القانون. مطبعة العاني بغداد ١٩٧٥ ص ٦٣.

(١٩) اسكندر غطاس: أسس التنظيم السياسي في الدول الاشتراكية. دار الهنا للطباعة القاهرة ١٩٧٢ ص ٣٥.

(٢٠) طعيمة الجرف. نظرية الدولة والمبادئ العامة الانظمة السياسية ونظم الحكم مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٨ ص ٣١٠.

(٢١) ماركس-انجلو. المختارات. دار التقدم موسكو ١٩٧٥ ص ٤١٢.

في جانبه الاجتماعي دون السياسي، ومن ثم رفض ما ذهب اليه هيغل من ان الدولة تجسيد سام للعقل والفكرة ويسمو على الحياة الاجتماعية.

"الدولة ليست حقيقة وحسب بل اعلى انواع الحقيقة-انها الفكرة الالهية التي تقوم على الارض"<sup>(٢١)</sup>. وبذلك خلعت الماركسية عن الدولة ثوبها الروحاني الذي نثرها به هيغل حين جعلها تجسيد لفكرة مطلقة وحكماً اعلى يمثل قمة الاخلاق وسلطة فوق البشر تسمو على الافراد.

فالدولة عند ماركس وانجاز لا تستطيع ان تملخ عن اساسها الاقتصادي وقاعدتها المادية بل تستمد واقعها من العلاقات القائمة بين الطبقات الاجتماعية.

ويحاول لينين في كتابه "الدولة والثورة" تحديد المعاني التي اشارت اليها النظرية الماركسية حول مسألة الغاء الملكية الخاصة وزوال الطبقات واضمحلال الدولة... "لا يمكن للدولة ان تضمحل تماماً الا عندما يطبق المجتمع قاعدة من كل حسب كفاءته ولكل حسب حاجاته أي عندما يعتاد الناس مراعاة القواعد الاساسية للحياة في المجتمع ويصبح عملهم منتجاً بحيث يشرعون يعملون طوعاً وحسب كفاءاتهم"<sup>(٢٢)</sup>. ولكي تزول الدولة او تضمحل يجب ان يعتاد الناس على حياة مختلفة يعملون فيها طوعاً ونون اكره او استغلال وهذا الامر لا يتم في المرحلة الاشتراكية التي سماها ماركس بـ الطور الاول او الاسفل في المجتمع الشيوعي "لان الشيوعية في طورها الاول في درجتها الاولى لا يمكن ان تكون ناضجة تماماً من الناحية الاقتصادية لا يمكن ان تكون خالية تماماً من تقاليد او آثار الرأسمالية"<sup>(٢٣)</sup>.

ان الاساس لاضمحلال الدولة لاضمحلال تاماً هو تطور الشيوعية تطوراً كبيراً يزول معه التضاد بين العمل الفكري والعمل الجسدي<sup>(٢٤)</sup> وتقليل الفوارق بين الريف والمدينة والوصول الى درجات عالية من التطور العلمي والتكنولوجي.

غير ان هذه الاهداف لم تحقق ولم تظهر اية مؤشرات عن اضمحلال الدول وانحسار وتراجع دورها في الاتحاد السوفيتي "المباقي" ودول اوربا الشرقية لا بل انها لجأت الى اجراءات وممارسات متقاطعة مع كل القيم الديمقراطية والاشتراكية وهي كالآتي:

١. الدور الكبير للدولة وتدخلها المباشر في مناحي الحياة المختلفة.

٢. سياسة العزلة والمواجهة ازاء العالم الخارجي.

(٢١) مارسيل بريلو. جورج ليسكييه. تاريخ الافكار السياسية. الاهلية للنشر والتوزيع. بيروت ١٩٨٦ ص ٣٢٦.

(٢٢) لينين. الدولة والثورة. دار التقدم موسكو ١٩٧١ ص ١٢٠.

(٢٣) نفس المصدر ص ١٢٥.

(٢٤) المصدر نفسه ص ١٢١.



٣. الارادية والتعجيل المفروض في بناء الاشتراكية من الاعلى عن طريق سلطة الدولة.
٤. النظام الهرمي والمركزي لصنع للقرارات وكذلك الرقابة في جميع مجالات الحياة بما فيها الثقافة والفنون تحت سيطرة الحزب والدولة بما لا يترك معه للجماهير مجالاً يذكر رغم مبدأ "الديمقراطية-المركزية" للمشاركة في إعداد القرارات ومتابعة تنفيذها.
٥. إنكار دور وموقع ومصالح الافراد بحجة اعطاء الاولوية لمصلحة المجتمع التي اعتبرت هي الاساس.
٦. اندماج الدولة بالحزب الحاكم وخضاع جميع المنظمات الجماهيرية لسلطة الحزب وقصر نشاطها على القيام بدور "الحزام الناقل" بين السلطة المركزية ورعاياها مؤدية الى قهر المجتمع واغتراب الفرد.
- وبمرور الزمن تراكمت هذه السلبيات والاطخاء وقادت الى انهيار الاتحاد السوفيتي والنظم الاشتراكية في دول اوربا الشرقية.

## (٢) دور الدولة في ظل العولمة

يتسم دور الدولة منذ بزوغ عصر الدولة القومية ولحد الان بالتغير من عصر الى آخر. لذلك فان ما يبدو الان من تعديل وتكيف في ظل العولمة لا يعني بالضرورة تراجعاً وانحساراً بل "تحول وتغير مرحلي تقتضيه ظروف التداخل والانفتاح التسي يتصف بها الاقتصاد العالمي اليوم"<sup>(٢٥)</sup>.

وفي الحقيقة فان دور الدولة او وظيفتها يتحدد بثلاثة عوامل<sup>(٢٦)</sup>:

الطبيعة الاجتماعية والسياسية للدولة التي تحدد بدورها نوع المجتمع من حيث علاقات السيطرة الاجتماعية فيه، والثاني مرحلة التطور التي يمر بها المجتمع أي الشوط الذي قطعه الدولة في ميدان التقدم الحضاري والثالث ما يجري على الساحة العالمية من تطورات وانعكاس هذه التطورات على الوضع الداخلي.

وإتساقاً مع هذه التصورات لا يزال الجدل قائماً بين تيارين متناقضين حول دور الدولة ومستقبلها حيث يشدد انصار العولمة على "ضرورة انتقال كل شيء من أسر الدولة القومية الى رحاب الانسانية الواسعة ومن الولاءات للاقتصادات الضيقة

(٢٥) خالد محمود المسافر، مصدر سابق، ص ٢٧٠.

(٢٦) انظر تعقيب منير الحمش على بحث جلال امين. العولمة والدولة الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مصدر سابق، ص ١٩٢.

والثقافات المحلية المتعصبة الى الاسواق المفتوحة على الاقتصاد والثقافة الانسانية دون شروط<sup>(٢٧)</sup>.

ان ما يدعو اليه انصار العولمة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وهيمنة الولايات المتحدة على الساحة الدولية هو تنظيم وادارة الاقتصادات الوطنية والعلاقات الاقتصادية الدولية عن طريق عملية تعميم كبرى للنظام الرأسمالي على الصعيد العالمي بواسطة التحرير المتزايد للاقتصادات الوطنية مما يقتضي الحد من تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية وتقليص دورها الاجتماعي<sup>(٢٨)</sup>. واعتبار ما حصل في الفترة المنصرمة او ما يحصل حتى الان تجاوزاً على قوانين السوق وآلياتها وعلى الحرية الاقتصادية وحرية الافراد واعاقه التطور الاقتصادي<sup>(٢٩)</sup>.

وهكذا يقرن الحديث عن العولمة بالحديث عن افكار جديدة من حقوق الانسان والديمقراطية الى الاشادة بالعلمانية والتعلم وبقدرة التقانة الحديثة على التغلب على كل ما يعترض الانسان من عوائق ومشكلات والهجوم على التعصب بكل اشكاله الديني او القومي او العرقي وكل هذا يصور على انه جزء لا يتجزأ من ظاهرة العولمة، كما يصور كل من يقف في وجه العولمة على انه يقف في الحقيقة ضد التحرر من كل هذه الصور من الاستعباد استعباد الدولة، استعباد للجهل والفقر<sup>(٣٠)</sup>.

اما التيار المناهض للعولمة فيرى ضرورة التمييز بين اضمحلال الدولة وانحسار دورها وبين التغيير في وظيفتها وتكيفها مع الاوضاع الراهنة ويؤكد على حضورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي "وانه ليس شرطاً ان يخضع الاقتصاد العالمي لمبدأ واحد ينطبق على جميع بلدان العالم فما تدعو اليه بلدان الرفاهية عن تراجع وانحسار دور الدولة واعطاء قوى السوق مجالاً اوسع يجري عكسه تماماً في البلدان المصاعدة التي تحتاج الى دعم الدولة ومشاركتها في بناء الاقتصاد الوطني<sup>(٣١)</sup>.

(٢٧) عبد الامير السعد، العولمة مقارنة في التفكير الاقتصادي، مصدر سابق، ص ٨٩.  
(٢٨) د. منير الحشش، الشركات المتعنية الجنسية، منظمة التجارة العالمية، مؤسسة بريتون وودز، وفرض جدول اعمال اقتصادي وسياسي على الدولة الوطنية في د. احمد البرقاوي وآخرون، الدولة الوطنية وتحديات العولمة في الوطن العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠٠٤، ص ١٣٢.

(٢٩) كاظم حبيب، مشاركة في الحوار الجاري حول الموقف من قطاع الدولة في الاقطار العربية. دراسات في التنمية العربية. الواقع والآفاق سلسلة كتب المستقبل العربي ١٣. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت ١٩٩٨ ص ٢٠٣.

(٣٠) جلال امين. العولمة والدولة. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية لدراسات الوحدة العربية. مصدر سابق ص ١٦٤.

(٣١) عبد الجليل كاظم الوالي. مصدر سابق ص ٧٠.

ان هذا الدور للدولة هو امر مفروغ منه ولا يوجد خلاف من حيث المبدأ حوا اهمية هذا الدور في ادارة الاقتصاد الوطني وانما يدور الخلاف في الغالب حول محتوى السياسات ونوعية التخطيط ومدى مركزيته ومدى التفصيل فيه، والتأكيد على انه لا يوجد حل واحد مناسب في كل الظروف والاحوال وان اختيار الوسائل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالغايات من ناحية وبالواقع والامكانات من ناحية ثانية وبالأثار التي يمكن ان تترتب على هذا الخيار او ذلك من ناحية ثالثة<sup>(٣٢)</sup>. ويمكن الاستدلال على تعاظم هذا الدور في النشاط الاقتصادي في المجتمعات الصناعية والنامية ان نسبة الانفاق الحكومي ارتفعت في الدول الصناعية من ٢٠% من الناتج الاجمالي قبل الحرب العالمية الثانية الى ٤٧% في منتصف التعمينات وارتفعت نسبة هذه العلاقة في الدول المتخلفة من ١٠% الى ٢٥% في الفترة نفسها<sup>(٣٣)</sup>.

وفضلاً عما سبق فإن الدولة عندما تتعرض منشآت القطاع الخاص للازمات تلجأ لمساعدتها على حل ازماتها والامثلة على ذلك كثيرة ومعروفة فخلال ازمة البورصات العالمية في شهر تشرين الاول ١٩٨٧ تدخل المصرف المركزي الامريكي بفعالية للحيلولة دون انهيار النظام المصرفي الامريكي وخلال الايام الاخيرة من شهر تشرين الثاني ١٩٩٧ اعلنت وزارة المالية اليابانية والمصرف المركزي الياباني عن دعمها للمنشآت المالية المنهارة لتمكينها من تسديد التزاماتها المحلية والاجنبية<sup>(٣٤)</sup>.

وضمن هذا السياق لابد من الاشارة الى وثيقة غاية في الاهمية والقيمة صدرت عن البنك الدولي عام ١٩٩٨ وهو من الد اعداء الدولة ففي تقرير البنك الذي يحمل عنوان "الدولة في عالم متغير" تمسك باستمرار الدولة وتفعيل دورها وفي هذا الخصوص يعيد البنك استخدام مفهوم للحكم الجيد الذي صكه في تقريره لعام ١٩٩٠ كقرين لدولة الالفية الثالثة ويضع ثلاثة شروط اساسية لتحقيق جودة الحكم هي:<sup>(٣٥)</sup>

١. انشاء مؤسسات قطاع عام فاعل
٢. الحد من الفساد والتصرفات التحكيمية للدولة.
٣. تسهيل العمل الجماعي الدولي.

(٣٢) ابراهيم سعد الدين عبد الله. دور الدولة في النشاط الاقتصادي في الوطن العربي قضايا عامة ونظرة مستقبلية في سليمان الرياشي وآخرون سلسلة كتب المستقبل العربي "١٣" دراسات في التنمية العربية. مصدر سابق ص ١٦١.

(٣٣) عبد الامير السعد. العولمة مقارنة في التفكير الاقتصادي مصدر سابق ص ٩١.

(٣٤) محمد الاطرش. العرب والعولمة. ما العمل. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية. مصدر سابق ص ٤١٨.

(٣٥) انظر تعقيب نيفين مسعد على بحث جلال امين العولمة والدولة مصدر سابق ص ١٨٥.

## ثالثاً: الدولة الوطنية في الوطن العربي وتحديات العولمة

يختلف دور الدولة باختلاف النظام الاقتصادي-الاجتماعي في المجتمعات التي توجد الدولة على قمتها، كذلك يتأثر هذا الدور بموقع الدولة في النظام الدولي، فالدور الذي تلعبه الدولة وتمارسه في المجتمعات الصناعية المتقدمة يختلف عن دور الدولة في المجتمعات النامية<sup>(٣٦)</sup>.

وإذا كانت الدولة في كلتا النظامين الرأسمالي والاشتراكي قد استندت الى تراث فكري وسياسي واقتصادي في صياغة برامجها وتنفيذ خططها فإن الدولة في المجتمعات النامية قد واجهت جملة من المعضلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقد ورثت عن المرحلة الاستعمارية اقتصادات مشوهة يتعايش في اطارها اكثر من اسلوب من اساليب الانتاج وتتصف بمحدودية الترابط الداخلي وضعف القاعدة الانتاجية ومستوى الكفاءة والدخل بالنسبة الى الفرد الواحد من السكان. فضلاً عن استمرار ارتباطها بالمركز بالعديد من الآليات التي تبقيها في وضع التبعية والاستغلال من قبل الدول الصناعية الرأسمالية للمتقدمة<sup>(٣٧)</sup>.

وإذا كان هناك نوعاً من التوافق على طبيعة المشكلات فإن الاختلاف في المعالجة كان هو السمة الغالبة ومرد ذلك الاختلاف يعود الى خلفيات القوى السياسية التي تولت بفة الحكم ومنظومة الافكار السياسية التي تؤمن بها، فلقد سادت فكرة الدور الشامل والمركزي في صياغة خطط وبرامج التنمية في الفترة التي تلت الاستقلال في الكثير من بلدان العالم الثالث لكنها لم تحقق الاهداف المرجوة. ونتيجة للاخفاقات المستمرة التي لازمت هذه التجارب اضافة الى الدروس المستفادة من تداعي النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي ودول اوربا الشرقية والتي ادت الى اعادة نظر شاملة في اساليب ادارة المجتمع وادارة الاقتصاد الوطني في اتجاه المزيد من الديمقراطية والمصارحة والمشاركة سياسياً والحد من التخطيط التفصيلي والاعتماد بدرجة اكبر على السوق وعلى المؤشرات والدوافع الاقتصادية لتوجيه النشاط الاقتصادي<sup>(٣٨)</sup>.

وتضمن التوجه الجديد ايضاً التأكيد على ضرورة توزيع الموارد بعدالة تهدف الى التغلب على حالات عدم الانصاف الواضحة وتكون قادرة على تحفيز التكامل بين المجالين الاقتصادي والاجتماعي وعلى تعزيز دور المجتمع المدني ودفع القطاع الخاص نحو المشاريع الأكثر انتاجية<sup>(٣٩)</sup>.

(٣٦) ابراهيم سعد الدين عبد الله دور الدولة في النشاط الاقتصادي مصدر سابق ص ١٣٢.

(٣٧) نفس المصدر ص ١٣٣.

(٣٨) ابراهيم سعد الدين عبد الله. نفس المصدر السابق.

(٣٩) حسن كريم. مفهوم الحكم الصالح. المستقبل العربي السنة ٢٧ العدد ٣٠٩ تشرين الثاني ٢٠٠٤ ص ٤٩.

وفي هذا السياق ومن خلال هذا الجدل الفكري والسياسي والاقتصادي تبرز قضية الدولة من جديد لتصبح موضوعاً للدراسة والتحليل ويمكن الإشارة هنا إلى المشروع البحثي المتميز<sup>(٩)</sup> الذي انجزه مجموعة من الباحثين والمفكرين برعاية مركز دراسات الوحدة العربية ومع التأكيد على أن مشروع الدراسة لاستشراف المستقبل قد توقع ثلاثة سيناريوهات أساسية لمستقبل الوطن العربي فإن مركزية نظام الدولة في كل منها لا تخطئها العين، ونقطة الارتكاز في السيناريوهات الثلاثة هي إثبات ضرورة الوحدة العربية أو للتكامل العربي في صورة أو في أخرى ومع ذلك فإن السيناريوهات الثلاثة وطن عربي أكثر تجزئاً ودول عربية ينفعها تعاون وتنسيق ووطن عربي موحد سياسياً تعكس جميعاً اقراراً بالدور المركزي لنظام الدولة<sup>(١٠)</sup> وضرورة الاهتمام بهذه المؤسسة وتعزيز دورها وزيادة فعاليتها وأنها قادرة عند توفير المستلزمات المطلوبة على تحقيق أهدافها.

ومع ذلك فإن نظام الدولة يمر بأزمة تتردد اصداؤها في طبيعة وحجم المشكلات التي عجزت الدولة من التغلب عليها حتى "غدت بعض الحكومات العربية تواجه أخطار التفكك والانقسام الداخلي واشكالات الوحدة الوطنية"<sup>(١١)</sup>.

وضمن هذه المعايير فإن مشكلة الهوية هي المشكلة الرئيسية التي تهدد الدولة الإقليمية القطرية وإن فشل الدولة في خلق هوية مجتمع تجمع الانتماءات المتنوعة وتنمخ الأفراد مشاعر الأمن والاستقرار يقود إلى حالة من الاغتراب واللانتماء وفتور في شعور التوجه إزاء الوطن ونظامه السياسي<sup>(١٢)</sup>.

إن الدول الإقليمية القطرية وبصرف النظر عن الهوية التي اختارتها "هوية وطنية قطرية أو الهوية العربية القومية، أو الهوية الإسلامية" تواجه مشكلة بناء هوية وطنية شاملة حيث "ينطوي الاختيار بين هويات متنافسة على استبعاد أو اغتراب أحد القطاعات أو التكوينات الاجتماعية من المجرى الرئيسي للحياة السياسية العامة في

(٩) يحمل هذا المشروع عنوان "استشراف مستقبل الوطن العربي" ويشمل أربعة محاور العرب والعالم، التنمية الاقتصادية العربية، المجتمع والدولة، النموذجية المنهجية الشاملة للتفاعلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقومية والعربية الجامعة والإقليمية والدولة خير الدين حسيب وآخرون. مستقبل الأمة العربية. التحديات والخيارات. التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت ١٩٨٨ نقلاً عن يوسف الصواني القومية العربية والوحدة في الفكر السياسي العربي. مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٩٨ ص ١٨٢.

(١٠) خير الدين حسيب وآخرون. مستقبل الأمة العربية. التحديات والخيارات مصدر سابق ص ١٨٢.

(١١) ثامر كامل محمد. الدولة في الوطن العربي على أبواب الألفية الثالثة بيت الحكمة بغداد ٢٠٠١ ص ٣١٨.

(١٢) علي أسعد وطفة: إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة. المستقبل العربي السنة ٢٥ العدد ٢٨٢ آب ٢٠٠٠ ص ١٠٩.

الدولة القطرية<sup>(٤٣)</sup>. والمشكلة الرئيسية الثانية التي تواجه الدول العربية هي الشرعية والتي يمكن النظر إليها كفكرة أو معتقد تتعلق بأساس السلطة وكيفية ممارستها وعليه فالسلطة تكون شرعية إذا كان من يمارسها وطريقة ممارستها لها تتفق والرأي السائد في المجتمع حول هذه الامور. وبمعنى آخر ان جوهر الشرعية هو قبول الاغلبية من المحكومين حق الحاكم في ان يحكم وان يمارس السلطة، فالشرعية هي أولاً وقبل كل شيء معتقد أي إيمان غالبة اعضاء المجتمع إيماناً حقيقياً بأن السلطة يجب ان تمارس بطريقة معينة دون غيرها والا فقدت مبرر طاعتها وان شرعية النظام السياسي تنأت من خلال "تأييد الافراد وقناعاتهم بفعالية ذلك النظام ومن ثم التوافق على رؤية النظام ومبادئه من ناحية وقناعات الافراد والجماعات من ناحية اخرى"<sup>(٤٤)</sup> والمشكلة الخطيرة والحساسية الثالثة التي تواجه الدولة في الوطن العربي هي المشاركة السياسية التي تمثل مؤشراً "تفاعلياً" لصحة العلاقة بين المجتمع والدولة وبقدر ما تكون الدولة تعبيراً أميناً عن مجتمعها بقدر ما تزداد المشاركة السلمية المنتظمة لافراد المجتمع في الشؤون العامة بصفتهم الفردية لم الجماعية<sup>(٤٥)</sup>. وبكل ما يترتب على ذلك من التزامات على عاتق النظام السياسي تتحدد "بتكليف فلسفته واجراءاته ومؤسساته لاستيعاب هذه الرغبة والاستجابة لها دون اخلال بسلطاته ودواره او تعريض اجهزته ومؤسساته لاي خطر او تهديد"<sup>(٤٦)</sup>.

ولفت ادب التنمية السياسية الانتباه الى معالة غاية في الاهمية وهي طبيعة العلاقة الوثيقة بين المشاركة السياسية والتنمية السياسية وقد انعكس ذلك على مواقف المهتمين بموضوعات التنمية السياسية فقد اعتبر هانغتون المشاركة السياسية احد عناصر التنمية السياسية في حين صنفها لوسيان باي ضمن ازمات التنمية السياسية<sup>(٤٧)</sup> وعدت هذه الازمات مشروطة في حلها بحل ازمة المشاركة أولاً ودائماً بمعلى ان المشاركة السياسية غاية ووسيلة في آن واحد<sup>(٤٨)</sup>.

فالمشاركة السياسية في كل دولة عربية هي "شرط اساسي ومقدمة لا بد منها لتحقيق الوحدة والتكامل بين هذه الدول فعندما تتوحد الجبهة الداخلية في كل بلد وتسود

(٤٣) سعد الدين ابراهيم. المجتمع والدولة في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ٢٠٠٠ ص ٣٣١-٣٣٢.

(٤٤) ثامر كامل محمد. الدولة في الوطن العربي مصدر سابق ص ١٧٢.

(٤٥) سعد الدين ابراهيم. المجتمع والدولة في الوطن العربي، مصدر سابق، ص ١٨٦.

(٤٦) علي عباس مراد، التنمية السياسية وازمة المشاركة محاولة في تحديد المفهوم، مجموعة باحثين مشكلات وتجارب التنمية في العالم الثالث، مطابع دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠، ص ١٢٤.

(٤٧) هذه الازمات هي ازمة الهوية، ازمة الشرعية، ازمة المشاركة، ازمة الاندماج، ازمة التطفل، ازمة التوزيع.

انظر ثامر كامل محمد، الدولة في الوطن العربي، مصدر سابق، ص ١٩١.

(٤٨) ثامر كامل محمد، الدولة في الوطن العربي، مصدر سبق ذكره، ص ١٩١.

النظرة المجتمعية الى قضايا الامن والتنمية فان هذه الدول لن تجد بديلاً للمضي السى الامام للتكامل والتوحد، وعندئذٍ ستزول الكثير من معوقات التنمية التي نراها اليوم<sup>(٤٨)</sup>. وفيما يتعلق بالمشكلة او "القضية" الرابعة وهي التنمية المستقلة فعلى الرغم من عدم تبلور مفهوم محدد للتنمية المستقلة عند الكثير من الباحثين والاقتصاديين الا ان غالبيتهم يتفق على انها تتمثل في اعتماد الوطن العربي على نفسه كبديل لاعتماده على الخارج والاتجاه الى تكوين اقتصاد عربي متشاك ومتكامل كبديل لاندماج كل قطر عربي على حدة في الاقتصاد العالمي وان مثل هذه التنمية تستند بالضرورة الى بناء قاعدة علمية وتقنية تمكن العرب من المشاركة والمساهمة في التقدم العلمي والتقني العالمي وعدم الاكتفاء بدور المتلقي<sup>(٤٩)</sup>.

وفي ذات المعلى يجب التأكيد على ان هذا التغيير الارادي المقصود الذي يحرر البلد من التبعية والاستغلال يتعدى الجانب الاقتصادي السى شموله الجوانب الاجتماعية والسياسية ايضاً مع اهتمام خاص بالقرار المستقل بكيفية استخدام الموارد المحلية واسلوب التعامل مع العالم الخارجي فضلاً عن اهمية المشاركة الديمقراطية في اتخاذ وتنفيذ القرارات والعمل على تطوير قدرات الانسان العربي واطلاق طاقاته الابداعية وتعطي لذلك تنمية الانسان اهتماماً خاصاً باعتباره صانع التنمية الحقيقي<sup>(٥٠)</sup>. واتساقاً مع هذه الافكار وبغية تحقيق التنمية المنشودة فالضرورة تقتضي التأكيد على مسألتين اساسيتين<sup>(٥١)</sup>:

**المسألة الاولى:** البعد القومي للتنمية في مقابل فشل التنميات القطرية بما يقضي اعادة نظر شاملة لمجمل العلاقات الاقتصادية العربية بهدف اقامة تكتل اقتصادي قوي يستطيع مخاطبة للتكتلات الدولية الاخرى من منطق الندية لا من منطق التبعية.

**المسألة الثانية:** هي البعد الانساني الامر الذي يستوجب حشد جميع جهود الشعوب والتلاقي معها في مواجهة التحديات التي تفرضها العولمة.

ان هذه المشاكل "الازمات" والتي عجزت الدولة القطرية عن ايجاد الحلول المناسبة لها تعرض الامن القومي والسيدة الوطنية للخطر في ظل اتساع حركة الولايات المتحدة الامريكية في المناورة للسياسية بعد ان تمكنت من تسخير المنظمة

(٤٨) يوسف خليفة اليوسف، المشاركة السياسية والتنمية في دول مجلس التعاون الخليجي المستقبل العربي، السنة ٢٥، العدد ٢٩٠، نيسان ٢٠٠٣، ص ١٢٣.

(٤٩) سعد حسين فتح الله، التنمية المستقلة لمتطلبات، والاستراتيجيات والتتائج مر راسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٥، ص ٣٩.

(٥٠) ابراهيم سعد الدين عبد الله، دور الدولة في النشاط الاقتصادي في الوطن العربي، قضايا عامة ونظرة مستقبلية، مصدر سابق، ص ١٤٢.

(٥١) ملير الحمش، الشركات المتعدية الجنسية، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٥.

الدولية وحلق شمال الاطلسي ضد الدول التي لا تتسجم توجهاتها مع الاهداف والمصالح الحيوية للولايات المتحدة، وان محاولتها في نشر مفاهيم العولمة ما هو الا لدعم موقعها بشبكة من اشكال الوجود العسكري بغية احداث تعديلات في موازين القوى المختلفة لصالح الهيمنة الامريكية باستخدامها للعولمة المسلحة<sup>(٥٢)</sup>، ومن ثم عولمة الصراع باشكاله ووسائله المختلفة ومن ضمنها الحرب لاشراك دول كثيرة اخرى لا مصلحة لها بها لو ربما تكون ضد مصالحها الوطنية ولكنه يخدم في نهاية الامر مصالح الولايات المتحدة الامريكية بالمرتبة الاولى ومن ثم حلفائها<sup>(٥٣)</sup>.

واذا كان النظام السياسي الدولي في ظل الحرب الباردة القائم على التوازن بين القوتين العظميين يدعو في "الظاهر" لاستقلال الدول واحترام سيادتها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، فان النتائج التي تمخضت عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط النظم الاشتراكية في دول اوروبا الشرقية قد فتح الباب على مصراعيه امام الولايات المتحدة للترويج لـ (نظام دولي جديد) يدعو الى "الديمقراطية وحقوق الانسان ومحاربة الارهاب" يقوم على مبدأ سيادة الامن الدولي كبديل عن سيادة الدول ومن ثم تقوم المنظومة الامنية التي هي اساس ذلك النظام على دعائم ثلاث هي<sup>(٥٤)</sup>:

١. اساس مرجعي يتكون من مجموعة المعاهدات السارية التي تقيم نظاماً دولياً للتسلح وللتداول الدولي للأسلحة ولا يشمل ذلك للنظام بالتأكيد الولايات المتحدة والدول الحليفة لها.

٢. اداة تنفيذ هي الحلف الاطلسي الذي يجري العمل على توسيع عضويته باتجاه الشرق وتوسيع منطقة عملياته باتجاه الجنوب.

٣. ان حلقة الوصل بين المرجعية التي تصفي الشرعية وبين اداة التنفيذ التي تحيل القانون الى قوة بطش هي مجلس الامن الجهة التي يناط بها اصدار القرارات في مسائل الامن الدولي.

ان هذه الطروحات المتعلقة بمفهوم الامن تهدف لتبرير التدخل الخارجي بمختلف شعاراته واشكاله وآلياته وهذا ما ساهم في ان يصبح (النظام الدولي الجديد) مجرداً من اية شرعية قانونية او اخلاقية على الرغم من ادعاء الولايات المتحدة الامريكية بأنها ملتزمة بالشرعية الدولية وتمنحها مصداقية، الا انها في الواقع بعيدة

(٥٢) حميد الجميلي، يوغسلافيا، الاهداد الاقتصادية للعنوان الامريكي-الاطلسي، مجلة الحكمة، العدد ١٠، بيت الحكمة، بغداد ١٩٩٩، ص ٢٩-٣٠.

(٥٣) ضياء الدين جمال، اهداف الاستراتيجية العسكرية الامريكية الجديدة، مجلة الحكمة، العدد ٢٢، بيت الحكمة، بغداد ٢٠٠٢، ص ٣٣.

(٥٤) انظر تعقيب مجدي حماد على بحث جلال امين العولمة والدولة في العرب والعولمة، مصدر سابق، ص ١٩٦.



عن الشرعية في سلوكياتها من خلال ممارستها لسياسة القوة والذهب والاختصاص، سياسة دكتاتورية عالمية اتخذت من القانون الدولي والشرعية الدولية أدوات لتنفيذ مخططاتها<sup>(٥٥)</sup>.

وبذلك أصبحت سياسة التدخل والعمل على تغيير الانظمة السياسية التي لا تتسجم توجهاتها مع اهداف الادارة الامريكية بالقوة وهي "رؤية فلسفية امريكية لمستقبل النظام الدولي فيعد ان كانت الولايات المتحدة تدعم فكرة الحفاظ على الوضع الراهن أصبحت تتبنى فكرة تغيير الوضع القائم وان استلزم ذلك عدم احترام مبادئ السيادة الوطنية والتدخل بالشؤون الداخلية للدول الاخرى<sup>(٥٦)</sup>.

ان المسألة الاساسية التي يجب للتركيز عليها ان ظاهرة العولمة اخضعت مفهوم السيادة وغيره من المفاهيم الرئيسية في علم السياسة للمراجعة واعادة التعريف وبدلنا نلاحظ وجهة من الكتابات<sup>(٥٧)</sup> التي تشكك في المفهوم التقليدي للسيادة الوطنية لقائم على نموذج الدولة التي ترافق بشكل مستقل شكل ومضمون سياستها العامة وتعتبره اما مفهوماً مهجوراً او انه ينتمي الى تقليد مذهبي في طريق الفناء واما متجاوز نظرياً وغير نافع عملياً<sup>(٥٨)</sup>.

ان محاولات اضعاف سلطة وتجريد السيادة من مضمونها الحقيقي يعرض الدولة الى خطرين كبيرين: الخطر الاول سلب السيادة ونقلها الى مؤسسات دولية

(٥٥) وجيه حميد زبدان، الولايات المتحدة الامريكية والارهاب الدولي رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، نقلاً عن ابراهيم ابراش، حدود النظام وازمة الشرعية في النظام الدولي الجديد في العرب وتحديات النظام العالمي الجديد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٩، ص ١٢٨.

(٥٦) مصطفى علوي، السياسة الخارجية الامريكية وهيكل النظام الدولي، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٥٣، يوليو ٢٠٠٣، ص ٦٧.

(٥٧) يشير الامين العام السابق للامم المتحدة بطرس بطرس غالي الى ذلك بقوله "من المقتضيات الفكرية الرئيسية لزماننا ان نعيد التفكير في مسألة السيادة لا من اجل اضعاف جوهرها الذي لم تعد له اهمية حاسمة في الامن والتعاون الدولي وانما بقصد الاقرار بانها يمكن ان تتخذ اكثر من شكل وان تؤدي اكثر من وظيفة وهذه الرؤية يمكن ان تساعد على حل المشاكل سواء داخل الدول او في ما بينها.

انظر بطرس بطرس غالي، نحو دور اقوى للامم المتحدة، السياسة الدولية، العدد ١١١، كانون الثاني ١٩٩٣، ص ١١.

(٥٨) سعيد الصديقي، هل تستطيع الدولة الوطنية ان تقاوم تحديات العولمة؟ المستقبل العربي، السنة ٢٦، العدد ٢٩٣، تموز/ يوليو ٢٠٠٣، ص ٩١.

كمنظمة التجارة العالمية والمؤسسات المالية الاخرى او لصالح ترتيبات اقليمية كالمشروع الشرق الاوسطى" او مشروع الشرق الاوسط الكبير<sup>(٥٨)</sup>.

والخطر الثاني الذي يواجه للدولة القطرية هي مخططات التجزئة والتفتت بادواتها الطائفية والعنصرية والتي تهدف الى "استيلاء وإيقاظ اطر للانتماء سابقة على الامة والدولة، اعني القبيلة والطائفة والجهة والتعصب المذهبي.. والدفع بها جميعاً الى القتال والتناحر والافناء المتبادل الى تمزيق الهوية الثقافية الوطنية.. الى الحرب الاهلية"<sup>(٥٩)</sup>.

وفي ظل هذه التحديات الداخلية والخارجية عجزت الدولة القطرية عن تأسيس مفهوم قانوني وسياسي يعمل على "انضاج السياسات الوطنية العقلانية وتنمية مفهوم المسؤولية الاجتماعية وتنظيم التضامن الاجتماعي وتسهيل التواصل الانساني أي ممارسة لسلطة سياسية بالمعنى الحديث"<sup>(٦٠)</sup>.

وتأسيساً على هذه التصورات فان معالجة الاوضاع الداخلية يجب ان تكون لها الاولوية لانها المقدمة الضرورية الصحيحة لمواجهة التحديات وهذه مهمة تنطوي على "ضرورة توفير مجال مناسب لكل من السلطة او السياسة من ناحية وبين المصلحة الخاصة او السوق من ناحية ثانية وبين القيم او الاخلاق من ناحية ثالثة. اما السياسة فادائها الرئيسية هي الدولة. واما المصالح الخاصة فان السوق هي الكفيلة بتحقيقها واما القيم فان المجتمع المدني هو الامين عليها. والمجتمع السليم هو ذلك المجتمع الذي يوفر مكاناً لكل من هذه المجالات في توازن دقيق بينهما"<sup>(٦١)</sup>.

وباعتبار الدولة أداة السياسة الرئيسية واللاعب الاساسي بين بقية اللاعبين لابد لها ان تكون ديمقراطية ولكي تكتسب هذه الصفة يجب ان تتمثل فيها المبادئ والمؤسسات والآليات التالية<sup>(٦٢)</sup>:

١. الا يكون في الدولة الديمقراطية من حيث النص او على ارض الواقع سيادة لفرد او لقة من الناس على الشعب.

(٥٨) محمد ابراهيم منصور، العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩.

(٥٩) محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، عشر اطوارحات في العرب والعولمة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٤.

(٦٠) مهدي غالب احمد، الاصلاح الديمقراطي العربي بين برامج الداخل ومشاريع الخارج، المستقبل العربي، السنة ٢٧، العدد ٣١٤، نيسان ٢٠٠٥/٤، ص ١٤٩.

(٦١) انظر تعقيب حازم البهلوي على بحث اسماعيل صبري عبد الله، العرب والعولمة، العولمة والاقتصاد والتنمية العربية (العرب والكوكبة) في ندوة العرب والعولمة، مصدر سبق، ص ٣٩١.

(٦٢) لمزيد من التفاصيل انظر علي خليفة الكواري، مفهوم الحزب الديمقراطي، ملاحظات اولية، المستقبل العربي، السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الاول ٢٠٠٣، ص ٤٧، وما بعدها.

٢. الاخذ بمبدأ المواطنة المتساوية في الحقوق والواجبات السياسية والقانونية على الأقل.

٣. التوافق على شرعية دستور ديمقراطي وهذا الدستور هو تعاقب مجتمعي متجدد وليس منحة او مكرمة او ما هو اقرب اليها، كما لا بد للدستور الديمقراطي من ان يرتكز على اركان عامة مشتركة من حيث النص والتطبيق على ارض الواقع اولهما الشعب مصدر السلطات وثانيهما سيطرة احكام القانون والمساواة امامه وثالثهما عدم الجمع بين السلطات الثلاث ورابعها ضمان ممارسة الحريات العامة وخامسها تداول السلطة وفق آلية لانتخابات دورية حرة ونزيهة.

وهكذا فان الديمقراطية في التخليل الاخير هي عملية تعبر عن صيرورة اجتماعية ولا بد من خلق وانضاج شروطها الداخلية سواء اكانت اقتصادية (معدل معقول من التنمية الاقتصادية) ام اجتماعية "العدالة الاجتماعية وتقوية المجتمع المدني" ام ثقافية (نشر ثقافة سياسية ديمقراطية) ام سياسية (تفكيك الهياكل السياسية للاستبداد وتنمية القوى الديمقراطية واستعداد للنظم الحاكمة لتقاسم السلطة مع قوى سياسية اخرى)<sup>(١٣)</sup>.

واذا كانت قدرة الدولة على الصمود في مواجهة تحديات العولمة تمثل شرطاً داخلياً فان استكمال هذه المهمة بشرطها الاخر يتمثل في ضرورة القيام بمراجعة شاملة ونقدية لحقيقة ان الوطن العربي كنظام اقليمي وعلى الرغم من كل معوقات القوة التي يمتلكها يعتبر من اضعف الانظمة الاقليمية وكثيرا ما سلبية في التعامل مع المتغيرات الدولية.

ان واقع النظام الاقليمي العربي يشير الى ان العرب لا سبيل لهم في مواجهة تحديات العولمة الا من خلال الوسائل التالية:

١. تفعيل النظام الاقليمي العربي من خلال اجراءات بناء الثقة بين عناصره وهذا يتطلب تغليب لغة الحوار والاقتناع على ما سواها والاقرار بان "ازمة الدول العربية يمكن التغلب عليها فقط اذا تحقق شكل من اشكال الاتحاد بينها فليس هذا الاتحاد ضرورياً للتنمية والتقدم فحسب بل انه المتفلس الحقيقي الوحيد للدولة العربية المختلفة"<sup>(١٤)</sup>.

٢. العمل على تبني "اصلاحات سياسية واقتصادية تأخذ بالحسبان المصالح العليا للمجتمع العربي واعادة النظر في الاسس والقواعد التي تقوم عليها غالبية نظم

(١٣) الدكتور حسنين توفيق ابراهيم، النظم السياسية العربية، الاتجاهات الحديثة في دراستها، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥، ص ١٤٥.

(١٤) محمد عابد الجابري، اشكالية الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٨٠.

- الحكم العربية<sup>(٦٥)</sup> والسعي لارساء ممارسة ديمقراطية حقيقية تمنح الانظمة العربية شرعية دستورية ورضاً وتأييد شعبي.
٣. العمل على بلورة رؤية استراتيجية واضحة لمفهوم الامن القومي العربي تسعى في حدها الأدنى لتوحيد المواقف من الصراع العربي-الصهيوني والهيمنة الامريكية على المنطقة.

#### خاتمة

١. لا تخرج العولمة عن كونها نسق جديد من العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين مختلف دول العالم تتجاوز الحدود الجغرافية وتختصر المسافات وتتحدى مفاهيم السيادة. وهي اعادة انتاج نظام هيمنة جديد تحت شعار العولمة تكون الولايات المتحدة الامريكية هي الفاعل الرئيسي في هذا النظام على الرغم من الدعوة الى اعتماد الديمقراطية وحقوق الانسان.
٢. ان فكرة اضمحلال الدولة وتراجع دورها هي من الافكار التي تناولها الفكر السياسي بدأ بـ (امانوئيل كانت) مروراً بـ (كارل ماركس) وبرتtrand ورسل واخيراً منظري العولمة ومع ذلك فان الدولة لم تختفي ولم ينحسر دورها كما تصوره هؤلاء المفكرين.
٣. التأكيد بان دور الدولة يتسم بالصيرورة والتبدل ويختلف من مرحلة الى اخرى ويتأثر بالمتغيرات الدولية بدرجة كبيرة وعليه فان الفكرة المركزية التي يجب ابرازها هي ضرورة تكيف هذا الدور وتطوير استجابة ناجحة لمواجهة هذه التحديات وهذه مهمة تتطلب اعادة نظر شاملة في اساليب ادارة المجتمع والاقتصاد الوطني في اتجاه المزيد من الديمقراطية والمشاركة السياسية.
٤. ان قدرة الدولة الوطنية في مواجهة تحديات العولمة تبقى ناقصة ما لم يدعمها نظام اقليمي عربي نسوده لغة الحوار والاقناع والعمل على تبني اصلاحات سياسية واقتصادية تحقق لهذا النظام شكل من اشكال القوة والتأثير في المحيط الدولي تتناسب مع عناصر القوة التي يمتلكها الوطن العربي.

(٦٥) باسل محمد حسن العزاوي، العولمة ومستقبل النظام الاقليمي، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠١، ص ٢١٣.

## حقوق الإنسان والعولمة

المدرس المساعد

ياسين محمد الدليمي

الاستاذ المساعد الدكتور

لطيف كريم العبيدي

كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

### المقدمة

أن حقوق الإنسان والعولمة أخذتا يشغلان حيزا كبيرا في الفقه السياسي والقانون الدولي، والفكر السياسي بشكل عام في الحياة السياسية على المستوى الدولي وعلى المستوى الإقليمي وعلى المستوى المحلي.

ورغم التقاطع بين المصطلحين على المستوى العملي، إلا أن هناك من يعتبر بأن قضاء حقوق الإنسان ينمو في ظل العولمة، والبعض الآخر ينحو عكس ذلك.

ولتسليط الضوء على هذين المفهومين من الناحية النظرية والعملية فقد جاء خيارنا لهذا الموضوع، وقد استخدمنا منهجين أكاديميين لإثبات صحة إحداهما وهما المنهج التاريخي الوصفي إضافة على المنهج التحليلي. وذلك وفق الهيكلة البحثية الآتية:-

المبحث الأول : تحديد المفاهيم والمصطلحات والأبعاد وهي تضم:-

أ. حقوق الإنسان مصطلحا سياسيا.

ب. العولمة مصطلحا سياسيا.

ج. البعد الزماني والمكاني لحقوق الإنسان والعولمة.

المبحث الثاني : عالمية و عولمة حقوق الإنسان وتضمن :-

أ. عالمية حقوق الإنسان .

ب. عولمة حقوق الإنسان .

المبحث الثالث: تحليل الفكر السياسي لحقوق الإنسان والعولمة وتضمن:-

أ. الجانب الفلسفي

ب. الجانب السياسي

ج. الجانب الإستراتيجي

ومن ثم الخاتمة والتي تتضمن أهم النتائج والتوصيات .  
وقائمة الهوامش والمصادر .

### المبحث الأول

#### تحديد المفاهيم والمصطلحات والأبعاد

##### أ. حقوق الإنسان مصطلحا سياسيا:

حقوق الإنسان لصطلحا يعني بكافة الحقوق الضرورية والمهمّة والتي لا يستطيع الإنسان أن يؤدي نوره في الحياة دون وجودها. والحق كلمة لها كثير من المعاني وحسب وجودها في مجال الجملة، ومن معانيها " الحق مصلحة مستحقة شرعا والحق هو اختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليفا " وموضوعة حقوق الإنسان تعني مبدئيا أن الإنسان يمتلك حقوقا لمجرد كونه إنسانا بعيدا عن جنسه أو لونه أو لغته أو أصله العرقي أو القومي. أو الاجتماعي أو الاقتصادي وهذه مرتبطة ولصيقة به ويجب على جميع البشر من مجتمعات أو حكومات أن تعترف بكرامة وحقوق الفرد وأن تدميته هو أساس العدل ودعم السلام ، وحقوق الإنسان هي حقوق طبيعية لا تعطى ولا تمنح ولا توهب من احد لأحد فهي حقوق أصيلة متأصلة في طبيعة الإنسان وهي تابعة من صميم كيانها، فليس للمجتمع أو الدولة أو السلطة أو أي قوة ذات تأثير تدعي أنها صاحبة الحق أو الفضل منها للأفراد. في هذا الإطار من الفهم نجد أن مفهوم "حقوق الإنسان" قد ورد في المادة الأولى من الاعلان العالمي لحقوق الانسان (بولد جميع الناس احرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق)<sup>(١)</sup>.

وكذلك أريد به " مجموعة من الحقوق متصلة بتصور معين للإنسان يقوم في جوهره على الحرية يمكن لكل فرد بصفته تلك أو بصفته عضوا في المجتمع وجزء من الإنسانية من قدرات وإمكانيات في علاقاته مع الآخرين ومع مجموع السلطات<sup>(٢)</sup> وحقوق الإنسان هي حقوق فردية وجماعية وهذه الرؤية قررتها مسيرة التطور التاريخي لحركة حقوق الإنسان، وإن الإنسان بصفته الإنسانية المجردة يمتلك مجموعة من الحقوق التي تلازم وجوده وتقرض على الآخرين احترامها لأن احترامها هو جزء من احترام الشخصية الإنسانية وشرط من شروط استقامة الحياة الإنسانية .

أن الأهمية التي حظيت بها حقوق الإنسان في الوقت الحاضر جاءت بفضل التقدم الكبير الذي وصلت اليه البشرية في مجالات الحياة، منها التطور الفكري والوسائل المعتمدة في الحياة ومنها هذه الفكرة " حقوق الإنسان " حيث إنها خضعت للقانون

(١) الاعلان العالمي لحقوق الانسان، المادة الاولى.

(٢) عبد الفتاح عمر، حقوق الانسان والتحول الحضاري في العالم اليوم، المجلة العربية لحقوق الانسان، العدد ١، لسنة ١٩٩٤، ص ٩٥ .

وتأثرت به فهي لم تعد كما كانت في الماضي أسيرة القيم والمفاهيم المجردة أو تحت طائلة الأماني التي يرغب فيها الإنسان دون أن يحققها، حيث شهدت الفترة الحالية تحولا كبيرا في مسألة الاعتراف بهذه الحقوق من أطر وطنية وقومية ضيقة ترتبط بقيم وفلسفة كل شعب وأمانيه إلى أطر وإفاق إقليمية وعالمية واسعة معمقة الاتجاه الجماعي التضامني على صعيد تنسيق العمل أو تطور الأفكار، حيث يمكن أن نطلق عليه الآن عصر التنظيم الدولي الجماعي، وتماشيا مع هذا العصر نلاحظ توسع دائرة الاهتمام والوعي بقضية حقوق الإنسان مثبتية فهم العالمية ولا غية الخصوصية التي كانت في العصور القديمة، حيث أصبحت هذه القضية قضية عالمية لا تخضع لسياسة كل دولة على حده وإنما أصبح الدور للمنظمات الدولية العالمية إلى جانب الدول حيث شهد العالم حركة عالمية وميدان عمل حي لحماية حقوق الإنسان في ظل الكثير من المنظمات الدولية التي تهتم بهذا الجانب .

ب. العولمة مصطلحا سياسيا:

العولمة لفظة تعني الشيء على مستوى عالمي، وتفيد في تصميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة ليصبح العالم كله بأفاق اللا محدود، إطار الحركة فيه متجاوزا الحدود الجغرافية المعرفة للدول، وهذه الحركة تعد نمطا من الأنماط الفكرية والسياسية والاقتصادية الخاصة بأمة معينة على جميع أنحاء العالم، وتشير المصادر على إنها تعني المزيد من الاندماج في الأسواق والسلع والخدمات ورؤوس الأموال انسجاما مع الاندفاع السريع لتحرير التجارة الدولية وأسواق رأس المال وغيرها من الشؤون الاقتصادية، وبدايات يرونها كان في هذا المجال وكننتاج للثورة العلمية والتكنولوجية التي مثلت نقلة نوعية في تطور الرأسمالية العالمية، وهي بهذا إنتاج للرأسمالية العالمية. لقد اتفق الكثير من الباحثين الاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين على إنها ظاهرة ذات جذور تاريخية وثيقة الارتباط بالتحويلات الكبيرة في نمط الإنتاج للرأسمالي وهذا النمط وظيفته خلق إنتاج تكون السوق العالمية قاعدته، إلا أننا لا يمكن أن نركز على الجانب الاقتصادي والمالي للعولمة فأن هناك جوانب سياسية وحضارية وثقافية وإعلامية وعسكرية وفكرية وتكنولوجية، هذه الجوانب مكتسبة طابع العالمية وتكون متلاحمة غير قابلة للفصل بين الداخل والخارج، ولو عرجنا عن مجمل التعاريف التي شارك فيها الكثير من الباحثين من عرب وأجانب نجد هناك قياسات مشتركة بين هذه التعاريف وهناك اختلاف في الرؤية تعتمد على آراء كتابها ضمن سياق الفهم العام لهذه الرؤى فمنها ما يعطي رؤية اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو إيديولوجية، إلا أن مجمل الفهم العام للعولمة هو رفع جميع الحواجز الجغرافية والكمركية والإدارية أمام حركة التجارة والمال والتقنية والمعلومات من أجل جعل

العالم قرية صغيرة تسيطر عليها دولة عظمى<sup>(١)</sup>، وقاعدتها الأساسية هي التي أوضعها اتفاقية التجارة الدولية (الجات) والتي تقوم على تركيز الصناعة والتكنولوجيا والتنمية والتقدم الاقتصادي الشامل في الدولة ذات القاعدة المؤهلة الآن وهي دول الغرب الصناعي و دول العالم الثالث تتحول إلى دول مستهلكة وأسواق رائجة لصناعة الدول الكبرى وإلى مصادر للمواد الطبيعية والأيدي العاملة الرخيصة اعتمادا على قاعدة تقييم العمل وتحديد التخصيص، إذن العولمة بهذا المعنى هي إفراس التطور الرأسمالي في ظل هيمنة دول المركز ونظام عالمي جديد للتبادل غير المتكافئ، وعلية ظهرت الحاجة إلى أسواق الدول الصناعية من خلال سوق عالمية واحدة، وهذا استثمار جديد وليس ثوبا جديدا من خلال الشركات متعددة الجنسيات أو نظام دولي جديد يريد فرص سيادته عن الجميع من خلال وسائل الإعلام ووسائط الاتصال الاجتماعي ومفاتيح التقدم التقني لا الوسائل التقليدية للحروب القديمة كالمال والسلام، وعلية فإن لتساع نطاق العولمة السياسي للنظام الأمريكي تكلفت المنظمات الدولية بعولمة القانون الدولي والشرعية الدولية وحقوق الإنسان وعولمة موانئ نظم الحرب والسلم وطرائق التعاون الدولي، وبذلك عولمة السياسة في أوسع معانيها التي تشمل تنظيمات الحكم وشروط التعاون الدولي والعلاقات الدولية العامة وأصبح المجتمع الدولي يضبط دقات هذه العولمة ويتحكم بها من اصغر مكوناتها، وبإشراف الأمم المتحدة بمراقبتها وعلى رأسها مجلس الأمن، حيث كثرت الذرائع في تدخل الدول الكبرى في شؤون الدول الصغرى أو فرض عقوبات على الدول بأشكال متعددة، تارة باسم الشرعية الدولية وتارة باسم حقوق الإنسان، أو حقوق الأقليات أو حتى باسم الديمقراطية<sup>(٢)</sup> وبسبب عدم وجود في اللغة العربية اصل كلمة العولمة سماها بعض المفكرين العرب بـ"الكونية"<sup>(٣)</sup> و"العولمة" و"الليبرالية الجديدة"<sup>(٤)</sup> ومن التعاريف للدولة في قاموس "ويستر" "اكتساب الشيء طابع العالمية جعل نطاقه وتطبيقه عالميا"<sup>(٥)</sup> وعرفها "روبرت سون" بأنها "اتجاه نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد

(١) انتصار عبد الواحد العكيلي، ايدولوجيا العولمة، رسالة دبلوم المعهد العالي، الجامعة المستنصرية سنة ٢٠٠٤، ص ١٧.

(٢) د. لطيف كريم محمد / العولمة في الفكر السياسي المعاصر / مجلة بحوث ودراسات الوطن العربي العددان ٦ - ٧ بغداد / ١٩٩٩ / ص ٦٣.

(٣) محمود خالد المسافر - العولمة الاقتصادية - هيمنة الشمال والتداعيات على الجنوب ط ١ / بيت الحكمة / بغداد / ٢٠٠٢ / ص ٨٧.

(٤) سيار الجميل - العولمة الموضوعي والذاتي في المشهد العربي الراهن / صحيفة الزمن / بغداد / العدد ( ١٦٩٧ ) ٢٠٠٣.

(٥) عبد الخالق عبدالله / العولمة - جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها - مجلة عالم الفكر / العدد ( ٢ ) / الكويت ١٩٩٩ ص ٤٣.



والمجتمعات بهذا الانكماش<sup>(٨)</sup> كما عرفها "كلينتون" "عملية فتح الحدود للأفكار والمعلومات والانسان والثروة والتكنولوجيا للعبور بحرية بين الدول"<sup>(٩)</sup>. كما أنها تعني نشر وتعميم مفاهيم الديمقراطية الليبرالية وما يتبعها من رخص للسلطوية والشمولية في الحكم وإبدالها بالتعددية السياسية والالتزام بحقوق الإنسان واستخدام الأمم المتحدة في حماية حقوق الإنسان، والأقليات والتدخل الدولي الإنساني. ومن خلال التعاريف المتعددة للعولمة والتي اختلفت كما ذكرنا المحاولات في إعطاءها الصورة الواضحة والأبعاد الحقيقية إلا أنه يمكن تشخيص أربعة أبعاد أساسية لهذا المفهوم وهي الأبعاد السياسية التي توضح قضايا سياسة عالمية جديدة ومرتبطة بالوضع الدولي الجديد، وأبعاد اقتصادية وتشكل بمجملها العولمة الاقتصادية، وأبعاد اجتماعية يبرز فيها المجتمع المدني العالمي الجديد وتشكل فئة العولمة الاجتماعية، والبعد الثقافي الذي يشير إلى بروز الثقافة والوعي والإدراك ووسائل ثقافية عالمية<sup>(١٠)</sup>.

### ج: البعد الزماني والمكاني لحقوق الإنسان والعولمة:

أن العولمة مشروع محتمل لنظام عالمي جديد، اقتصادي وثقافي يسعى إلى تهجين العالم وتجريده من خصوصيات وفرض وضع كوني للحدائق يحمل قيم القوة العظمى في العالم وهذه القوة هي العنصر الفاعل الرئيسي والوحيد في عملية إنتاج هذا النظام وخصائصه ومزياه الجديدة تحت غطاء العولمة<sup>(١١)</sup>. وكثير من المفكرين يرون أن هذه العولمة "عولمة زائفة" لأنها تنور في الحيز الأمريكي ومنهم المفكر الفرنسي "ريجيس دو برية" وأن نمطها السياسي والاقتصادي والثقافي نمطا أمريكيا ويرى أنها أشبه بتمويه الطابع المحلي بطابع شمولي جامع، وهي ثقافة مطبوعة بطابع الشمال تحديدا، ومن هذا الفهم نجد أن العولمة قد تعني "الأمركة"<sup>(١٢)</sup> ويمكن أن نعرف أن العولمة هي حقيقة مادية وتعد خطرا إستراتيجيا يهدد الاستقلال الاقتصادي والسياسي لدول العالم ويهدد هويتها القومية<sup>(١٣)</sup> وقد اختلفت آراء علماء الاجتماع السياسي في بدايات ظهور العولمة، فيرى البعض أن بداياتها تعود إلى النظام الإقطاعي في العصور الوسطى في أوروبا الذي غلبت عليه سمة الدولية والعالمية،

(٨) نفس المصدر.

(٩) محمد الجوهري / العولمة والثقافة الإسلامية / ط ١ / دار الأمين / القاهرة ٢٠٠٢ / ص ٢٦.

(١٠) عبد الخالق عبد الله / تعقيب / ندوة العرب والعولمة / ط ٣ / مركز دراسات الوحدة العربية / بيروت / ٢٠٠٠ / ص ٥٢.

(١١) كامل حيدر / مازق العولمة المؤمركة في كتاب العولمة وأثرها في الاقتصاد الغربي / ليبيا الحكمة / بغداد ٢٠٠٢ / ص ١٥٣.

(١٢) ريجيس دو برية، جان زيفو / كي لا تستسلم / المركز العربي / بيروت ١٩٩٥ / ص ١٤.

(١٣) د. لطيف كريم محمد / مصدر سابق / ص ٥٣.

ومنهم من يحددها بعد الثورة الفرنسية، منطلقاً من مبادئ هذه الثورة في مجال حقوق الإنسان التي حسبتها في مجال الحرية والإخاء والمساواة وحق تقرير المصير وأظهرتها لائحة حقوق الإنسان التي أقرتها الجمعية الوطنية الفرنسية عام ( ١٧٨٩ ) كما أن الفترة التاريخية أبان حرب نابليون بونابرت قد كانت توجهاتها نحو تحقيق عولمة بوسائل سرية<sup>(١٤)</sup> وعندما نادى الطبيعيين بحرية النشاط الاقتصادي وعدم تدخل الدولة فيه في منتصف القرن الثامن عشر، وصفوا بذور الفكر الاقتصادي الرأسمالي الحر وقوام العولمة الاقتصادية، وظهور الشركات المتعددة الجنسية والتي أدت إلى الحاجة إلى التوسع وغزوا أسواق جديدة<sup>(١٥)</sup>. أما المفكرين الذين رאו أن العولمة قد ظهرت في القرن العشرين وخاصة فترة الأربعينات قد أعطوا مراحل عدة في ظهورها في هذه الفترة، ففي مراحلها الأولى ظهرت مع مشروع مارشال الأمريكي عام ١٩٤٧ لأعمار أوروبا بعد الحرب متمثلاً بظهور عدة منظمات تأخذ صفة العالمية، أما المرحلة اللاحقة فهي بدايات النصف الثاني من عقد الخمسينيات ، حيث ظهرت سوق مشتركة ضمن معاهدة روما، وسوق أوربية مشتركة ومن ثم اتحاد اقتصادي ونقدي، أدى إلى ظهور فضاء اقتصادي وتجاري ونقدي واجتماعي أوربي يعد حجراً إضافياً في بدايات بناء العولمة، غير أن المفكرين الذين رحبوا بظهور العولمة في هذه المراحل تحدثوا عن العالمية وليس العولمة، لأن الفارق بين العالمية والعولمة واضح وأحدهما تلغي الأخرى، فقد تبنت العالمية القيم وحقوق الإنسان والحريات والثقافة والديمقراطية أما العولمة تخص التقنيات والسوق والسياسة المعلوماتية<sup>(١٦)</sup>، أما المرحلة القريبة وتحديداً عام ١٩٨٥، بإعلان الرئيس السوفيتي (غورباتشوف) بانتهاج سياسة (بروسترويكا) من إصلاح والانفتاح، وسقوط حائط برلين عام ١٩٨٩، والحرب العراقية الكويتية وما لحقها من إطاحة بكل المعادلات والتحالف، وأدت إلى هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على للعالم، من هنا نفهم أن التوجه الديمقراطي على المستوى العالمي يمثل إحدى سمات عصر العولمة بقيادة الولايات المتحدة متخذة من فكرة التعددية السياسية والتي تقوم على مفاهيم التعددية البنوية والتداول الحر بين القوى السياسية واحترام منظومة حقوق الإنسان رغم أن هذه الديمقراطية فيها من المناورة

(١٤) طاهر خلف البكاء / رؤية تاريخية في العولمة والوقت المناسب منها / مجلة دراسات في التاريخ والآثار / العددان ١٢-١٣ / الجامعة المستنصرية بغداد / ٢٠٠٢ ص ٢٦٧.

(١٥) عبد الكريم عامر/العولمة واثراها على مستقبل الاقتصاد اليمني/جامعة صنعاء / صنعاء ٢٠٠٠ ص ٢.

(١٦) سيرج لاتوش / العولمة ضد الاخلاق / مجلة شؤون الشرق الاوسط / العدد

(٧١) مركز الدراسات الاستراتيجية للبحوث والتوثيق / بيروت / ١٩٩٨ / ص ٩٩.

السياسية والتلاعب بالألفاظ والمغالطات الكثيرة، فتشجع الدول التي لا تخضع لسيطرة الغرب .

انتهاج مبدأ الديمقراطية تشجيعا سلميا أو حتى بالضغط لغرض تحولها من القوى الأخرى المنافسة، وتكون هناك ثغرة للتدخل في شؤون هذه الدول باسم الديمقراطية أو حقوق الإنسان أو الأقليات، ونلاحظ مسألة مهمة في هذا المجال، أن القوى العظمى تحاول وعلى أساس تطبيق فكرة الديمقراطية أن تجعل نظام الحكم في هذه البلدان لامركزيا مما يفقد الحكومة القدرة على السيطرة وفرض الضوابط المناسبة والتي تبني سياسيات تحررية اقتصادية<sup>(١٧)</sup> وهنا لابد أن ننوه إلى أن حقوق الإنسان لا تمارس بشكل مطلق أو منفلت بل تمارس بشكل محدود ومشروط قانونا وحسب متطلبات الزمان ومكان أي أن هناك خصوصية وقيود على ممارسة حقوق الإنسان وهي ليست قيود رغبوية مزاجية بل هي قيود مقلنة تتوزع ما بين محددات أمنية تتصل بالمصلحة العامة أو النظام الوطني والقومي للدولة وأخرى محددات تتصل بالمصلحة العامة والنظام العام والصحة والكوارث الطبيعية .

وخلاصة القول: أننا نميل إلى الرأي الذي يحدد البعد الزمني والمكاني بالفكرة التي تؤكد على أن بداية العولمة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وذلك للدور الجديد الذي أفرزته هذه المرحلة للولايات المتحدة سياسيا وعسكريا واقتصاديا، كما أن هذه الفكرة (العولمة) ارتبطت بنمط الحياة الأمريكية لأنها أخذت طابع الهيمنة رغم أن بدايتها أخذ طابع التعاون مع أوروبا، ولكن بعد سقوط الاتحاد السوفيتي تفرقت أمريكا بنمط الحيات السياسية والعالمية نظرا لقرارتها السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والإعلامية وظهرت بشكل واضح في حرب الخليج الأولى والثانية، وبرز القطب الواحد وبذلك أصبحت للعولمة حقيقة واضحة وليس خيالا كما يذكر بعض الكتاب، فأصبح هناك دور كبير لأمريكا في عولمة قول القانون الدولي وقواعد حقوق الإنسان ومسألة حقوق الأقليات مما أعطى لها دورا بارزا للتدخل في شؤون العالم الداخلية والخارجية باسم حقوق الإنسان، حقوق الأقليات، المسألة الديمقراطية، قضايا الغذاء وحقوق تقرير المصير، فلسفة البحث عن أسلحة التدمير الشامل، وأصبحت تسيطر المنظمات الدولية والإقليمية والعالمية، إضافة إلى تكوينها تحالفات وجيوش تتخطى حدود الدول، وأصبح لها قواعد لعبارة القارات ثابتة ومتحركة بحجة ما ذكر سابقا، كما أن المنظمات الإقليمية والدولية والإنسانية أخذ يشير بركب الولايات المتحدة طوعا أو كرها طبقا لنفوذها وهيمنتها وقراراتها المتعددة .

(١٧) د. رياض عزيز هادي / العالم الثالث اليوم / قضايا - تحديات / ط ١ / دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد / ١٩٩٧ ص ٧٤ .

## المبحث الثاني عالمية وعولمة حقوق الانسان

### أولاً: عالمية حقوق الإنسان :

نقصد هنا بالعالمية هو سمو القيم والأهداف الأخلاقية والارتقاء الحضاري الإنساني بهدف تعميق العمل العالمي المشترك الخاص بالقضايا والمشكلات والمتطلبات الإنسانية، أي خلق شعور وإحساس عالمي مشترك تجاه هذه القضايا التي تخص الإنسان، هذه النزعة الإنسانية العالمية إنما هي تهدف إلى تحقيق طموح أنساني مشترك يتمثل بتقارب التيارات الفكرية والفلسفية والعقائدية، ينبثق من الطبيعة العقلية والاجتماعية للبشر، وهذه الأفكار قديمة في تاريخ الحضارات والفلسفات العقائدية والسياسية. فالمسيحية قد اقتبست فكرة الإخاء العالمي واقتبست فكرة القانون الطبيعي فيما بعد كما هي الأفكار الخاصة بالمساواة والإخاء والعدالة قد طرحها الروائيون حيث تولدت للنظرية السياسية العالمية فجميع الأفراد طبيعياً أخوة ومواطنون في جمهورية عالمية واحدة<sup>(١٨)</sup>. وأفكاره هذه منبعثة من فهم الخلاص للجنس البشري وهي عالمية الفكرة لأنها حسبما جاء في إنجيل متى " اذهبوا وتلمنوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الرب والابن وروح القدس"<sup>(١٩)</sup> وليس هناك يهود وإغريق ولا حر ولا عبد ولا ذكر ولا أنثى فكلهم سواء في يسوع المسيح"<sup>(٢٠)</sup> أنن المسيحية دين عالمي وأفكارها ومعتقداتها عالمية. أما الشريعة الإسلامية نجد أنها عالمية المعتقد حيث أن الفكر الإسلامي جاء فكراً إنسانياً شمل جميع الناس دون اختصاص بفئة أو ملة أو زمن وكل أفكاره ومفكره انصافوا بعالمية الطروحات إلا أنه لا يلغي الخصوصية العربية التي ظهرت في آيات القرآن الكريم وإن كانت هذه الخصوصية منسجمة مع عالمية الفكرة، ففي الآيات الكريمات من القرآن الكريم. " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً"<sup>(٢١)</sup>.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ"<sup>(٢٢)</sup> معتداً مبدأ المساواة بين الناس، كما أنه عزز مسألة الإنسان دون اعتبار لدينه أو جنسه أو مركزه، وقد قلل حقوقه وصانها وحماها ووضع قوانين وتشريعات وقواعد تنظم حقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وبشكل عالمي أي لكل الناس رغم أن هنا كل النبس يقصد بها المؤمنين

(١٨) د. غانم محمد صالح - الفكر السياسي القديم - بغداد - جامعة بغداد / ١٩٨٠ ص ١٤١ .

(١٩) إنجيل متى ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢٠) المصدر نفسه ص ٢٨ - ٣٠ .

(٢١) سورة سبا الآية ( ٢٨ ) .

وأصحاب التوجه الإيماني العالي حيث حدد مسألة التقوى هي الفاصل بين الناس جميعا " لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى " وكان واجبا على الدولة الإسلامية في كفالة الحرية للفرد المسلم ولذا في مقولة الشيخ الجزائري "عبد الحميد بن باديس" مثلا في ذلك حيث قال " حق كل إنسان في الحرية كحقه في الحياة، ومقدار ما عنده من حياة هو ما عنده من حرية والمعتدى عليه في شيء من حريق كالمعتدى عليه في شيء من حياته. وما انتشر الإسلام في الأمم إلا لما شاهدت فيه تعظيم للحياة والحرية ومحافظة عليها وتسوية بين الناس فيها مما لم تعرفه تلك الأمم من قبل لا من ملوكها ولا من أبحارها ورهبانها<sup>(٢٢)</sup> كما يكفل الإسلام حرية الحقوق كافة ويبطال كل توجه فردي باتجاه اغتصاب حقوق الآخرين حيث نظم العلاقة في الوراثة والحقوق بين الذكر والأنثى ولم يخصص في ذلك حيث قصد عموم الناس<sup>(٢٣)</sup>. وفي العصر الروماني تجسدت نظرية شيرشون عن القانون الطبيعي بأنه قانون عام ينبثق من واقع العناية الإلهية للعالم، وهو قانون يمشي الطبيعة وينطبق على كل الناس وهو قانون خالد ولا يتغير، وإن العالم فيه عالم واحد له قانون واحد صالح لجميع الأمم ولجميع الأوقات<sup>(٢٤)</sup>. وفي العصر الحديث نشأت هناك فلسفتان كل واحدة منهما تنظر إلى مسألة حقوق الإنسان من زوايا وأيديولوجيا خاص بها، فالرأسمالية التي قدست الحرية الفردية من خلال ما طرحته من أفكار ومعتقدات مستندة إلى أفكار آدم سميث وريكاردو (دعه يعمل دعه يمر) ولكن بنفس الوقت أهملت التوجه الإنساني للناس الفقراء ولم تنصفهم، والفلسفة الثانية هي الماركسية والتي تقدم على مبدأ الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج وبنفس الوقت مثلت الإبداع الفردي والحقوق الفردية، وصبح هناك صراع بين هاتين الفلسفتين انتهت بسقوط الفلسفة الماركسية عام ١٩٩٠، وذكر ذلك (فاكويما) في كتابه نهاية التاريخ .

إن التطور الرأسمالي المعاصر قد أنتج فكرة عدم اعتماد الحدود القومية لمصالح القوى الكبرى، حيث لم يعد مفيد لهذه القوى تنمية اقتصادها وإدارتها إلا في إطار عالمي يساعدها في ذلك الاختراق الثقافي لدول الجنوب على ضوئ معطيات الواقع الاقتصادي والتكنولوجي الذي أفرز بضائع ومواد مكسبه تبحث عن سوق عالمية للمدخرين.

(٢٢) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٢٣) محمد سليم العوا / الحرية في أصولها الإسلامي / الانترنت <http://www.cdhrap.net>.

(٢٤) جورج سبين، تطور الفكر السياسي، الكتاب الأول، ط٤، القاهرة، دار المعارف، مصر.

١٩٧٢، ص١٧٤.

## ثانيا : عولمة حقوق الإنسان :

إن ظاهرة العولمة ومنها عولمة حقوق الإنسان ليست ظاهرة حديثة وليست وليدة عصرنا الحاضر بل لها أصول تاريخية ويمكن لنا إن نجدها منتجة في تطور الرأسمالية الصناعية الحديثة وقبلها ظهور تنظيمات الدولة ومؤسساتها فتمثل ذلك في القرون التاسع عشر وكان استعماريا عسكريا، والقرن العشرين وكان إمبرياليا سياسيا وإن القرن الحالي سيكون بغطاء اقتصاديا علته الحالة الإنسانية كضياع الحقوق الإنسانية وحجبه فرض نظاما سياسيا ديمقراطيا للشعوب.

إلا إن ما يخص حقوق الإنسان فإن العولمة قد تكون أكثر وضوحا بعد نهاية الحرب الباردة وشيوع الأسلحة النووية والذرية حيث زادت كثيرا الحركات العالمية والمؤسسات التي تنادي بالحقوق الفردية للمدنية وأصبحت أكثر وضوحا وزاد الاهتمام بالمجتمع المدني العالمي والمواطنة العالمية مكونا ما نسميه الآن بالنظام العالمي الجديد، الذي تهدم فيه حائط برلين ومعه منظومة أوربا الشرقية ومن ثم الاتحاد السوفيتي حيث انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بقوة عظمى هيئت الأجواء لإيجاد نظام اقتصادي جديد، وهيمنت الولايات المتحدة على النفط العالمي وهوام مصدر من مصادر الطاقة فأصبحت تحكم العالم بمشيتها وبهذا تهدمت الأسوار التي كانت تحمي بعض الأمم من تيار العولمة، وانتهت عزلة كثير من دول العالم وخاصة دول أوربا الشرقية والصين، فاندمجوا راغبين أو مضطرين إلى الدخول إلى تيار العولمة ومن إفرازات ذلك زيادة السلع والخدمات في العالم، زيادة السكان، تبادل المعلومات والأفكار وأصبح عنصرا غالبا في العلاقات الدولية، وتوسيع الشركات متعددة الجنسية وما حصل من تغيير ملحوظ في مركز الدولة بعد نمو العلاقات بين المجتمعات<sup>(٢٥)</sup>. ومن خلال رصد كتابات المفكرين في هذا المجال نجد إن هناك الكثير من الأفكار التي تدور حول مفهوم العولمة فيما يخص الإنسان في عموم الأرض وعلى اختلاف الأنظمة السياسية منها فيما يخص البعد الاقتصادي. للعولمة وما يتأثر المجتمع بالمؤثرات الاقتصادية غير المعهودة في السابق ومنها البعد الثقافي حيث ظهور مفاهيم ووعي وإدراك وقناعان ووسائل ثقافية متنوعة سوقت كسلعة تجارية، وفيها أيضا البعد السياسي الذي تمثل في هيمنة القطب الواحد على مجمل القضايا السياسية العالمية وأيضا البعد الاجتماعي الذي يستوضح من خلال بروز المجتمع المدني العالمي وعموم القضايا الاجتماعية الإنسانية والتي تجسد العولمة الاجتماعية<sup>(٢٦)</sup>. وهناك ملاحظات

(٢٥) د. جلال أمين - العولمة والدولة / بحث في العرب والعولمة / ط ١ / بيروت مركز دراسات الوحدة العربية / ١٩٩٨ / ص ١٥٥ .

(٢٦) عبدالله عبدالله / في كتاب ( العرب والعولمة ) مصدر سابق / ص ٥٢ .

عامة تخص العولمة لا بد للبحث انه يشير لها عند الكتابة عن موضوع مهم كموضوع العولمة فيما يخص حقوق الإنسان وعلاقة ذلك بالنظام السياسي الدولي الجديد فنلاحظ: أولاً : تقلص سيادة الدولة في عصر العولمة واتحسار قوة الدولة لاسيما في البلاد الأقل نمواً حيث تحولت الدولة في نظر الكاتب ( سمير أمين ) من دولة نامية إلى دولة قاصرة لأنها تعمل سياسياً واقتصادياً واجتماعياً تحت وصاية دول كبرى<sup>(٢٧)</sup>.

ثانياً : إن العولمة تعني فيما تعنيه إذابة الدول الوطنية وإلغاء الحدود القومي في المجالات الاقتصادية والمالية والتجارية<sup>(٢٨)</sup>.

ثالثاً : في زمن العولمة هذا يسود الأمر الدولي بدلا من سيادة الدول ذاتها . رابعاً : تقوم على مبدأ طمس السيادة وحمايتها والإيتاء ببدائل عنها هي الديمقراطية - حقوق الإنسان-حرية السوق).

خامساً : ظهور ظاهره الإخضاع العسكري بدلا من الحرب الباردة . سادساً : ظهور المفاهيم الجديدة (الإرهاب) (موجات الهجرة) (الحد من التسليح) (مراقبة التسليح).

أن من المظاهر السياسية للعولمة هو اهتمامها الكبير لمسألة مهمة إن مسائل العصر وهي قضية حقوق الإنسان التي اعتبرت مسألة عالمية وأضحت مقاييس شرعية أي نظام حكم بمدى التزامه واحترامه وتطبيقه لهذه المسألة وهذا ما نلاحظه من الكم الهائل من المعاهدات والاتفاقيات والعهود الدولية والتي كان أبرزها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أصبح يمثل المرجعية الدولية لحقوق الإنسان، كما شكلت لجان ومزق عمل متعددة مختصة بحقوق الإنسان في الأمم المتحدة واحتلت هذه اللجان واليات عملها تقلا نوعيا وكما مهما في دبلوماسية الدول وذلك للدور المتنامي لقضية حقوق الإنسان في السياسة الدولية كما شكلت محاكم دولية حيائية لمحاكمة منتهكي حقوق الإنسان<sup>(٢٩)</sup>. وكما ذكرنا في المباحث الماضية فإن هذه القضية أصبحت من القضايا المهمة والأدوات الأساسية في نطاق الاستراتيجيات الدولية، حيث أصبحت قضية حقوق الإنسان ذريعة كما هو الحال في الديمقراطية، ومسألة الأقليات، وقضايا أخرى كحجة التدخل في الشؤون الداخلية لكثير من الأنظمة السياسية، فأصبحت إعداد التقارير السنوية عن انشطا كانت حقوق الإنسان في كل دول العالم، وتتبعها أدانه أمريكية ومن ثم تصبح ادانه عالمية، مما يضيف الشرعية لتدخل تحت هذه الذرائع

(٢٧) محمد محمود الامام / تعقيب على بحث جلال امين / العولمة والتحولت الاجتماعية ص ٨٨ .

(٢٨) المصدر نفسه ل ص ١٠١ .

(٢٩) باسل يوسف/دبلوماسية حقوق الانسان المرجعية القانونية والآليات بغداد/بيت الحكمة/٢٠٠٢ ص ١١٠ .

الإنسانية، وهذا ما أكدته تقرير السكرتير العام للأمم المتحدة (خافير دي كويلار) بمقولة "بأن الالتزام الأخلاقي للدفاع عن المضطهدين يجب أن تكون له الأفضلية فوق احترام الحدود والوثائق القانونية"<sup>(٢٠)</sup> وأيضا هذا الكلمة اتفاقية برلين عام ١٩٩١ عندما جعلت أحقية الدول الاعضاء في المؤتمر بأن تتدخل لوضع حد لانتهاكات حقوق الإنسان والقوانين الدولية داخل أي دولة عضو في المؤتمر، كما أقر حق التدخل في الشؤون الداخلية من خلال التقرير السنوي للأمين العام للأمم المتحدة في عام ١٩٩١<sup>(٢١)</sup>، ومشروع كوفي عنان عام ١٩٩٩ الذي يسمح بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول باسم الأمم المتحدة تحت ذريعة حماية حقوق الإنسان<sup>(٢٢)</sup> ومن هنا نرى إن مسألة حقوق الإنسان أصبحت مسألة عالمية أصبح فيها التدخل في شؤون الدول تدخلا إنسانيا وعرف هذا على أنه التهديد العسكري أو التدخل العسكري الفعلي من قبل دولة أو مجتمع محارب بهدف حماية حقوق الإنسان<sup>(٢٣)</sup> وما كان في البوسنة والهرسك وكوسوفو وأفغانستان، إلا شاهد ودليل على ذلك وما الحرب على العراق بحجة أسلحة الدمار الشامل وتحت ادعاء مساعدة الشعب العراقي وتخليصه من الدكتاتورية المتسلطة إلا دليل وحجة أخرى لهذا الأمر. وصفوة القول إن هناك ذرائع كثيرة ومتعددة تسعى لها دول الشمال ضد دول الجنوب لكي تحقق الهيمنة والنفوذ والسلطة، والتطبيق العملي لهذه الذرائع هو الوصول إلى حكومة مركزية عالمية تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وتلغي فيها سلطات الدول الإقليمية والقومية والوطنية.

- (٢٠) ضاري رشيد ياسين / سياسة التدخل الأمريكي في العالم / قضايا شرم أو سطوية / مركز دراسات الشرق الأوسط / الأردن ١٩٩٩ ص ٤٤  
(٢١) د. رياض عزيز هادي / العالم الثالث والتنظيم الدولي الجديد / آراء ومواقف دار الشؤون الثقافية / بغداد / ١٩٩٢ ص ٢١٠  
(٢٢) رعد كامل الحياي / نظريات معاصرة في الصراع الحضاري / ١ / شركة الخنساء بغداد / ٢٠٠٢ ص ٦٥  
(٢٣) حسين مصطفى احمد الجنابي / الوضع الدولي الجديد والعلاقات على القضايا القومية / رسالة ماجستير غير منشور / الجامعة المستنصرية / ٢٠٠٣ ص ٧٥



### المبحث الثالث

### تحليل الفكر السياسي لحقوق الإنسان والعولمة

أولاً: الجانب الفلسفي :

في خضم الظروف التي يعيشها العالم اليوم هناك من يتحدث عما يسمى (أخلاقيات العولمة) وما تفرزه هذه المسميات من تحديدات للمسؤولية في جميع مبادئ الفهم سواء كان هذا اتصالاً في مؤسسات المجتمع المدني (العولمة من أسفل) أم فني يعلق في عولمة السوق أو تحديث الاتصالات ووسائلها (العولمة من أعلى) ، ويجب أن يكون مدركاً أن السبيل الوحيد لتحقيق المثل العليا لتطبيق حقوق الإنسان في العالم الجديد في أن يكون البشر إمراراً ومتحررين من الخوف والفاقة وتهيئة الظروف الضرورية لتمكين كل إنسان من التمتع بحقوق الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والمدني، بما ينسجم والشركات الدولية التي برزت على الساحة منذ ظهور هذا المفهوم على وجه البسيط وإلى أن وضعت لهذه الشركات حماية قانونية . إن الدعوة إلى العولمة ذا بعد أيديولوجي فهي تدعم وتبرر دعم دول الأيديولوجيات ونضوجها في العالم بكل دالاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وفي نفس الوقت يبرر الوقوف ضد أيديولوجيا بعينها وهذا يعني أن العولمة تتجاهل البعد الأيديولوجي للأمر وتطمس أيديولوجيته وتشوه صورته الحقيقية وتعطي لنفسها الأسبقية في هذا المجال بذرائع شتى تختلقها من خلال نزع الشرعية عن أية أيديولوجيا واكسبها لنفسها بعد الإيهام بتحرير منظومتها من الأيديولوجيا، ففي التوجه الليبرالي تنتهي الأيديولوجيا باكتشاف البشرية أحلام العدالة والحرية والمساواة وهي متطلبات حقوق الإنسان ، فالعولمة هي أيديولوجيا تؤمن بنهاية القومية وإلغاء الحدود والقضاء على سيادة الأوطان والأمم وتكوين إنسان جديد ذا هوية عالمية بعيدة عن خصوصياته واتجاهاته العقائدية والدينية وما هي سوى قناع يخفي مساعي فرض الهيمنة على العالم كله، وبرزت الحاجة للرأسمالية للبحث في وضع جديد يساعدها في استئناف عملية التراكم الرأسمالي، وما العولمة هنا الاستراتيجية استعمارية للهيمنة على اقتصاديات العالم وتقادي انهيارها الاقتصادي وهذا يتفق مع توجهات الرأسمالية بعد أن فشلت مدارسها الاقتصادية في حل أزمة الركود التي تعيشها منذ ربع قرن<sup>(٣٤)</sup>. وعليه فإن العولمة هي نموذجاً عالمياً للهيمنة في بنية العميقة ويكرس الموقع

(٣٤) عبد علي عبد الحافظ / العولمة / مجلة دراسات اقتصادية / العدد ( ١ ) سنة ( ٢ ) بيت الحكمة بغداد / ٢٠٠٠ ص ١٩ .

المتميز للولايات المتحدة التي اعتمدت للنظام الرأسمالي طريقا لنموها وبلورتها<sup>(٢٥)</sup>، وبهذا نفهم ان العولمة لم تكن تطورا عفويا تلقائيا لقوى معقدة شديدة التنوع وإنما عمل هام لمؤسسات اقتصادية للنظام الرأسمالي العالمي ، فالعولمة تعني الأمركة " إذا ما فهمت على أساس من ارجحية المساهمة الأمريكية في الإنتاج الثقافي المعنوي الذي يملأ الفضاء العالمي الجديد الذي أنشأته ثورة المعلومات<sup>(٢٦)</sup> .

### ثانيا : الجانب السياسي :

في الوضع العالمي الجديد فإن الدعوة نحو احترام حقوق الإنسان هي عنصر أساسي في التوجه الفكري السياسي والأيدولوجي رغم ان هذا التوجه ليس يحدث العهد وإنما هو قديم جراء اتصالات إنسانيه ونضال طويل تكرس فيه الكثير من العهود والصكوك والمواثيق والإعلانات وأنشئت فيه منظمات وهيئات هدفها الدفاع عن حقوق الإنسان وحمايتها، كما أدخلت هذه في كثير من وسائر الدول، إلا إن رغم كل ما صدر عن هذه المنظمات والهيئات بقي كلمات مكتوبة عن الملفات وأوراق العمل لان العالم يعيش اليوم انتهاكا كبيرا لحقوق الإنسان ليس فقط في الدول الضعيفة ولكن حتى تلك الدول التي تدعي الديمقراطية ولها القدرة على الهيمنة والوصاية على العالم والإنسانية، ففي الوضع العالمي الجديد نرى إن هناك تيارين في المسار السياسي والفكري لهذا النظام الذي هو نتاج العولمة هما التيار الديمقراطي وفقا للفهم العام لهذا المفهوم وهو مأمون الجانب إذا ما كان هذا المفهوم قد اعتمد ليكون أساسا للنظام السياسي والآخر محفوف بالمخاطر والانتكاسات والعودة إلى نقطة البداية وهي الدكتاتورية والتي يخشى إن تدفع بلدان العالم الثالث نحوها دفعا، رغم إن هناك توجه بشأن موضوع هذه البلدان بشكل ايجابي نحو الديمقراطية في بلدان محددة الا أن ظواهر التفتت والتشرد في جو من الفوضى الدولية الجديدة، وإظهار مسألة حقوق الإنسان والديمقراطية كوسيلة للاستعمار المباشر وتفجير المشاكل والأزمات المرشحة عرقيا لأستخدامها في التكوينات السياسية المعاصرة في ظل سيادة مفاهيم العولمة الجديدة، إضافة إلى تغيير القيم المجتمعية وبتجاهات مختلفة سواء كانت سياسية او ثقافية او اقتصادية او تحت مسميات العلمانية او العلمانية او الأصالة المعاصرة ، والحداثة والتقليد، والوافد والموروث، أظهرت لنا كل هذه كثير من الحالات كاصفاف وتهميش الدولة وانهيار العمل السياسي للمنظم، وانهيار آليات لقتصاد السوق، وظهور

(٢٥) عز الدين اسماعيل/العولمة وإزمة المصطلح/مجلة العربي/العدد (٤٩٨) الكويت / ٢٠٠٠ ص١٩٧ .

(٢٦) برهان غليون، سمير امين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٩٩، ص٤٦ .

حالة التفاوت في الثروات والمدخل، وتقوية النظام للطائف وانحياز الثقافة السياسية المعتمدة على مفاهيم الصالح العام وزيادة في هموم الناس بحثاً عن لقمة العيش الرغيد<sup>(٣٧)</sup>، وتعد العمولة من جانبها السياسي مرحلة تطوير لاحقة للعمولة الاقتصادية والثقافية لأن عمولة الدول قد يكون مشروع مستقبلي، وإن قيامه ليس من السهولة كما يقوم عالم بلا حدود اقتصادية وثقافية<sup>(٣٨)</sup> فيكون الجانب السياسي فيها متحوراً بالنظام العالمي الجديد الذي ينشر مفاهيم الديمقراطية الليبرالية، مبعداً ورفضاً السلطوية أو الشمولية في الحكم، متبنياً التعددية السياسية وملتزماً بمبادئ ومبادئ حقوق الإنسان في العالم والحماية الدولية للأقليات والتدخل الدولي الإنساني وغيرها من آليات النظام الدولي الجديد<sup>(٣٩)</sup> ومثلما نرى هناك تتدخل في الشؤون الثقافية والقومية والوطنية وسمي الاختراق الثقافي كذلك هناك اختراق سياسي للأنظمة الوطنية من خلال التدخل في شؤونها باسم الشرعية الدولية، وباسم حقوق الإنسان للديمقراطية، حيث تم تدويل بعض القضايا الوطنية إلى طورها العالمي بحجة أن هذه القضايا لا يمكن أن تحل إلا بأجراء عالمي جماعي، مثل مكافحة أسلحة الدمار الشامل والاتجار بالمخدرات، والإرهاب، وانتهاك حقوق الإنسان وغيرها والقضية بمجملها أن مجلس الأمن ومنظمة الأمم المتحدة قد اتسعت في مجالات عملها وصلاحياتها في التدخل في الشؤون الداخلية للدول بدعوى منع الانتهاكات لحقوق الإنسان وحماية السلم والأمن الدوليين والضرورات الإنسانية، وتزايد واتساع صلاحيات ونشاطات الأمم لو اتحدت فيما يتعلق بالمراقبة ونقصي الحقائق أو فرض عقوبات معينة على الأنظمة السياسية وأحياناً زعامات بعينها، ولو عرجنا على النظام السياسي العربي نجد أن الاتهام في ميدان الديمقراطية وحقوق الإنسان وفق المفهوم الأمريكي للعمولة يعطي شعوراً متزايداً في نية الضغوط والتدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية والتعامل معها بازواجية واختراق أنظمتها السياسية لتحقيق مصالح الدول المهيمنة السياسية والاقتصادية والأمنية<sup>(٤٠)</sup> كما حصل للعراق والضغوط على سوريا وليبيا والسودان بالوقت الحاضر.

(٣٧) جورج قزم / القوى الدولية الجديدة / في كتاب العرب وتحديات النظام العالمي بيروت / مركز دراسات الوحدة العربية / ١٩٩٩ ص ٩٨ .

(٣٨) عبد الخلق عبد الله / العمولة / مصدر سابق ص ٨٦ .

(٣٩) سيد ياسين / مفهوم العمولة / ندوة ( العرب والعمولة ) ط ٣ / مركز دراسات الوحدة العربية / بيروت / ٢٠٠٠ ص ٣٢ .

(٤٠) نيا موسى سلمان / العمولة تأثيراتها المستقبلية على الامن القومي العربي رسالة ماجستير غير منشورة / الجامعة المستنصرية / ٢٠٠٣ ص ٨٧ .

### ثالثا: الجانب الإستراتيجي

ان المرحلة الانتقالية التي وضعتها للولايات المتحدة الأمريكية والتي بدأت منذ عام ١٩٤٧ وإلى عام ١٩٩١ كان تحولاً جديداً في مشروعاتها في الهيمنة على العالم، فبعد الحربين العالميتين الأولى والثانية بدأت تبشر بنظام دولي جديد لها الدور الفاعل فيه في الأحداث العالمية، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي الذي أدى إلى انتهاء الحرب الباردة وتهيئة فرص سانحة للولايات المتحدة الأمريكية لم تكن مسبقة في مضامينها وأبعادها، وقد أوضح نكسون " فلدينا فرصة تاريخية لكي نعيد ترتيب العالم "، ومتفائلاً عن إمكانية الولايات المتحدة بقيادة العالم ويمكن للعالم أن يتبع خطاها<sup>(٤١)</sup> كما أنه أعطى النصح الإستراتيجي فيما إذا أرادت<sup>(٤٢)</sup> أمريكا أن تبقى دولة عظيمة " فإن ما تحتاجه اليوم هو رسالة ما وراء السلام " ومن هذا نفهم أن الأمركة والسدوة إلى العولمة يعتبران مشروعاً إستراتيجياً للسيطرة والإخضاع وتعميم الثقافة الأمريكية بعد أن صار واضحاً أنها الدولة العظمى قوة وقدرة وتسليحاً حيث أوضح بوش الأب أن القرن القادم يجب أن يكون أمريكياً، "ولا بديل للقيادة الأمريكية"، وقول نيكسون قبله "يجب على أمريكا أن تقود العالم"<sup>(٤٣)</sup>، من هذا أن بعد إستراتيجياً للعولمة قد تجسد من خلال تجاوز الجانب الاقتصادي إلى مرحلة هامة في إطار تطبيقاتها نحو تغيير الحياة في العالم تلك جوانبها من هيمنة الرأسمالية الأمريكية والثقافة الأمريكية وأنماطها الإستراتيجية والاستهلاكية ومن توجهات قادة الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(٤٤)</sup> بضرورة خوض المعركة الأيديولوجية على كل الساحات ابتداء من حقوق الإنسان إلى تصدير النمط الأمريكي بجعلنا نفهم أن الأمركة والعولمة ومتطلبات حقوق الإنسان هي ليست أسطورة بل حقيقة مادية وخطراً إستراتيجياً يهدد الاستقلال الاقتصادي والسياسي لدول العالم ويهدد هويتها ويمس الثقافة بمعناها العام وكل ما ينطوي في فكر الإنسان من تصورات ونظريات وممارسات وتعميم ثقافة عالمية فيها النموذج الأمريكي هو الإطار العام بوصفه ثقافة عالمية كونية<sup>(٤٥)</sup> ومحاولة للترويج لها وزعزعة القناعة بالثقافات الوطنية وبالتالي السيطرة على الإدراك ومن ثم إخضاع النفوس من خلال تعطيل العقل وتكليف المنطق، وهذا ما أكدته كتاب أمريكان وإستراتيجيون ومحلون غربيون منهم

(٤١) ريتشارد نيكسون، الفرصة الماسحة، ترجمة احمد صديقي مراد، دار الهلال القاهرة ١٩٩٢، ص ١٩.

(٤٢) ريتشارد نيكسون / ما وراء السلام / الاهلية لنشر والتوزيع / عمان / ١٩٩٥ / ص ١٩ .

(٤٣) المصدر السابق، ص ٩.

(٤٤) د. لطيف كريم محمد / مصدر سابق ص ٥٢ .

(٤٥) د.حسين علوان حسين، العولمة الثقافية والثقافة العربية، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي، العاني ٦-٧مركز دراسات وبحوث الوطن العربي، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٩٩ ص ٩١.

(فاكو ياما) في كتابه نهاية التاريخ، والبروفسور (صموئيل هنتكتون) في كتابه صدام الحضارات.

#### الخاتمة:

لا ريب أننا ندخل عصرا جديدا في بداية القرن الحادي والعشرين، فيمثل هذا العصر في ضرورة قد حسمت لصالح نظام القطب الواحد. وإن هذا الحسم لم يكن حتى عسكريا واقتصاديا وحضاريا فصحب بل وفي تصورنا المتواضع هو بزرع فكر سياسي جديد نستطيع ان نسميه (الفكر السياسي للعالم ما بعد العولمة) يحول هذا الفكر ان يجسد شرعيته ويرسخها ليس في الانجازات القديمة والاقتصادية والسياسية والإعلامية وإنما في أدق المواضيع اهتماما وتأثير في النفوس والعقول إلا وهو موضوع (حقوق الإنسان).

وعلى فقد ركز (إدارة العولمة) على هذا الجانب باعتباره بشكل هما وقاسما مشتركا لكل الشعوب بغض النظر عن جنسيتهم ودينهم وطافتهم او انتمائهم الاثني او السياسي.

وبناء على ذلك فإن النتائج والتوصيات التي توصلنا اليها في هذا البحث المتواضع هي :

١. بالرغم من ان حقوق الإنسان قد تصطدم بالعولمة او تنقطع معها، إلا أن الإلية التي استخدمها إدارة العولمة غالبا ما تستغل حقوق الإنسان كمبرر للهيمنة والنفوذ والسلطات .

٢. أن العناصر الجيوبوليتيكية للهيمنة هي عناصر قوية جدا ولا يمكن مقاومتها في ظل النظام الدولي الراهن وتحالفاته وأسلوب عمله المؤثر والدقيق .

٣. أن الفكر السياسي لعالم العولمة وحجته وحقيقته القوية جدا (قوى دولية كبرى وقوى العظمى) تستخدم (المسألة الديمقراطية، حقوق الإنسان، حقوق الأقليات، مسألة الفقر، العدالة .....). تشكل هذه المطالبة او تكتسب شرعية محلية وإقليمية ودولية والرأي العام الدولي والوطني مع هذا التوجه وعالية يفترض التعامل بعقلانية مع هذه المطالبات حتى وإن نادت بها إدارة العولمة بعبارة أخرى ان تدخلها المجتمعات المحلية باختيارها ولكن قبل دخولها يفترض ان تعلم ما لها وما عليها وإن تكون هناك عولمة على مستوى جغرافي معين قبل الدخول في العالم الفسيح للعولمة. ومن باب أول للعرب أن يحددوا (فكر سياسي عربي جديد) قبل الانجراف مع الفكر السياسي لعالم العولمة وما بعده لكي يستفيدوا من امتيازات العولمة أولا، ولا تضيع هويتهم ثانيا.



## معنى الديمقراطية ومعوقات قيامها العراق (اموطجا)

الاستاذ المساعد الدكتور

عزيز جبر شيال

كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

### المقدمة

يتوقف مسار الديمقراطية في أية دولة على التجربة السياسية لتلك الدولة وما أدت إليه من محصلة في مجال المشاركة السياسية وحقوق الإنسان والأمن والتنمية، كما يتوقف على نوعية البنى الراهنة في كل من الدولة والمجتمع، ومن هنا فإن البحث في الديمقراطية برؤية مستقبلية لتعزيز المساعي الديمقراطية لأبد من أن يجري في إطار كيان سياسي يتحرك فيه الأفراد والجماعات ويتفاعلون ضمن إطار منظومة قانونية وأعراف تقليدية وظروف عامة تخص ذلك الكيان وتحدد علاقة الحاكم بالمحكوم وتؤثر على علاقة السلطة بالمجتمع والتفاعل بينهما. إن هذه المجموعة من الفرضيات تثير مجموعة تساؤلات سيحدد على ضوئها مسار بحثنا هذا والتي يمكن إجمالها بالآتي:-

١. ما هو مفهوم الديمقراطية المعاصر؟ وهل يتعلق هذا المفهوم بالمشاركة في الحكم أم يتجاوزها إلى التداول على الحكم؟
  ٢. ما هي الأسباب التي أدت إلى إعاقة الديمقراطية في العراق؟
  ٣. كيف السبيل لإقامة مجتمع ديمقراطي في العراق؟
- إن الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها تمثل محاولة متواضعة من جانبنا للإسهام في المسيرة الديمقراطية التي يسعى إليها مجتمعنا والتي دفع في سبيل إرسائها آلاف الضحايا.

## الفصل الأول في معنى الديمقراطية

الديمقراطية مصطلح شائع الاستعمال منذ عصور موعلة في القدم، وبقدر تعلق الأمر ببحثنا سنحاول تجنب الغوص في تفاصيل هذا المصطلح وتأصيله، بيد أنه لا بد من التأكيد على حقيقة مهمة وهي عدم وجود تعريف مانع جامع لها وذلك لكون هذا المصطلح يأخذ تحديده من خلال المضمون العقائدي لزمان ومكان استخدامه إضافة إلى شكله التطبيقي، إذ لو كان للمصطلح مضمون عقائدي وشكل تطبيقي واحد لما انتشر الحكم الديمقراطي وتكيف مع مختلف الثقافات دون أن يصطدم مع جوهر عقائد المجتمعات وقيمها المختلفة.

إن الديمقراطية المعاصرة تغلب عليها صفة المنهج فهي في المقام الأول نظام حكم ومنهج سلمي لإدارة أوجه الاختلاف في الرأي والتعارض في المصالح، ويتم ذلك من خلال إقرار وحماية وضمان ممارسة حق المشاركة السياسية الفعالة في عملية اتخاذ القرارات الجماعية الملزمة للجماعة السياسية بما في ذلك تداول السلطة عن طريق الانتخاب وفق شرعية دستور ديمقراطي<sup>(١)</sup>.

إن عدم وجود تعريف جامع مانع للديمقراطية صالح لكل زمان ومكان لا ينفي أن الديمقراطية لها قوانين (قيم تتجلى في مبادئ ومؤسسات وآليات وضمانات الدستور الديمقراطي كما أن للديمقراطية قيم لا بد من مراعاتها وهي الحرية والمساواة والعدل والتسامح)<sup>(٢)</sup>، وأن هذا الفهم يقودنا إلى أن البحث في موضوع الديمقراطية لا نريد منه أن يكون بحثاً نظرياً خالصاً يستهدف الكشف عن ماهية الديمقراطية وخصائصها وطبيعتها وإنما هو بحث نظري تقوده خلفية عملية تتطرق من مسلمة أن الديمقراطية مصطلح تجاوز الحدود الجغرافية الضيقة وبيئة النشأة وافتتح على الفضاء العالمي الرحب متجاوزاً التربة التي أنبتته لينسب في أطراف الأرض مشرقاً ومغرباً وهو ما يتيح الاستفادة منه في تنظيم حياتنا السياسية.

إن تجنبنا الخوض في النقاش النظري الخالص حول الديمقراطية ينبع من القناعة الراسخة بأننا أمام مشكلة عملية بالأساس ولنا نحتاج إلى تفكير عملي يدرك أهمية البحث في الأسس دون أن يغرق فيها، ولا يختصر الظواهر في أبعادها النظرية بغض

(١) Robert A. Dahl, Democracy and its criteria's, New York Yale University Press, 1989, pp. 1-9.

(٢) علي خليفة الكواري ((تحو رؤية مستقبلية لتعزيز المساعي الديمقراطية في إطار مجلس التعاون لدول الخليج العربية)) مجلة المستقبل العربي العدد ٢٦٧ - ١١ مايو ٢٠٠١ ص ٢٦٧ ١١ مايو ٢٠٠١ ص ٩.



النظر عن خلاصاتها الواقعية ويركز اهتمامه على فهم الواقع وتغييره بالقدر الذي يمكنه من دون مغالاة أو تعسف.

ان نظرتنا إلى الديمقراطية باعتبارها منهج أو أداة قابلة لان تكون أداة مجردة من حمولتها الثقافية والعقائدية المباشرة التي ارتبطت بها في التجربة التاريخية الغربية وقابلة لان تصبغ بصبغات ثقافية وحضارية عديدة، ومن هنا يصبح للحديث عن عالمية مفهوم الديمقراطية معنى جديدا يضيف له أبعادا أخرى تغنيه بتجارب جديدة تجري على قاعدة مرجعيات أخرى غير المرجعية الغربية إذ ان النظر إلى الديمقراطية باعتبارها منهجا أو آلة أو قالباً فارغا يتقبل مضامين مختلفة باختلاف حضارات العالم وثقافته سيجلبنا الكثير من الصراعات الهامشية في عملية تبني الديمقراطية في بيئتنا العراقية ذات المرجعية الإسلامية.

وتقوم الديمقراطية من حيث المبدأ العام على خمسة أركان أساسية وهي:-

ممارسة السلطة العامة من قبل ممثلين منتخبين في انتخابات حرة وعامة أي الاعتراف بالسيادة الشعبية.

تكريس دولة القانون التي تتضمن احترام القانون وتطبيقه بالتساوي على جميع أفراد المجتمع صغيرهم وكبيرهم غنيهم وفقيرهم.

تأمين العدالة الاجتماعية من خلال نظام للتكافل والتصحيح يضمن عدم تعسف الأغلبية الاجتماعية ثقافيا وسياسيا.

ضمان الحريات الفكرية والسياسية والتظلمية.

إدارة مسؤولة وذات كفاءة.

ان الأركان المذكورة أنفا تمثل الديمقراطية باعتبارها وعاءاً يمكن ان تملأه الشعوب بما تراه مناسباً لقيمتها الثقافية والاجتماعية وهنا لا بد لنا من ذكر المقومات الاجتماعية أو المرتكزات التي يستند إليها نظام الحكم الديمقراطي سواء كان في شرق العالم أو غربه شماله أو جنوبه وهذه المرتكزات هي:<sup>(٣)</sup>

اعتبار المواطنة مصدر الحقوق ومناطق الواجبات.

الإقرار بان الشعب مصدر السلطات.

الاحتكام إلى شرعية دستور ديمقراطي.

قيام مجتمع مني ولمو رأي عام معنيتير.

(٣) خالد الحسن - إشكالية الديمقراطية والبدل الإسلامي في الوطن العربي. أوراق سياسية ١٤ - دار الجيل - عمان ١٩٨٨ ص ١٤٩ - ١٥٠.

وللمزيد من التفاصيل يصدد تعريف الديمقراطية انظر: د. عبد الجبار احمد عبد الله ((الديمقراطية الأمن القومي العربي)) مجلة العلوم السياسية - كلية العلوم السياسية جامعة بغداد - العدد ٢٧ السنة الرابعة عشر كانون الثاني ٢٠٠٣ ص ٥٦ - ٥٨.

٥. تحول الديمقراطية إلى قيمة اجتماعية ومعيار أخلاقي.

وبما أن مجتمعنا يفتقر إلى التجربة الديمقراطية نرى أن علينا أن نوضح هذه المرتكزات إذ أن كثير من المواطنين يردد مفهوم الديمقراطية بطريقة أو بأخرى تبعاً للثقافة الفرعية التي ينطلق منها في تحديد موقفه من المجتمع والحريات وفقاً لمعطياتها حيث لم تصبح الديمقراطية قيمة اجتماعية عامة تحدد على ضوءها مواقف المجتمع العراقي بتكويناته المختلفة، فالديمقراطية مثلها مثل أي فكرة وممارسة نبذة تاريخية نشأت ربما في حضن مدنية معينة في المرحلة الأولى، لكن شيئاً لا يربطها ربطاً حتمياً ولا نهائياً بهذه المدنية وإنما هي ثمرة حضارية تشارك فيها جميع المدنيات تماماً كما أن الكمبيوتر نشأ في حضن المدنية الغربية لكن لا شيئاً لا يمنع الصيني والعربي والأفريقي من إدراك القيمة العلمية والنجاعة العملية لهذا الاكتشاف وقبّل عليه ويطمح إلى السيطرة على تقنيته ويكون من أكثر الناجحين في العمل عليه، وطالما ليس هناك وجود لديمقراطية جاهزة ولا ناجزة ولا نموذجية في أي مكان فأي بناء لديمقراطية محلية هو تجربة تاريخية خاصة وإبداعية، مثل أي تجربة إبداعية يستدعي النجاح فيها تشغيل المخيلة وتجذب الحلول المعروفة واكتشاف الآليات الناجعة في الظرف المعين تبدو صعبة ومعقدة تحتمل التقدم والتراجع والفشل والنجاح، فإعادة توزيع السلطة في أي مجتمع من المجتمعات ليست قضية نظرية ولا إيمانية ولا ثقافية ولكنها تستدعي معركة حقيقية ذلك أنها تمس مصالح فئات وطبقات حية وموجودة على الساحة وقادرة على الحركة والقتال للدفاع عن مكتسباتها وإن تكريس الحريات السياسية ليست مسألة أخلاقية أو قيمية ولكنها مسألة مرتبطة مباشرة بالتوزيع المادي للموارد فمتى ما تمكن المواطنون من حرياتهم السياسية صار بإمكانهم الاعتراض على الاستخدام الاحتكاري لهذه الموارد من قبل نخبة دائمة وقائمة سواء أكانت أرستقراطية ملكية أو ثورية جمهورية<sup>(٤)</sup>.

إن تجربة العراق الديمقراطية تجربة مشوهة حيث لا يزال مجتمعنا يفتقر إلى نموذج من الحكم السياسي الحي القادر على بلورة حد أدنى من الإرادة الجمعية والتعبير عن المصالح المتعددة والمتباينة للمجتمع والعمل على تقنينها وتوفير الإطار المناسب للتوفيق فيما بينها وتجاوز تناقضاتها وحلها بطريقة سلمية وعلى الأخص في عهد صدام حسين حيث أدت الفترة التي حكم فيها العراق إلى تصفية سياسية مباشرة للتعددية الموروثة في الحقب السابقة ولم يكن من الممكن الحفاظ على الحكم المطلق من دون الدخول في حروب داخلية وخارجية مستمرة كان من نتائجها التدمير السياسي والمعنوي والاقتصادي للمجتمع والبلاد معاً.

(٤) د. بهان الدين غليون - معوقات الديمقراطية في الوطن العربي - بحث منشور على موقع الجزيرة في الانترنت بتاريخ ٢٠٠١/٩/٧ ص ١٤-١٥.

وفيما يأتي توضيح للأركان التي يستند إليها نظام الحكم الديمقراطي:

١. اعتبار المواطنة مصدر الحقوق ومناطق الواجبات: ويقصد بها أن يكون ولاء الفرد للوطن هو المصدر الأساسي لتمنعه بحقوقه إذ أن أية قيمة أخرى لا يمكن أن تمثل البديل لضمان العيش الكريم والأمن والمطمئن .. أن ديمومة الرابطة الوطنية تعبر عن نفسها بكونها تمثل أزمة في المجتمع إذ يجب أن يتوصل الناس في الدولة الجديدة إلى إقرار أن اقليمهم الوطني هو وطنهم الحقيقي، كما يجب أن يشعروا كأفراد بأن هويتهم هوية الدولة الوطنية وليست هوية الوحدات الاجتماعية الفرعية عرقية كانت أو دينية أو طائفية، وهو ما يتجسد من خلال سيادة الإحساس بالمواطنة والانتماء إلى هوية وطنية موحدة بين أبناء الوطن الواحد<sup>(٥)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا حالة الفساد السياسي التي سادت في العراق منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة وعلى الأخص الفترة التي تلت استيلاء صدام حسين على السلطة في العراق إذ تسمت بسمات أدت إلى تعطيل نمو الرابطة الوطنية لا بل أسهمت في تقنيت تلك الرابطة، حيث لاحظنا فساد الصفوة السياسية وقيامها على أساس من اعتبارات الانتماء العرقي والديني والطائفي وليس على الإنجاز والكفاءة والتفوق، وفساد الأجهزة التنفيذية وعجزها عن أداء دورها ووظائفها المرسومة لها بما يحقق الأهداف الاجتماعية ويخدم مصلحة المجموع فقد زادت الممارسات غير القانونية الأخلاقية كالرشاوى وتقاضي العمولات واختلاس الأموال العامة والعمل على إصدار قوانين تخدم المصالح الخاصة مما أدى إلى تقنيت داخلي لعموم البناء الاجتماعي وزيادة حدة مشكلة عدم الانتماء اجتماعياً وسياسياً وقومياً بكل ما يترتب على ذلك من تصاعد في حدة الصراعات الداخلية التي كانت أن تصل وبسهولة كبيرة إلى حرب أهلية حيث أدى القمع المتواصل للحركة الوطنية الكردية إلى ظهور نزعات انفصالية كان بالإمكان أن تتحقق لولا الوعي الوطني لقيادة الحركة الوطنية الكردية وجماهيرها ومتغيرات الوضع الإقليمي والدولي، كما أن التعامل غير المنصف والإجرامي مع بعض المذاهب والأديان وعلى الأخص المذهب الشيعي أدى إلى إضعاف الرابطة الوطنية ولولا الوعي الوطني للقيادات الشيعية لحلت بالوطن كارثة، وقد أثبتت الأحداث التي تلت احتلال العراق عمق الوعي الذي تتمتع به القيادات الوطنية بمختلف انتماءاتها وتوجهاتها في سعيها لتأكيد الرابطة الوطنية ووحدة العراق أرضاً وشعباً ونقد المرحلة السابقة ونيد سلباتها. ولغرض ديمومة هذا الزخم ينبغي السعي إلى المزيد من المشاركة في عملية رسم السياسات وصنع القرارات وبأبقي الفعاليات السياسية من خلال تكيف القوانين والإجراءات لاستيعاب هذا المطلب ناهيك عن معالجة الاختلال

(٥) د. علي عباس مراد - التنمية السياسية وأزمة المشاركة، محاولة بين تحديد المفهوم - بحث في مشكلات وتجارب التنمية في العالم الثالث - جامعة بغداد، ١٩٩٠ - ص ١٢٣.

الحاصل في نسب وأساليب توزيع الموارد والثروات والخدمات على وحدات المجتمع وأفراده، وتقليد أساليب النظام السابق في حرمان الناس من مصادر الرزق تحت مبررات واهية أو بحجة الانتقام بسبب موقف سياسي أو انتماء عقائدي أو عرقي أو حزبي. ان هذا لن يتحقق إلا من خلال ترشيده السلطة السياسية وعقلنتها وتحقيق مبدأ سيادة القوانين وإقامة دولة المؤسسات وتوسيع قاعدة المشاركة السياسية للمواطنين والسعي لمصالحة وطنية تنبذ الأساليب المتخلفة في التعامل مع الآراء المناهضة بحيث تؤدي إلى ان يقوم الفرد بالبحث عن ولايات تضمن له تحقيق ذاته وتسهل له تحصيل رزقه وتحفظ كرامته.

٢. الإقرار بان الشعب مصدر السلطات: ان الإقرار بهذا المبدأ ليس بالأمر الجديد في الفكر السياسي والاجتماعي والقانوني إذ عولج هذا الموضوع من قبل العديد من المفكرين والفلاسفة ويقوم هذا المبدأ على إقرار المساواة القانونية فيما بين أفراد المجتمع وعليه فان المساواة بين الأفراد تنحصر أي مبرر لسيطرة فرد على فرد آخر لأن السلطة في المجتمع لا تعود إلى فرد وإنما تعود إلى الجميع. وفي الحقيقة من اللحظة التي أصبحت فيها السلطة دنيوية بدا اصلها الشعبي أكثر انسجاماً مع العقلية العامة، وتبعاً لذلك أكثر فعالية وكان الأمر يقتضي آنذاك في الواقع إيجاد أساس يبرر طاعة الأفراد للسلطة من ناحية ومن ناحية أخرى إقامة حواجز تمنع ان تكون السلطة مطلقة استبدادية وكان الكابح الوحيد في الواقع الذي يحول دون انزلاق السلطة على طريق الاستبداد خارج نطاق إقامة المؤسسات السياسية هو هذا الاعتقاد الشائع في المجتمع لدى الحكام والمحكومين بان السلطة يجب ان لا تمارس إلا لمصلحة المجتمع ... وإذا كانت السلطة تأتي من الشعب فمن المنطقي إذن ان تمارس المصلحة الهيئة الاجتماعية أي سلطة الشعب ذاته ... والحكام وان مارسوا السلطة فانهم ليسوا سوى وكلاء عن الشعب فحسب ويستطيع ان يحاسبهم على كيفية قيامهم بوظائفهم إذا اقتضى الأمر<sup>(١)</sup>.

ان اعتبار الشعب مصدر السلطات تعني بالإضافة إلى ما ذكرناه تحقيق مساهمة واسعة للشعب بآرائه ومؤسساته المدنية وقواه السياسية في رسم السياسة العامة ووضع القرارات واتخاذها وتنفيذها وإعادة هيكلة وتنظيم بنية النظام السياسي وعلاقاته مما يتلاءم وصيغة المشاركة الأوسع للشعب في العملية السياسية وفعاليتها. وان هذه المشاركة هي التي تحدد شرعية السلطة السياسية فشرعية النظام إنما تتحقق بقبول الشعب بحق الحاكم في حق استخدام القوة لتطبيق القانون والنظام المتفق عليه اجتماعياً

(١) للمزيد من التفصيلات انظر د. نوري لطيف - القانون الدستوري - دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٦ ص ٦٦-٧٠ ود. صادق الأسود - علم الاجتماع السياسي - جامعة بغداد - ١٩٨٦ ص ٢٩٩-٣٠٠.

وسياسيا، ولن تكون هذه الشرعية قائمة ومتحققة ما لم يكن للشعب دور في اختيار الحاكم بما يؤكد رضاهم عنه وقبولهم به<sup>(٧)</sup>.

٣. الاحتكام إلى شرعية دستور ديمقراطي: لم يعد ثمة شك في أن الديمقراطية المعاصرة ممارسة مقيدة بدستور ديمقراطي يختلف من حيث طريقة وضعه وإقراره وإجراءات تدعيمه حيث يجب أن يتم وضع ومناقشة وإقرار الدستور الديمقراطي من قبل جمعية وطنية تأسيسية منتخبة انتخابا عاما حرا ونزيها وهذه نقطة البداية في عملية التحول الديمقراطي التي يجب أن تليها حصانة للشرعية تتمثل في حكم القانون واستقلال القضاء ونزاهته ممثلا في المحكمة الدستورية هذا إضافة إلى قدرة المجتمع المدني والرأي العام على إيقاف أي تعد للسلطة التنفيذية على الشرعية الدستورية<sup>(٨)</sup>.

إن جوهر السلطة ليس في وجود الدستور لأنه باستطاعة الأفراد كتابة أي نص دستوري على الورق فإذا لم يتلاءم والظروف الاجتماعية السياسية يصبح مجرد كلمات جوفاء لا حياة فيها<sup>(٩)</sup> لهذا فإن اعتماد صيغة الجمعية التأسيسية يتفق ومبدأ الشعبية فالشعب هو صاحب السلطة التأسيسية والدستور هو للتعبير عن هذه السيادة، وإن وسيلة الجمعية التأسيسية هي أكثر الوسائل ديمقراطية لإقرار الدستور حيث تمثل الهيئة المنتخبة لمختلف أوساط الرأي العام وتمكنهم من مناقشة الدستور بصورة واسعة، وإن الجمعية التأسيسية التي تنتخب على أسس ديمقراطية يمكن أن تصبح هيئة لدمقرطة البلاد<sup>(١٠)</sup>، إن قيام الجمعية التأسيسية بوضع الدستور ومن ثم عرضه للاستفتاء العام يعتبر من أفضل الممارسات الديمقراطية لإعداد الدساتير لكونه يتجاوز أغلب الملاحظات السلبية التي ترد على هذه الطريقة في إعداد الدستور، كما ينبغي التأكيد بان الدستور مهما بلغ من الرقي والنقد في مواده إلا أنه يبقى حبرا على ورق كما أشرنا ما لم يتم الاتفاق على آلية رقابة صارمة ومتعددة الأوجه لكي نضمن دستورية القوانين ومنع التعسف في إصدار قوانين تهوي الأجواء لسيطرة فئة أو طبقة أو جماعة معينة<sup>(١١)</sup>، تلغي الأخر وتمنع مشاركته وتوقف الاحتكام إلى الشعب عبر الانتخاب العام والتبادل السلمي للسلطة على وفق الإرادة الشعبية العامة.

(٧) قارن مع - د. صادق الأسود - المصدر السابق - ص ٢٨٧.

(٨) علي خليفة الكواري، حوار من أجل الديمقراطية، دار الطليعة، بيروت ١٩٩٦ ص ١٤٠-١٦٠.

(٩) د. نوري لطيف - المصدر السابق ص ١٩٣.

(١٠) نفس المصدر ص ٢٠٠-٢٠١.

(١١) بخصوص الرقابة على القوانين انظر د. نوري لطيف - العدد السابق ص ٢١٧-٢٣٣.

كما يجب ان يؤسس الدستور على خمسة مبادئ ديمقراطية عامة مشتركة لا تقوم للدستور الديمقراطي قائمة إذا غاب أي منها<sup>(١٢)</sup>.

- أ. لا سيادة لفرد ولا قلة على الشعب وللشعب مصدر السلطات.
- ب. سيطرة أحكام القانون والمساواة امانة.
- ج. عدم الجمع بين أي من السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية في يد شخص أو مؤسسة واحدة.
١. ضمان الحقوق والحريات العامة دستوريا وقانونيا وقضائيا ومن خلال تنمية فاعلية المجتمع المدني وقدرته عن الدفاع عن ممارسة الحريات العامة.
٢. تداول السلطة التنفيذية والتشريعية سلميا وفق آلية انتخابات دورية عامة حرة ونزيهة تحت إشراف قضائي كامل ومستقل وشفافية تحد من الفساد والإفساد والتضليل في العملية الانتخابية.
٤. قيام مجتمع مدني ونمو رأي عام مستنير: ان هذا الركن من أهم الأركان في كونه يتعلق بموضوع على قدر عال من الأهمية يتعلق بتنشئة الأفراد وتربيتهم إذ ان تمسك كل مجتمع إنساني يتوقف على فهم أفراد لقيمه وقواعده المشتركة أي انه كل ما تتطوي عليه فكرة الثقافة في الواقع، وهذا الفهم المشترك لا يكتسبه الفرد عند ولادته ولكن يحصل عليه خلال مراحل حياته المختلفة وبما يؤهله للمساهمة كعضو فاعل في نشاطات الجماعات المتنوعة والمجتمع الشامل، ومع ان مرحلة الطفولة والصبا تعتبر حاسمة في تكوين شخصية الفرد ومضمونها عبر دخوله في الثقافة السائدة في وسطه العائلي الاجتماعي إلا ان عملية التنشئة الاجتماعية لا تتوقف عند هذه المرحلة وانما تستمر حتى في مراحل الرشد من حياة الإنسان فهي تجربة العمر كله<sup>(١٣)</sup>.

وتعتبر التنشئة الاجتماعية السياسية أهم رابطة بين النظم الاجتماعية والنظام السياسي، وان تنظيم هذه الرابطة هي محور اهتمام الأحزاب السياسية وقادة الرأي العام في سعيهم إلى تحقيق تنمية سياسية من حيث هي فعالية تهدف الى زيادة جدوى النظام السياسي وفاعليته في مواجهة المشكلات التي تعترضه عبر إعادة جدولة القيم والافضليات وفقا للإطار الفكري للنظام القائم وتوسيع النشاط والتعاون عن طريق بلورة دور المواطنين في المشاركة بوضع جدولة تلك القيم والافضليات<sup>(١٤)</sup>.

(١٢) علي خليفة الكواري ((مفهوم الديمقراطية المعاصرة: المبادئ العامة المشتركة للدستور الديمقراطي)).

(١٣) د. صادق الأسود مصدر سبق ذكره - ص ٢٥٧.

(١٤) د. علي عباس مراد - المصدر السابق - ص ١٢٠.

ان قيام مجتمع مدني ونمو رأي عام مستدير يتطلب بالإضافة إلى العوامل المعنوية المتمثلة بالنوايا الصادقة توفر شروط مادية أهمها:

- أ. وجود نظام سياسي مؤمن بالمشاركة الجماهيرية وبمبادئ الديمقراطية.
- ب. وجود دستور ضامن للمشاركة وحام لها.
- ج. وجود مؤسسات مؤهلة لتنظيم المشاركة الجماهيرية وتجسيدها بحيث تغدو هذه المؤسسات أقرب ما تكون إلى مدارس لتدريب الشعب على ممارسة الديمقراطية والحوار الهادئ وتقبل الرأي الآخر مهما كان مختلفاً.
- د. إطلاق الحريات وعدم اعتبارها منحة من الحكام الجدد وإنما هي هدية لنزعتها الشعب عبر معاناة طويلة جراء أنظمة سيطرة فاسدة.
- هـ. الابتعاد عن النفاق الاجتماعي والسياسي ومحاربة ظاهرة التملق والتزلف والتمسك بالصيغ الموضوعية في اشغال المناصب الحكومية والوظائف العامة.
- و. تنمية وتشجيع روح التسامح وبذ العنف وطي صفحة الماضي الكئيب وإشاعة روح التفاؤل والأمل.

٥. تحول الديمقراطية إلى قيمة اجتماعية ومعيار أخلاقي: لم من أهم أسباب تأخر المطالب الديمقراطي في بلادنا هو غياب تيار ديمقراطي حقيقي يوصل لقيم الاختلاف والتعدد بغض النظر عن المكاسب السياسية المباشرة، بل يوجد هو نوع من التحزيب للديمقراطية التي أصبحت مجرد لافتة سياسية فجأة توظف في الصراع السياسي بين التيارات أو المعسكرات والتي يتمترس كل منها خلف مقولات الديمقراطية ويعمل على احتكارها لتكون رافدا لمعركته السياسية والحزبية، ومما لا ريب فيه ان تحزيب الديمقراطية سيكون ضار بمن يتبناه في المنظور الاستراتيجي برغم ما قد يحققه ذلك من مكاسب آنية لهذا الطرف أو ذاك، ويمثل غياب التيار الديمقراطي وسيطرة التعامل التحزبي مع مسائل جوهرية وأساسية في بنية المجتمع ونظامه السياسي نتيجة ومؤشرا في الوقت نفسه لعدم حسم موضوع المشروع العليا في المجتمع حيث ينتهي التدافع الفكري والسياسي الذي لا تحده حدود ولا تجمعه قواعد مشتركة إلى التنافي والتباذ والعمل على توظيف كل الأسلحة المشروعة وغير المشروعة في الصراع السياسي بما في ذلك تضيق دائرة الديمقراطية وجعلها مقصورة على حزب معين دون غيره والترشق بالاتهامات التي تبدأ بالتكفير وتنتهي بالتخلف وبما يفتح المجال لبروز وتبرير قيام نظم دكتاتورية.

ان مما لا شك فيه ان وضعنا الراهن أحوج ما يكون اليوم إلى قيام كتلة تاريخية قوية تلثقي فيها جميع التيارات الفكرية والسياسية على قاعدة محاصرة الاستبداد والدكتاتورية وتهيئة الوضع والثقافة العامة لتجربة ديمقراطية تبدأ بطريقة متدرجة

وتراعي الرفق والمنهج السلمي في تغيير واقع تطبع بالقهر والاستبداد، ولا بد من الإشارة هنا إلى ان من أهم المواضيع التي تؤدي إلى تحول الديمقراطية إلى قيمة اجتماعية ومعياري أخلاقي هو حسم موضوع المشروعية العليا للدولة والتي تنتظم تحت سقيفتها الخلافات الفكرية والسياسية في بلادنا فالصراع الدائر اليوم ليس صراعاً بين برامج سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة تتنافس على إقناع بصلاحية هذا البرنامج وخطأ البرنامج المقابل وإنما هو صراع بين مرجعيات مختلفة ومتضادة تقف في مقدمتها المرجعيات الإسلامية والتجريبية والتحول من أحدها إلى الأخرى هو بمثابة انقلاب عميق يطال أوجه الحياة المختلفة في حين أنه ليس من الممكن بلوغ الديمقراطية من دون الوصول إلى استقرار المجتمع السياسي على جملة من القوانين العامة وتحويلها إلى مسلمات يقبل بها الجميع، وإذا ما علمنا ان التداول على الحكم في الأنظمة الديمقراطية المستقرة إنما هو تداول بين الشبيه وشبيهه أو بين قوى متباينة ولكنها تسلم بالعمل تحت سقف مشروعية واحدة وتتنافس في تجسيد خيار مجتمعي متفق عليه أركاننا عمق هذا الركن من أركان الديمقراطية، ان صراعاتنا هي بين النقيض ونقيضه ولذلك يتشبث كل فريق لا بمحاورة الآخر والبحث عن مواطن الالتقاء معه وإنما بالعمل على استبعاده وربما القضاء عليه واستئصاله من الوجود أصلاً وفي هذا قد يصبح المطلب الديمقراطي مجرد خطاب يوظف في صراع سياسي بعيد كل البعد عن مفهوم الديمقراطية الحقيقية.

ان حسم موضوع المرجعية في تصورنا يجب ان يكون لصالح التسليم بالمرجعية الإسلامية وهو أمر من شأنه ان يوفر إجماعاً شعبياً وسياسياً واسعاً يضيفي على الحياة السياسية زخماً كبيراً يمكن توظيفه في بناء الديمقراطية، ويمتدق ديمقراطي يتعامل مع الواقع كما هو ولا يتعسف عليه في تغييره لابد من الإقرار بان المرجعية الإسلامية هي المرجعية الوحيدة التي يمكن ان تحوز اليوم على أغلبية واسعة وبلا نظير وهو ما يقتضي التسليم بهذه المرجعية والعمل من داخلها والاختلاف على قاعدتها، وإذا ما علمنا ان الإسلام اقر للتعدد واعتبره من غايات الخلق ((إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم)) وأنه وضع مبادئ كبرى وترك تصريف شؤون الحياة التفصيلية إلى الناس باعتبارهم اعلم بشؤون دنياهم ((ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل)) إذا علمنا ذلك لم نجد مدعاة حقيقة للانعاج من التسليم بالمرجعية الإسلامية التي تمكننا الاستفادة من توظيف ما تحوزه من إجماع يتسج في بناء الديمقراطية شريطة ان يكون المرور للمرجعية الإسلامية مشروطاً بالمشروعية الشعبية واختيار الناس وان لا تؤدي



الأمر إلى تنصيب دولة ثيوقراطية تصدر أفكار الناس وتتصب نفسها حكما فوق الجميع باسم الدين<sup>(١٥)</sup>.

إن توسيع قاعدة أصحاب المصلحة في الديمقراطية يقتضي بالإضافة إلى نفي شبهة كون الديمقراطية عقيدة منافية أو منافسة للعقيدة الإسلامية يأتي من خلال التأكيد المستمر على أن الديمقراطية وعاء أو منهج سلمي لإدارة لوجه الاختلاف في الآراء وتعارض المصالح كما يتطلب أيضا شراء رضا أصحاب الامتيازات والمكانات التقليدية بثمن مؤقت ومقبول إنسانيا عن طريق إلغاء تلك الامتيازات الأمر الذي يوجد مخرجا سلميا لأصحاب تلك الامتيازات. مثل شيوخ العشائر والشخصيات العامة التي قد تغري الرغبة في استمرارها بعض الجماعات بمعاداة الديمقراطية والوقوف في وجه المطالبين بها، إن أوضاعنا الحالية تغرق في حالة من القطيعة المتسعة والانفصال المتزايد بين حركة الجماهير وحركة النخبة الأمر الذي حرم حركة الجماهير من خبرة النخب وتخصصات واتساع دوائر معارفها وحرم النخب من حركة الجماهير وتأييدها ودعمها ويمكن ملامسة هذا الأمر بشكل مباشر بمجرد تفحص الحياة السياسية التي تنقسم بين تيارات جماهيرية كبيرة تقودها كفاءات متواضعة في مقابل كفاءات كبيرة بل قواعد وبلا جماهير وهو ما يمكن التمثيل عليه بالقول إن أحزابنا السياسية إما أحزاب جنرالات بدون عسكر أو أحزاب عسكر بدون جنرالات وفي ظل هذا الوضع يعجز المطلب الديمقراطي عن العثور على قاعدة عريضة أو رابطة يمكن أن تترجمه إلى حقيقة ملموسة وبحسم موضوع المرجعية والتلجيرية يمكن أن نجد علاجاً لهذا الانفصال المرضي بين النخب والجماهير أو بين العقل والوجدان بحيث يصبح المطلب الديمقراطي قيمة اجتماعية ومعياري أخلاقي تقاس عليه وبه درجة المواطنة.

(١٥) للمزيد من التفاصيل بصدد الموضوع انظر الشيخ راشد الغنوشي - مبادئ الحكم والسلطة في الإسلام ملف على موقع الجزيرة على الانترنت ٢٠٠١/٨/١٩ [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net).

## الفصل الثاني

## معوقات قيام الديمقراطية في العراق

تقف مجموعة عوامل خارجية وداخلية لتشكل عائقاً أمام قيام ديمقراطية وربما يشترك العراق مع غيره من بلدان المنطقة والتي تعاني بدرجات متفاوتة من أنظمة حكم استبدادية وشمولية لا تؤمن بالديمقراطية كأسلوب للحكم من بعيد أو قريب وإن ادعت بعضها غير ذلك وامتلكت بعض المؤسسات المشوهة لتؤكد أنها أنظمة ديمقراطية وفيما يلي توضيحاً للعوامل المعيقة لقيام الديمقراطية:

١- العوامل الخارجية: إن الدور الخارجي هو دور متعاضم الأهمية ومن الخطأ التقليل من شأنه إذ تلعب العوامل الخارجية دوراً حاسماً أحياناً في ظل اختلال موازين القوى بينها وبين الدول التي لها مصالح كبرى واستراتيجية في أرضنا وإذا ما أدركنا أن الديمقراطية تجلب بين ثنائياها قراراً مستقلاً لابد أن تكون له تأثيرات وتداعيات على الأوضاع القائمة وعلى المعادلات الدولية المحروسة بمنطقة القوة قبل أي شيء آخر، كما أن قيام نظام ديمقراطي ربما يؤدي إلى معارضة الجيران الأقربين وخاصة إذا ما أدركوا أنهم سيتضررون من ذلك للتوجه.

إن ضغط الجوار العربي والإقليمي والمحيط الدولي يجد صده في التأثير الذي يمارسه على الثقافة التي لابد من أن تواكب التغيير المنشود في الحياة السياسية والفكرية الحرة الأمر الذي قد يقود إلى تبرير استخدام القوة في سبيل تغيير الثقافة الدينية والاجتماعية ونشر ما يسمى بالعلمانية

وبث روح العقلانية والعلمية في المجتمع، يضاف إلى ذلك الرؤية الخاطئة لدى البعض من أن نقود الأوضاع الحالية (وهي أوضاع شاذة) النخب إلى نخب تابعة لا عقل لها ولا إرادة خاصة ولا تقوم إلا بالتنفيذ الآلي والمباشر للأوامر التي تعطى لها وتطلب منها<sup>(١١)</sup>، وهنا ينبغي الإشارة إلى أن موضوع التبعية يفترض حسابات أدق للمصالح تعرض بين حاجات العلاقة مع الدول الكبرى وحاجات الحفاظ على المحلية للنخبة الحاكمة من جهة ثانية بما في ذلك الحد الأدنى من الصدق والشفافية أمام الرأي العام المحلي، ولذلك فليس هناك تبعية تلغي وجود النخبة المحلية الحاكمة ومصالحها، ولكن التبعية تفترض علاقة معقدة ومرنة لتقاسم المصالح حسب ميزان القوى القائم بين النخبين المحلية والعالمية فقد ترفض النخب التابعة للقواعد العسكرية غداً وتقبل بها اليوم أو بالعكس أو قد تطالب بنظام عالمي اقتصادي جديد وتوقع بعد سنوات اتفاقات الشراكة المتوسطية أو الشراكة الاستراتيجية مع الولايات المتحدة أو الدول الأوروبية أو

(١١) تردد هذا الموضوع كثيراً في المناقشات التي أجرتها وسائل الإعلام مع مجلس الحكم أو الأطراف المعارضة وللحقيقة نقول أن هؤلاء وبسبب ضعف الخبرة وفقوا أحياناً في الفخ من خلال التوجس من عرض آراء تطمئن العراقي إلى مستقبله مثل موضوع الاحتلال والرابطة القومية العربية وغيرها.

توقع اتفاق السوق الشرق أوسطية أو غيرها<sup>(١٧)</sup>، كما ان موضوع الصراع العربي - الصهيوني يجد تأثيره كعامل خارجي في قيام الديمقراطية باتجاهين فهو قد يعرقله بحجة تأجيل البحث في مسألة السلطة ونمط ممارستها وكان النظام السابق يعول على هذه المسألة كثيرا، ولكن يبدو لنا ومن خلال توجهات النخب المرشحة لاستلام السلطة ان موضوع الصراع العربي - الصهيوني لم بعد يشغل أولوية قصوى في جدول أعمالهم وبرامجهم من ناحية حتمية الصراع والإعداد العسكري للمواجهة، وبدلا من ذلك فإنهم يدرجون للديمقراطية كعنصر أساسي في استراتيجية المواجهة باعتبار ان ما تقدمه الديمقراطية من إطار لحل النزاعات الداخلية وتهيئ صناع القرار والشعب للدخول في حل الصراعات الإقليمية والدولية بالطرق السلمية والقبول بالنتائج<sup>(١٨)</sup>.

لقد أظهرت التجربة السابقة ان تأجيل الاستحقاقات السياسية بحجة تأمين شروط مواجهة العدوان لم تساعد على حل للقضية الفلسطينية وانما زادت من تعقيدات، والواقع ان تحقيق التحولات الديمقراطية السياسية أي تغيير نظام ممارسة السلطة من حيث الغابات والمبادئ والقواعد يشكل دعما للقضية الفلسطينية مما يضفيه من شفافية في العلاقة مع القيادة والشعب الفلسطيني. وتوضيحا لصدق الموقف والقرارات.

ان الأوضاع الحالية التي يمر بها العراق وضخامة المصالح الأجنبية التي أفرزها واقع الاحتلال وما سينتج عنه من علاقات اقتصادية تتمثل بمصالح نفطية وتجارية ومالية كبيرة تستند إلى وجود عسكري ودور أمني ونفوذ عوامل ضاغطة على عملية اتخاذ القرارات الأمر الذي قد يشكل عقبة أمام انتقال حقيقي للديمقراطية إذ ستتدخل القوى الخارجية إذا ما تعارضت السلطة الحاكمة أو التي سيفرزها النظام الديمقراطي الجديد مع بعض المصالح غير المشروعة أو احتمال تعرض التوجهات الوطنية مع استراتيجيات الهيمنة التي تفضل التعامل مع نظام حكم تابع بشكل كامل وبما يتيح لتلك الاستراتيجيات السيطرة على الموارد الطبيعية والتجارية ومتطلبات إعادة الأعمار وبناء جيش جديد وتسليحه من مصادر تابعة، ولهذا ربما لن تكون إدارة الاحتلال متحمسة بشكل عام للديمقراطية إذا لم تكن ضدها إذا تعذر إفراغ الديمقراطية من توجهاتها الوطنية وحيث لا يوجد طلب شعبي فعال على الديمقراطية أو حركة وطنية ديمقراطية يحتمل ان توازن ضغط المصالح الأجنبية أو يحتمل ان تصل إلى الرأي العام الخارجي

(١٧) قارن مع د. برهان الدين غليون - المصدر السابق ص ٦٥.

(١٨) تؤكد دوائر صنع القرار في الولايات المتحدة ان النظام السياسي الجديد في العراق سيترف بإسرائيل وقد تحدث بعض أعضاء مجلس الحكم على العكس من ذلك في حين صمت آخرون ولم يصدر تأكيد أو نفي رسمي باسم مجلس الحكم.

وتكسبه ضد تصرفات حكومته في المستقبل، فإن للنفوذ الأجنبي صاحب المصلحة المحلية سوف يظل عامل إعاقة للديمقراطية<sup>(١٩)</sup>.

٢- العوامل الداخلية: ان الدولة العراقية الحديثة جاءت بعد هيمنة أجنبية. عثمانية ثم إنكليزية، وقد قامت هذه الدولة على قاعدة التبشير برسالة التقدم والحق بركب الحضارة وحقوق الإنسان والديمقراطية وهو ما جعل منها مشروعاً لقيادة المجتمع من رأسه في اتجاه خلق البنى والمؤسسات الاجتماعية - السياسية مما أدى إلى مقاومة المجتمع للنخب الحاكمة وهو أمر طبيعي، وبدلاً من الاستجابة إلى مطالب الرأي العام والسماح بنشوء مؤسسات اجتماعية تحول مشروع التحديث الذي كان بمثابة رسالة الدولة لمجرد وسيلة خادمة لاستقرارها وهيمنتها المطلقة وجزء من قاعدة مشروعاتها وكانت النتيجة ان قضية التحديث القسري على الآليات الدفاعية وأجهزة المناعة التي كان يتمتع بها المجتمع لصالح فراغ جعل المواطن فرداً معزولاً محروماً من كل حماية في وجه القوة الوحيدة المنظمة الوحيدة وهي قوة الدولة وأصبح المطلب الديمقراطي مقابل قوة الدولة ضعيفاً لا يستند إلى قاعدة سياسية واجتماعية قوية وقادرة على حمايته وبهذا عجزت المؤسسات الحديثة من نقابات وهيئات وأحزاب عن ان تملأ الفراغ إذ ظل الانتماء إليها ضعيفاً لا يكاد يؤثر في مجريات العلاقة بين المواطن والدولة.

ومن العوامل الداخلية المعيقة لقيام الديمقراطية ان أصحاب المصلحة من الأفراد والجماعات في الديمقراطية كثيرون ولكنهم غير متفقين على مضمون الديمقراطية ولا يمارس معظمهم الديمقراطية على ارض الواقع على أي مستوى من مستوياتها، فالديمقراطية ما زالت شعاراً يفنقر إلى وجود مفهوم مشترك متفق عليه بين الداعين إلى الانتقال إليها، كما ان ممارستها في تنظيمات المجتمع المدني يشوبها الكثير من اوجه النقص وان هذه الحالة ستعرق قيام تنظيمات المجتمع المدني ونموها. وبالإضافة إلى ذلك فان عدم وجود رؤية واضحة لموضوع تداول السلطة سلمياً يعتبر من العوامل المعيقة لقيام الديمقراطية إذ لابد من اتفاق لدى الأغلبية على وجود آليات لانتقال المنصب السياسي من شخص لآخر سواء كان الأمر متعلقاً بالنظام السياسي أو بمؤسسات المجتمع المدني وفي المقدمة منها الأحزاب والحركات والجمعيات إذ ان دراستنا وملاحظتنا لأغلب الحركات والأحزاب أشرت ان أية حالة تغيير أو اقتراب حدوث تغيير سرعان ما يواجه بالانشقاقات وتكتلات بعيدة كل البعد أحياناً عن الناحية الموضوعية، وفي ظل الأوضاع الحالية في العراق فان هذا الأمر سيشكل خطراً كبيراً على قيام الديمقراطية ويرى البعض ان مثل هذه الرؤية لا تقتصر على العراق وانما هي ظاهرة عربية - إسلامية إذ ليس من الغريب القول بأن تأريخ المنطقة

(١٩) للمزيد من التفاصيل انظر علي خليفة الكواري - نحو رؤية مستقبلية لتعزيز المساعي الديمقراطية في إطار مجلس التعاون لدول الخليج العربي.

العربية/الإسلامية لم يكن متاعماً مع الانتقال السلمي للسلطة، فقد عرفت المنطقة العربية الإسلامية منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خلفاء وسلطين وأمرأ لم يعرفوا معنى انتقال السلطة الذي تحول من شوري إلى تعيين إلى وراثية إلى الاحتكام إلى السيف، ولما انتهت الحرب العالمية الأولى لم يتحقق التداول السلمي للسلطة لأسباب عديدة كان من أهمها ان الانتخابات الحرة والنزيهة أئت عادة بأغلبية من حزب أو أحزاب تدعو للاستقلال فتدخلت قوة الاحتلال إلى تزييف إرادة الناخبين أو تعطيل الحياة الديمقراطية وجاءت الانقلابات العسكرية لتفتح صفحة جديدة ربما أسوأ من سابقتها في موضوع التداول السلمي للسلطة<sup>(٢٠)</sup> وكانت حصّة العراق من هذه الصفحة كبيرة وخطيرة اختتمت بخمسة وثلاثين عاماً ابتدأت منذ العام ١٩٦٨ من الاضطهاد وتكميم الأفواه وخنق المعارضين والتصفيات التي اتخذت في الأعوام من ١٩٧٩ - ٢٠٠٣ طابعا عشوائيا لم يستثن أحدا حيث انتشرت المقابر الجماعية وازدحمت الزنانات بالمعتقلين وضائق السجون على كثرتها بشاغليها الأمر الذي جعل النظام يشرع في العام ٢٠٠١ بإجراء حملة بناء لتوسيع سجن أبو غريب الرهيب ناهيك عن اعتقال ومطاردة عوائل المعارضين حتى وان كانوا من القياديين في الحزب أو مؤسسات الدولة إذ كانوا يوضعون تحت المراقبة الشاملة في العمل والمسكن ويمنعون من تولي أية مناصب حساسة في الدولة واستدعائهم للتحقيق معهم بشكل دوري لا لذنوب اقترفوه سوى ان لهم أبناء أو اخوة معتقلين أو معدومين إذ تكفي أحيانا تهمة تافهة لإعدام أي إنسان لا بل ان بعض التهم لا تحتاج إلى شهود مثل التهم على رأس النظام أو انتقاد تصرفاته أو سلوكية أحد أبنائه.

لقد ولدت سنوات القهر والحرمان التي امتدت لأربعة عقود تقريبا إلى ظهور حالة في المجتمع العراقي جعلت من الفرد ميالا لأحد أمرين، اما لا مبالاة مطلقة بما يجري، أو اعتماد حوار العنف فالذين تعرضوا لقسوة ويطش النظام السابق ترى قسما كبيرا منهم يتبرم من أية مناقشة لا تلائم أفكاره ومعتقداته وينطلق من مسلمة يعتقد انها صحيحة لا بل أكثر من ذلك يطالب البعض بإجراء تصفيات للمواطنين الذين عملوا مع النظام السابق وقد بدأت تطبيقات هذا الأمر في حرمان شريحة كبيرة من المجتمع من مصادر رزقهم لا بسبب ما اقترفوه من جرائم بحق الشعب والوطن وانما بسبب جهودهم في هذا المرفق أو ذاك أو في هذه المؤسسة أو تلك في حين لا يختلف الجميع على حقيقة ساطعة وهي ان قسما كبيرا من هؤلاء الناس هم مواطنون صالحون لم يكونوا راضين عن سلوكية النظام ولكن لم تتح لهم الفرصة لمغادرة الوطن لأسباب تتعلق بشدة المراقبة عليهم أو لمسؤوليتهم عن عوائل ذويهم من المعدومين أو المعتقلين

(٢٠) للمزيد من التفاصيل بصدد الموضوع انظر د.صلي الدين خريوش تداول السلطة في الوطن العربي بين التشريعات والتطبيقات - بحث منشور في الانترنت بتاريخ ٢٠١١/٩/٥ .

ناهيك عن ان هؤلاء يمارسون المعارضة من داخل النظام ويسقطون هيئته ويتفقون الناس لمعارضة النظام وعدم ممارسة ما يريده من تفرقة بين مختلف الطوائف والمذاهب والأعراق.

ان هذه الحالة من العلاقات الاجتماعية والتأثيرات السلوكية ربما تمثل عائقا جديا امام قيام ديمقراطية حقيقية تقوم على أساس المصلحة وطي صفحة الماضي من خلال الاحتكام إلى القضاء العادل والنزيه عبر محاكمات علنية تتبع فيها إجراءات وأصول المحاكم العادلة بعيدا عن روح الثار والانتقام غير المشروعين... وكما أشرنا سابقا فان مجتمعنا تنقصه الخبرة وقليل التجربة بالممارسة السياسية المعاصرة إذ لا يزال قسم كبير من مؤسساتنا المدنية (أحزاب، حركات، نقابات جمعيات... الخ) يعتمد في تركيبته على مؤسسات وقيم قديمة ترجع إلى ما قبل السياسة الحديثة من أسرة وعائلة وعشيرة وطائفة... الخ اما الخبرة السياسية الحديثة أي العمل في إطار تضامن وطني يجمع الأفراد من وراء انتماءاتهم وارتباطاتهم الأهلية الخاصة فلا تزال ضعيفة كما وان الخبرة التي تراكمت في الحقبة التي سبقت انقلاب ١٩٦٨ لم تنتقل بسهولة وأحيانا لم تنتقل بناتا إلى الأجيال الجديدة وتعرضت إلى انقطاع كبير لعدم الاستقرار السياسي وغياب التفاعل بين النخب السياسية وتصفية بعضها لأثر البعض الآخر كل ذلك ساهم ولا يزال يساهم في هذا الانقطاع في انتقال الخبرة وبالتالي في تراكم تجربة سياسية بما تشتمل عليه من ممارسات نموذجية وتقاليد وتقنيات وقيادات وأصول معروفة ومتبعة، كما ان الانفجار السكاني الذي شهده العراق في السنوات الأخيرة أدى إلى وجود اكثرية شابة تمثل أغلبية اجتماعية من الشباب الذين يفتقرون إلى أي شكل من أشكال التأطير الاجتماعي والتربية المدنية بل والانتماء المجتمعي ولا يحظون بأي رأسمال رمزي وثقافي ذي قيمة وهم بعيدون عن الحماس للقيم والمفاهيم والمبادئ والمعايير التي لا يزال يتمسك بها جيل الآباء وربما لا نخطئ إذا ما قلنا الأجداد لان الآباء يعانون من المشكلة ذاتها فقد عمل النظام السابق على ابعاد الفرد عن التفكير بأكثر من ذاته فهو مطارذ للخدمة العسكرية أو محروم من القبول في كلية لم يتمكن من الحصول على مقعد فيها بسبب القوانين الاستثنائية والإضافات في المعدلات والدرجات التي لا علاقة للطالب بها أو ملاحق للجيش الشعبي أو النخوة أو جيش القدس أو الخروج لمسيرة أو التواجد في احتفال أو راكضا وراء لقمة عيش أو مقعد نفسيا بسبب اضطراره للتملق لهذا الشخص أو ذاك أو يعاني من فقدان والده أو أحد إخوانه في حرب مجنونة أو في أحد معتقلات النظام أو اختفاء أحد ذويه، ان هذا الكم الهائل من الجمهور المفتقر للتأهيل الاجتماعي والتكوين السياسي والمدني أي الوطني ربما سيؤدي إلى تحويل هؤلاء الشباب إلى خزان واسع وهائل للحركات التي ترد على مطالب فورية أو غريزية عند الشباب سواء كانت ذات طبيعة مادية أو معنوية ونلنك

لضعف التفكير العام المؤدي إلى إنضاج قرارات وتفكير على المدى البعيد ومن هنا ربما يصبحون ضحايا سهلة للمجتمع الاستهلاكي الذي تغذيه الثقافات الوافدة وكذلك يصبحون ضحايا سهلة للنخب الحاكمة التي تستغل عطشهم ورغبتهم لتحقيق الذات من أجل تجنيدهم لقاء بعض المزاي أو تحقيق بعض الرغبات في الأجهزة والمؤسسات القمعية وتحويلهم إلى قاعدة يسهل التلاعب بها واستخدامها أداة للحكم والسيطرة وسيصبحون أيضاً ضحايا سهلة لحركات التمرد التي تعدهم بخلاص قريب من آفة الشعور بالفراغ المادي والروحي بل بانعدام الوجود والحق في حياة فردية واجتماعية طبيعية.

وكما أوضحنا فيما سبق فإن نظام الحكم الصدامي قد استغل هذه المسألة ابشع استغلال بحيث تكونت اليوم كتل كثيفة من الشباب المفرغين من أي قضية والمدفوعين نحو صراع مرير من أجل البقاء من دون أية رعاية فعلية أو شبكات امان لا يمكن ان تشغلهم أية قضية عامة، فهم مدفوعين للبحث عن إشباع حاجاتهم المباشرة والفطرية بالغريزة وحدها، وبعيداً عن أي معايير اجتماعية أو سياسية أو أخلاقية ولم تنفع الهياكل والبنى التقليدية والأسرية والطائفية والعشائرية الموروثة من إملاء هذا الفراغ بحيث لم تنفع جميع النداءات التي صدرت من تلك الهياكل مثلاً في الكف عن تخريب المنشآت العامة ودوائر الدولة، وربما سيكون الحال ذاته عندما ينخرط هؤلاء الشباب في الأحزاب السياسية التي تبحث عن زيادة عديدة لأغراض المنافسة دون ان تلتفت إلى الفواحي الأساسية في بناء الإنسان العراقي الجديد المتحرر من عقد الخوف والانتهازية والتعلق للسلطة والتي حاول النظام السابق تكريسها في مدركات الشباب من خلال خلع الأخلاقية المجتمعية والوطنية وإحلال التبعية والولاء والاستنزلام لأشخاص لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة.

ومن المعوقات الأخرى للديمقراطية موضوع الاستئثار بالموارد العامة باعتباره حقاً مكتسباً للحاكم الأمر الذي أدى إلى ظهور نوع من الشعور بأن موارد الدولة ما هي إلا ميراث خاص للفئة الحاكمة انتقل إليها من الجيل الذي سبقها، ولقد عمل النظام السابق على تكريس هذا الإدراك في أذهان الناس من خلال التصرف بالموارد على أساس ان ما يصرف لتسيير شؤون المجتمع ما هي إلا هبات ومكافآت من الفئة الحاكمة، ان هذا الحال الذي استمر لفترة طويلة ترافق مع فساد إداري لم يشهد له تاريخ العراق مثيلاً بحيث لا يمكن إنجاز أية معاملة بسيطة أو الحصول على خدمة عامة إلا لقاء رشوة بعضها غلف بحجة الحوافز أو الضرائب مما أدى إلى ان يتوهم السواد الأكبر من الشعب بأن المنصب الإداري أو السياسي موضوع للاحتكار والاستئثار، وربما يكون هذا الإدراك قد عشعش في أذهان قسم من الناس بحيث يوههم باتخاذ سلوكيات تنتافي والمنهج الديمقراطي القائم على مبدأ السيادة الشعبية

والذي نلاحظ اليوم إهماله من خلال الاعتماد على مبدأ الأمر الواقع كقاعدة للعمل السياسي في تسهيل ما يسمى بالسلطة الاستيلائية إذا جاز لنا التعبير ((والتي تتحقق بسبب الشوكة والقوة المادية والعسكرية المحصنة ومن دون السؤال أي سؤال عن رأي الأغلبية الاجتماعية أو الانشغال بقبولها أو رفضها، فهي سلطة الأمر الواقع ومن الصعب على سلطة الأمر الواقع ان تطور أي تفكير بالتعددية وان تفهم مضمون ومعنى التحولات الديمقراطية باعتبارها تجسيدا لإرادة الجميع))<sup>(١)</sup>. ان الوقوع في هذا الخطأ ربما سيعود إلى إعادة إنتاج النظام التسلسلي.

### الاستنتاجات والمقترحات

من خلال سير البحث يمكن استنتاج ما يأتي:

- ١- ان بناء الدولة الديمقراطية الحديثة يتطلب التمسك بالشرعية التي تعني خضوع كل تصرفات الدولة لقواعد قانونية يستطيع المواطنون المطالبة باحترامها أمام قضاء مستقل وان يكون صدور ذلك القانون وفق إجراءات متبعة وان تمتنع الدولة عن إتيان أي فعل لا ينسجم مع نظامها القانوني السائد وان تلتزم باحترام القيم الأساسية والأهداف العليا للمجتمع بما يؤدي إلى القبول الطوعي من قبل الشعب بقوانينها وسياساتها وبعاداتها وملاءمة مؤسساتها لحاجيات المجتمع وقيمه.
- ٢- ان هذه العملية كما لاحظنا من خلال البحث تتطلب التركيز على التمسك بالديمقراطية كوعاء أو أداة وان تكون مرجعيتنا إسلامية لنضمن رضا أوسع قطاعات المجتمع ونقوم الديمقراطية على خمسة أركان أساسية هي:
  - أ. ممارسة السلطة العامة من قبل ممثلين في انتخابات حرة وعامة.
  - ب. تكريس دولة القانون التي تضمن احترام القانون، وتطبيقه بالتساوي على جميع أفراد المجتمع.
  - ج. تأمين العدالة الاجتماعية.
  - د. ضمان الحريات الفكرية والسياسية والتنظيمية.
  - هـ. إدارة مسؤولة وذات كفاءة.
- ٣- وتستند الديمقراطية على المرتكزات الآتية:
  - أ. اعتبار المواطنة مصدر الحقوق ومناط الواجبات.
  - ب. الإقرار بان الشعب مصدر السلطات.
  - ج. الاحتكام إلى شرعية دستور ديمقراطي.
  - د. قيام مجتمع مني، ونمو رأي عام مستنير.

(١) د. بهان الدين غليون - المصدر السابق ص ١٠ .



- هـ. تحول الديمقراطية إلى قيمة اجتماعية ومعياري أخلاقي.
- ان قيام حكم ديمقراطي تعترضه العديد من المعوقات أهمها:
- أ. المعوقات الخارجية والمتمثلة بالتأثيرات الإقليمية والدولية واحتمالات تعرض قيام حكم ديمقراطي إلى عرقلة بسبب تعارض هذا الحكم مع توجهات دول الجوار أو التعارض مع استراتيجيات الدول الكبرى وفي مقدمتها الدول المحتلة ناهيك عن تأثير عامل الصراع العربي الصهيوني والذي قد يؤدي إلى تشويه التجربة الديمقراطية.
- ب. العوامل الداخلية حيث لاحظنا ما يأتي:
- أولاً- التجربة العراقية الوليدة لا تمتلك تجربة أو خبرة واسعة في الممارسة الديمقراطية.
- ثانياً- الإرث الحضاري للمتمسك بعدم وجود تجربة ديمقراطية يمكن ان تسعف العراقيين في بناء تجربتهم الديمقراطية.
- ثالثاً- تأثيرات سنوات القهر والحرمان في إحلال قيم معرقة للديمقراطية منها سيادة منطق العنف بدلاً من الحوار واحتمال انتقال عدوى ممارسات النظام السابق في إعادة إنتاج سلطة الاستبداد.
- رابعاً- وضع الشباب وإهمال معالجة أوضاعهم وعدم وجود قيم وطنية صحيحة وعدم قدرة الولاءات التقليدية على كبح جماح الغرائز غير المشروعة والممارسات الخاطئة.
- خامساً- احتمال اعتماد الأحزاب السياسية في تنافسها على الأسلوب الكمي في كسب الأنصار مما يؤدي إلى اعتماد صيغ النظام السابق ويشل الديمقراطية.
- ولغرض قيام نظام ديمقراطي حقيقي نقترح ما يأتي:
- أ. العمل على ان يكون إصدار الدستور من خلال جمعية تأسيسية.
- ب. اعتماد مبدأ الشفافية عند إجازة الأحزاب السياسية بحيث تعرض برامجها وأنظمتها الداخلية للجماهير من خلال نشرها في صحافتها أو في صحف أخرى.
- ج. تشكيل لجنة وطنية لأعداد برنامج موسع لتأهيل الشباب وإعادة تثقيفهم بالمبادئ الوطنية العليا.
- د. العمل على إصدار لائحة عراقية لحقوق الإنسان.
- هـ. العمل على قيام مصالحية وطنية وإعادة صرف مستحقات الذين لم تثبت إدانتهم في ممارسة جرائم ضد الشعب والوطن.

- و. توضيح المعاني الحقيقية للديمقراطية من خلال وسائل الإعلام المختلفة وإن يجري التركيز على كون الديمقراطية وعاء ذا مرجعية إسلامية.
- ز. اعتماد الشفافية في المواقف السياسية لمن يتولى الحكم من القضايا التي تهم المواطن سواء في أبعادها الداخلية أو الخارجية.
- ح. نبذ منطق الاستعلاء عند التحدث في وسائل الإعلام وتقبل الرأي الآخر مهما كان مخالفا إذ إن قادة الرأي العام يؤثرون في آراء الناس بشكل أو بآخر وترك مقولة ((نحن اعزف من غبرنا بالعراق)) جانبا لأن هذا الأمر سيجعل الناس يتمسكون بآراء ومسلمات لا يقبلون بمناقشتها.
- ط. الاعتماد على المتخصصين في العلوم السياسية والاجتماعية والنفسية في وسائل الإعلام وتكليفهم بإعداد لقاءات وبرامج توعية لخلق رأي عام مستنير وعلى الأخص من الأساتذة الذين عانوا من بطش وتعسف النظام في الداخل أولا واستضافة القادمين من الخارج كأسبقية لاحقة.
- ي. التركيز على أن الديمقراطية التي تهدف الى بناء مجتمع عراقي متماسك لإيصالنا ان تغفل البرامج للرامية الى تطبيقها كون العراق جزء من محيط اقليمي متداخل المصالح والعلاقات ومرت بفترات عداء لاذنب للشعب فيها لذا ينبغي ان يرتبط اصلاح الداخل باصلاح العلاقات وطي الماضي بكل مرارته.

## موقف البلاط الملكي العراقي من نشاط الأحزاب

السياسة ١٩٣٩-١٩٣٦

المدرس

قيس جواد علي الغريزي

مركز دراسات الكوفة

-موقف البلاط الملكي من الأحزاب السياسية في عهد الملك فيصل الأول: بعد تنويع الأمير فيصل بن الحسين ملكا على العراق في ٢٣ آب ١٩٢١، أدرك الملك ضرورة إيجاد تنظيم إداري يساهم في تنظيم المهام المتعلقة بالملك وعلاقاته المختلفة بالدولة والشعب. فاستحدث البلاط الملكي والذي تألف من أربع دوائر هي:

- أ. الديوان الملكي.
- ب. الأمناء والتشريفات.
- ج. المرافقون والحرس.
- د. الخزينة الخاصة.

وتعد مؤسسة الديوان الملكي من أهم دوائر البلاط الملكي، فهي المسؤولة عن أغلب شؤون البلاط، وتعتبر المرجع الرئيسي للشؤون الرسمية بين الملك والحكومة، ويدير شؤون الديوان الملكي عدد من الموظفين على رأسهم رئيس الديوان الملكي، الذي يقوم في الوقت نفسه بمهام سكرتير الملك الخاص ويقوم بعرض القضايا والمخابرات الرسمية إلى الملك وهو الوسيلة لتبليغ الأوامر الملكية أيضا<sup>(١)</sup>.

ويعد منصب رئيس الديوان الملكي، أحد المناصب المهمة في الدولة العراقية- آنذاك- حتى صار أشغال هذا المنصب مصدرا للتنافس بين السياسيين العراقيين، لأن لرئيس هذه المؤسسة نفوذ وسلطة توازي ما يتمتع به رئيس الوزراء ووزير الداخلية من قوة، فضلا عن إن الذي يشغله يكون على اتصال دائم بالملك مما يؤثر فيه تأثيرا شديدا على حد قول ساطع الحصري. ويتمتع رئيس الديوان الملكي بصلاحيات كبيرة للبت في كثير من القضايا المعروضة على الملك كطلب التعيين والاسترحامات وحسم

(١) د. ك. و.، البلاط الملكي، د/٤، ١٦٥-٣١١، المطبوعات وثيقة رقم (٨٦).

قضايا النزاع حول الأراضي. لذلك صار الديوان الملكي ملجأ للكثيرين، إذ عن طريقه يمكن تحقيق ما يعجز عن تحقيقه الوزراء بما في ذلك رئيسهم في بعض الأحيان، وهذا ما دفع البريطانيين إلى وصف هذا المنصب بأنه "الأكثر نفوذا والأقل شهرة" وعد ساطع الحصري رستم حيدر أحسن من نبوا هذه المؤسسة بسبب سعة ثقافته عمق تفكيره وبعده عن حب الظهور تجرده عن كل أنواع شهوة الحكم<sup>(١)</sup>.

ومن المهم أن نشير أن رستم حيدر مكث في رئاسة الديوان الملكي مدة سبع سنوات خلال عهد الملك فيصل، كان خلالها كاتم أسرار وأقرب مستشاريه وقد وضع رستم حيدر أطر العمل في هذه المؤسسة بالشكل الذي يكون لها تأثير في الحياة السياسية للدولة العراقية، وتنفيذ سياسة الملك فيصل تجاه مختلف الأحزاب والاتجاهات السياسية<sup>(٢)</sup>.

ومهما يكن من أمر هذه المؤسسة، فلأنها وقفت أول الأمر. بعد تنصيب الملك فيصل. موقفاً متشدداً من قيام الأحزاب السياسية خشية أن تؤول الحالة إلى ما كانت عليه الأحزاب السياسية في سوريا ذات الخطط المتضاربة والمقاصد المختلفة. ولكن الوطنيين العراقيين ظلوا يراجعون ويلحون لإنشاء حزب سياسي، إلى أن أصدرت وزارة عبد الرحمن النقيب الثانية في ٢ تموز ١٩٢٢ قانون الجمعيات، وسمحت بتأليف حزبين أحدهما هو الحزب الوطني العراقي وسمي الثاني حزب النهضة العراقية<sup>(٣)</sup>. جاء إجازة الأحزاب السياسية في ظروف صعبة، كانت خلالها الحركة الوطنية في العراق تغلي للتخلص من نير الانتداب البريطاني. في وقت كان الملك فيصل أكثر تحفظاً وحذراً في علاقاته مع الوطنيين خاصة بعد النهاية المأساوية لنظامه في سوريا، ولكنه لم يقطع صلته بالحركة الوطنية، بل كان يشجعها من وراء الستار ويستمع إلى رأي زعمائها ويفتح أبواب بلاطه في وجهها لكي يستخدمهم ورقة ضاغطة ضد البريطانيين وقت الحاجة.

ومن جانبهم كان البريطانيون يمارسون ضغطهم وتأثيرهم على الملك. إذ ظهر أول ضغط عليه، حين طلب تشرشل وزير المستعمرات البريطاني من المندوب السامي البريطاني أن يضمن عدم تدخل الملك بتعيين الموظفين في أية دائرة من دوائر الحكومة بما في ذلك رئيس بلاطه وسكرتيرته الخاص. وعد الملك هذا المقترح

(١) قيس جواد الغريزي، رشيد عالي الكيلاني وبوره في السياسة العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٨٩، ص ٨١.

(٢) غازي دحام المرسومي، البلاط الملكي في العراق ١٩٢١-١٩٣٢، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩١، ص ٣٢.

(٣) للتفاصيل عن مناهج الحزبين راجع: فاروق صالح الصر، الأحزاب السياسية في العراق، بغداد، ١٩٨٧، ص ٦٠-٧٢.

انعكاسا ليس فقط لعدم ثقة الحكومة البريطانية به، بل ولتقييد حركته واتصالاته، لذلك هدد بالاعتزال إذا كانت هذه الثقة غير متوفرة وطالب أن يكون مستقلا بالمسائل الشخصية<sup>(٥)</sup>.

ومن هذا المنطلق وضع الملك في بلاطه رجال يثق بهم جدا ليتصرفوا كما هو يريد فعلا، وأن لم يظهر ذلك عليه، كما لم يتواجد في بلاطه المستشارون البريطانيون ليمارسوا ضغوطهم عليه، وجاء الضغط البريطاني الآخر على الملك فيصّل في موضوع البت بالمعاهدة العراقية- البريطانية الأولى، والتي لقيت معارضة شديدة من جانب حزبي النهضة والوطني، وبدعم وتشجيع من البلاط الملكي لنيل معاهدة بشروط مرضية مع بريطانيا وأيضاً لتأزيم الموقف على وزارة عبد الرحمن النقيب الثانية، التي فرضت على البلاط فرضاً وبدعم وإسناد من دار الاعتماد البريطاني، بينما ظهر الملك وكأنه اتخذ موقفاً وسيطاً في النزاع لا طرفاً فيه. الأمر الذي دفع الوزارة إلى الاستقالة فقبلها الملك على الفور، إلا أن المعتمد السامي كان يفكر في حمل الملك على رفضها في حين اعتبر الوطنيون استقالة الوزارة انتصاراً لموقفهم من الأحداث السياسية التي كانت تتمخض البلاد بها يومئذ وخذلانا للسائرين في ركاب المعاهدة<sup>(٦)</sup>.

أحدثت استقالة الوزارة حماسة قوية في صفوف الحزبين المتأخيين الوطني والنهضة فاستغلا الذكرى الأولى لارتقاء الملك فيصل عرش العراق في ٢٣ آب ١٩٢٢. فقررنا توحيد مساعيهم للمطالبة بحقوق البلاد وإقامة مظاهر صاخبة في اليوم المذكور وحدث أثناء المظاهرة، أن أقبل المعتمد السامي بصحبة أفراد حاشيته ليقدّم إلى الملك فيصل مراسيم التبريك بذكرى عيد تنويعه، فسمع منادي ينادي " ليسقط الانتداب، لنسقط إنكلترا " فبعث بإنذار شديد إلى رئيس الديوان الملكي طالبه فيه بمعاذرة المسؤولين عما قيل من أمانته، وإقالة فهمي المدرس- رئيس الأمناء- فقبم الأخير استقالته.

لقد استغلت دار الاعتماد هذه الحادثة للاقتصاص من الحركة الوطنية والتككيل بقائتها تمهيدا لتمرير مخططاتها وفي مقدمتها إقرار المعاهدة العراقية- البريطانية وبالشكل والصيغة التي تريدها بريطانيا. وهكذا طالب المنسوب السامي باعتقال المسؤولين عن التظاهرة. غير أن الملك رفض تنزيل العقوبة بهم، إذ أنه أصيب في هذه الأثناء بالتهاب الزائدة الدودية ورفض التوقيع على العقوبة<sup>(٧)</sup>.

استغل المنسوب السامي مرض الملك فلزم زمام السلطة بيده ووجه ضربة قوية للحركة الوطنية. فأبعد بعضهم إلى جزيرة هنجام وأغلق حزبي النهضة والوطني

(٥) أحمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا، بغداد، ١٩٨٠، ص ٦٩.

(٦) فاروق صالح العمر، المصدر السابق، ص ٧١.

(٧) عبد المجيد كامل التكريتي، الملك فيصل الأول، بغداد، ١٩٩١، ص ١١٠.

وعطل بعض الصحف الوطنية وأمر الطائرات البريطانية بقصف مضارب عدد من قبائل الفرات الأوسط ومنطقة ديالى، وسارع المنسوب السامي من أجل إعادة الكيان السلطة الحاكمة من جهة ولإرجاع شيء من الاحترام الشعبي لها فأوعز إلى رئيس الوزراء النقيب بتأليف حزب سياسي جديد وبالاتفاق مع "المس بيل" فتكون الحزب الحر العراقي في ٣١ ايلول ١٩٢٢، برئاسة أكبر أولاد النقيب "محمود النقيب" لتأييد مبادئ الوزارة للنقبيية من عقد المعاهدة.

أما الملك فيصل فلم يكن بوسع له الوقوف بوجه إجراءات المنسوب السامي وهو في بداية حياته السياسية في العراق، فوافق على إجراءاته التي أدت إلى تجميد الحركة الوطنية لنشاطها<sup>(٨)</sup>.

عاودت الحركة الوطنية نشاطها بعد نشر وزارة النقيب الثانية لبنود المعاهدة والموافقة عليها وشرعت في إجراء انتخابات المجلس التأسيسي الأمر الذي دفع الحركة الوطنية إلى معارضتها ووجدت هذه الحركة تشجيعاً من البلاط الذي ساهم في تآزيم الموقف على وزارة النقيب الثالثة، ومن بعدها وزارة عبد المحسن السعدون الأولى، ضمن المناورات البارعة للملك فيصل أن ينفذ عن نفسه معارضته للنقيب أو السعدون، ويخرج إلى الساحة مناصراً لهما في الوقت الذي يعمل لأضعاف موقفهما في البلاد، ولذلك لم يحاول البلاط ثني البرلمان عن احتجاجاته والصحافة عن هجومها على قبول المعاهدة والسياسة البريطانية في العراق. بل أن البلاط أخذ يتنمر من تعذر الحصول على مرشح لرئاسة الوزارة بعد استقالة السعدون. ووضع قسط من اللوم على عاتق دار الاعتماد والسياسة البريطانية في زج البلاد إلى حالة عدم الاستقرار.

ولكن الملك فيصل شعر أخيراً أن محاولته بالسعي لنيل معاهدة مرضية تضمن للعراق استقلاله كما أشاعها الوطنيون لا يمكن تحقيقها، فقرر إبعاد الوطنيين من العملية بأي صورة من الصور، وساهم البلاط الملكي في إضعاف الحركة الوطنية. فقد قرر حزب النهضة أن يقف موقف المتفرج من الانتخابات، وأنشط الحزب الوطني إلى شطرين قال أحدهما بوجود مقاطعة الانتخابات وقال الآخر بوجود الاشتراك فيها، مما أضعف الحزب بصورة عامة. وبذلك حقق البلاط هدفه أخيراً إذ تم تصديق المجلس التأسيسي على المعاهدة وبأغلبية ضئيلة في وزارة جعفر العسكري الثانية<sup>(٩)</sup>.

هدأت الحياة السياسية في العراق، بعد أن تم المصادقة على المعاهدة وانتهت أعمال المجلس التأسيسي، وبأدركت وزارة ياسين الهاشمي الأولى إلى القيام بانتخابات المجلس النيابي، وقد اتسمت تلك الانتخابات بمداخلات من قبل البلاط والوزارة.

(٨) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ط٧، ج١، ١٩٨٨، ص ١٢٤.

(٩) كاظم نعمة، الملك فيصل الأول، ط٢، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٣٩.

عاودت الأحزاب السياسية نشاطها في عهد وزارة السعدون الثانية، فتألف حزبان سياسيان أحدهما هو حزب التقدم الذي شكله السعدون ليشد أزر وزارته في تمشية اللوائح القانونية ونحوها. وقد أختار لعضويته عددا من النواب الذين كانوا يؤمنون مثله بضرورة التعاون بين العراق وبريطانيا. أما الحزب الآخر فهو حزب الشعب الذي أسسه ياسين الهاشمي وهو حزب معارض لحزب التقدم وتقوم سياسته على أساس "خذ و طالب"<sup>(١٠)</sup>.

برزت في عهد وزارة السعدون الثانية مسألة المفاوضات مع بريطانيا لتعديل معاهدة ١٩٢٢، في وقت كان حزب التقدم مؤيدا لسياسة الحكومة بينما حزب الشعب معارضا لها. أما البلاط فقد كان على اتصال بهذين الحزبين عن طريق بعض أعضائهما، اللذين كانا يقدمان المعلومات للبلاط عن نشاطهما أولا بأول<sup>(١١)</sup>. أما الملك فقد كان يتوجس خيفة من اتساع نفوذ السعدون لدى دار الاعتماد البريطاني، كما أنه لم يسمح لمعارضة ياسين الهاشمي أن تحولته إلى زعيما وطنيا شعبيا بحيث تغطي شخصيته على شخصية الملك فيصل.

وفي ضوء هذه الأوضاع ارتى البلاط أن يبحث عن شخصية قوية يستطيع استخدامها للوقوف بوجه هذين السياسيين العتيدين، وهنا جاء الاختيار على رشيد عالي الكيلاني رئيس أول مجلس نيابي في العراق، هذا المنصب الحساس الذي يستطيع البلاط من خلاله تمرير سياسته داخل المجلس فقام صفوت العوا ناصر الخزينة الخاصة بتقديم رئيس المجلس إلى الملك، وأقام بينهم جسور صلات قوية جلبت انتباه توفيق السويدي فقال: "قرية البلاط، قرب رشيد ضد ياسين والسعدون، وأخذ يستشيريه وهو صاحب المعلومات والدؤوب على العمل.....". كما أثارت تلك العلاقة انتباه البريطانيين، فتحدثوا عن الولاء الذي لا يقبل النقاش الذي يكنه رشيد عالي للملك فيصل<sup>(١٢)</sup>.

ومهما يكن من أمر هذه العلاقة، فإن الملك فيصل ومن أجل تحجيم نفوذ السعدون والهاشمي وحزبيهما اللذين ألقت حولهما الكثير من شيوخ القبائل، أوصى على ما يبدو لرشيد عالي بتأليف كتلة الوسط بين الحزبين المتنافسين ولتنفيذ سياسة البلاط في مجلس النواب، وفعلًا ضمت هذه الكتلة عددا من شيوخ القبائل ونواب المجلس وساهمت في تنفيذ سياسة البلاط ومنها إمرار معاهدة ١٩٢٦ داخل المجلس

(١٠) للتفاصيل عن مناهج الحزبين أنظر: عبد الرزاق الحسني، الأحزاب السياسية العراقية، ط١، بيروت، ١٩٨٠.

(١١) Air, 3-265-4583, I-8d-35, June 6, 1927.

(١٢) توفيق السويدي، مخطوطة وجوه عراقية محفوظة لدى خيري العمري.

وبصورة مستعجلة وسرية ودون مناقشة. وساهمت أيضا في عملية انتخاب رئيس جديد لمجلس النواب في تشرين الثاني ١٩٢٦، حيث نفدت منها ما أراد البلاط في تحجيم نفوذ السعدون، الأمر الذي عير عنه توفيق السويدي خير تعبير حين قال: "أصبح رشيد والبلاط في موضع والسعدون وحكمت سليمان في موضع آخر فتمادت القوى في انتخاب رئيس لمجلس النواب، وبذل البلاط جهده لإقناع النواب بانتخاب رشيد عالي... نكاية بالسعدون".

وعلى الرغم من أن السعدون قد اجتمع بأنصاره من حزب التقدم طالبا منهم دعم ترشح حزب التقدم حكمت سليمان، إلا أنهم ساندوا رشيد عالي بضغط من الملك فيصل، وخرجوا بعد انتخابه يهتفون بحياة الملك فيصل، الأمر الذي اغضب السعدون ودفعه إلى الاستقالة في ١ تشرين الثاني ١٩٢٦<sup>(١٣)</sup>.

أما المعتمد السامي البريطاني هنري دويس فقد كتب تقريرا إلى حكومته مؤكدا أن الملك كان وراء تلك النتيجة، إذ أنه أظهر دعما للمعارضة، كما أنه مارس ضغطا على ممثلي الأحزاب في المجلس من أجل انتخاب رشيد عالي، واشتكى هنري دويس من أن الملك قبل استقالة السعدون دون أن يخبره وعندما استوضح منه السبب رفض بيان الأسباب أو إعطاء المبررات التي سمحت بانتخاب رشيد عالي للكيلاني، ولم يكتف المعتمد السامي بذلك بل طلب من الملك فيصل حل مجلس النواب، ألا أن الملك رفض ذلك الاقتراح متذعرا بأن مثل ذلك العمل سيجلب أسوأ النتائج بالنسبة إلى المستقبل. واقترح استدعاء جعفر العسكري لتأليف وزارة ائتلافية يدخل فيها رؤساء الأحزاب تمهيدا لتفتيت الحياة الحزبية وشخصيات هذه الأحزاب، لكي تبقى شخصية الملك فيصل هي القيادة وهي الموجه السياسي الوحيد في البلد<sup>(١٤)</sup>.

وفي ضوء كل ما تقدم يغدو بالإمكان القول أن الأحزاب السياسية الرئيسية وهي حزب التقدم والشعب والوسط تميزت بالضعف العام والتفكك وغالبا ما يترك العضو الحزب الذي فقد السلطة لينتقل إلى غيره، كما أن رؤساء هذه الأحزاب لم يتمسكوا بالقيود الحزبية، ولم يكونوا سائرين على مبدأ واحد، بل تتغير تصريحاتهم وتتناقض شعاراتهم بتغير الظروف والمصالح الشخصية، ولم يكن الحزب الوطني الذي أعيد تشكيله عام ١٩٢٨ بأحسن حالا من بقية الأحزاب، ويبنغي أن لا ننسى دور البلاط الملكي في تفتيت هذه الأحزاب ولضعافها.

ومن المهم أن نشير هنا أن نشاط هذه الأحزاب قد تركز حول موقفها من أهم قضية عراقية تشغل بال العراقيين -آنذاك- ألا وهي العلاقات مع بريطانيا. فقد شهدت الفترة من عام ١٩٢٧ إلى عام ١٩٣٠ مفاوضات صعبة مع الجانب البريطاني لعقد

(١٣) قيس جواد الغريبي، المصدر السابق، ص ٥٦-٥٧.

(١٤) فاروق صالح العمر، المصدر، ص ١٧٧.



معاهدة جديدة، وقد لعب البلاط الملكي دورا كبيرا في تأجيج الموقف الوطني وإشراك الحركة الوطنية في عملية المفاوضات باعتراف البريطانيين أنفسهم. ومن المفيد بمكان أن نلاحظ أن البلاط كان يميل إلى حكومة سعدونية كلما تأزمت العلاقات العراقية- البريطانية. بينما كان الوطنيون يساندون السعدون عندما يتجاوب مع مشاعرهم. وهكذا وجد السعدون نفسه وحيدا بين عدة قوى تضغط عليه الحركة الوطنية من جهة، ودار الاعتماد البريطاني من جهة أخرى. فالأولى ذهبت إلى الظن أن السعدون كان على استعداد للتعاون مع دار الاعتماد وأنه أنصاع وراء ظموحاته السيامية بينما كانت الأخيرة تعاتبه على تصريحاته المتشددة ضد بريطانيا وسياساتها في العراق<sup>(١٥)</sup>.

نفعت تلك العوامل السعدون إلى الانتحار، وكان لانتحاره أثرا كبيرا في حدوث أزمة وزارية أوصلت المفاوضات مع بريطانيا إلى طريق مسدود، وأدت إلى خروج مظاهرات في بغداد يوم ٢١ آذار ١٩٣٠ تطالب بالاستقلال التام. الأمر الذي دفع البلاط إلى التدخل حتى لا يفلت زمام الأمور من يده ويحد من قدرته على المناورة والمساومة بحرية أكبر، فأخذ يعمل على تحجيم المعارضة الوطنية وكان الشخص المطلوب من هذه الظروف هو نوري السعيد الذي حظي بتأييد البلاط ودار الاعتماد ليعقد معاهدة جديدة مع بريطانيا.

عقد نوري السعيد بعد مفاوضات سرية معاهدة ١٩٣٠ مع بريطانيا بعد أن جاء بمجلس نيابي مطيع للوزارة صادق على هذه المعاهدة في وقت اتجهت المعارضة الوطنية إلى تأليف حزب سياسي جديد هو حزب الإخاء الوطني برئاسة رشيد عالي ياسين الهاشمي عام ١٩٣٠ ليتعاون ويتآخى مع الحزب الوطني للوقوف بوجه حزب العهد العراقي الذي شكله نوري السعيد وجعل له الأكثرية في مجلس النواب<sup>(١٦)</sup>.

ومن جانبهم قام ممثلي الحزبين المتآخيين رشيد عالي وياسين الهاشمي وجعفر أبو التمن بزيارة منطقة الفرات الأوسط وجنوب العراق وعقدوا المؤتمرات القبلية، وابتعدوا إلى الملك فيصل البرقيات محتجين فيها على تصرفات رجال الإدارة والأمن في المناطق التي زاروها ولتمسوا من الملك عدم تصديق المعاهدة.

وغني عن القول، أن الملك فيصل كان على اتصال مباشر بأقطاب المعارضة يشجعهم حتى أن زعيم حزب الإخاء رشيد عالي كان بمثابة مستشار له ووصل التقارب بينهم إلى درجة حتى قيل أن الملك فيصل كان الرئيس الفعلي لحزب الإخاء فترة تولي رشيد عالي رئاسته. ويعزى توفيق السويدي قوة تلك العلاقة إلى أن رشيد

(١٥) كاظم نعمة، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(١٦) للتفاصيل عن منهاج هذه الأحزاب راجع: فاروق صالح العمر، المصدر السابق، ص ص ٢٢٠-٢٢٤.

عالي كان يطمئن الملك فيصل بأن سياسته معتلة منصبه على التوفيق بين المقتضيات البريطانية ومصصلحة العراق<sup>(١٧)</sup>.

وعموما يمكن القول أن البلاط الملكي لم يسمح لحزب الإخاء أن يأخذ حجما أكبر من حجمه على الصعيد الشعبي، فاختار الملك أحد أكبر زعمائه رشيد عالي لرئاسة البلاط الملكي، وبذلك بدأت عملية تفتيت الحزب على حد قول طه الهاشمي، كما أن الهدف الآخر للبلاط كان النيل من نوري السعيد الذي زاد نفوذه اتساعا باعتراف البريطانيين أنفسهم<sup>(١٨)</sup>. وفعلا أثمر وجود رشيد عال في البلاط الملكي إلى أبعاد نوري السعيد عن الحكم ومجيء حزب الإخاء إلى السلطة، ولكي لا ينفرد حزب الإخاء وحده في السلطة حرص البلاط على إشراك العناصر المؤيدة له من بقايا حزب العهد العراقي، لكي يستطيع أن ينفذ إلى داخل الوزارة ويحافظ على مبدأ "التوازن بين الساسة"، لذلك جمعت الوزارة النقيضين أشد أنصار المعاهدة وأشد المعارضين لها. موقف البلاط الملكي من الأحزاب السياسية في عهد الملك غازي.

توفي الملك فيصل في ٨ أيلول ١٩٣٣ على حين غرة في سويسرا، وفي ظروف غامضة أثارت التأمل والحس. كما أحدث غيابه المفاجئ فراغا كبيرا في السياسة العراقية، لم تكن البلاد مهيأة لمثلته. وجاء بعده ولده الأمير غازي، الذي توج ملكا وكان لصغر سنه وقلة تجربته، فضلا عن محدودية نكاته أثر في تسابق معظم الساسة لاحتوائه. واشتد التنافس بينهم لإدارة رئاسة البلاط من أجل ممارسة تأثيرهم في الملك الشاب.

ويعد علي جودت الأيوبي أول من حقق ذلك. إذ وصف معاون رئيس الديوان الملكي واقع هذه المؤسسة -آنذاك- بقوله "أن الملك غازي كان ضعيفا وبعيدا عن الاهتمام بشؤون الدولة، وأصبحت السلطة بيد رئيس الديوان الملكي الأيوبي، الذي كان صاحب الخطوة الأولى والحائز على ثقة الملك". فاستطاع الأيوبي من خلال منصبه أن يهيمن على الملك في وقت كان شديد عالي الكيلاني رئيسا للوزراء في وزارته الثانية، وعندما طلب الأخير حل مجلس النواب ليسيطر عليه حزب الإخاء، نصح الأيوبي الملك بعدم حله، فأدى ذلك إلى استقالة أقوى وزارة عراقية كانت البلاد بحاجة إليها في تلك الفترة<sup>(١٩)</sup>.

والأكثر من هذا دفع الأيوبي الملك غازي على تكليف صديقه الحميم جميل المدفعي لرئاسة الوزارة، ولم يكن المدفعي بالشخصية القوية القادرة في تلك الظروف

(١٧) قيس جواد الغريزي، المصدر السابق، ص ٨٠-٨٢.

(١٨) طه الهاشمي، المصدر السابق ط ١، ص ٦٣.

F.O, 371-16049-6061, 96637-32, July 30, 1932

(١٩) خير الدين العمري، مذكرات وتلج، مطبوع بالآلة الكاتبة، ج ٢، ص ٢٢.

القائمة على الصمود بوجه العواصف السياسية التي سرعان ما جرفت بها بسرعة. وجاء الأيوبي إلى رئاسة الوزارة في ٢٧ آب ١٩٣٤. فأحتفظ لنفسه بالمناصب الرئيسية الثلاث في الدولة العراقية -آنذاك- وهي رئاسة الوزراء ووكالة وزارة الداخلية فضلا عن ذلك رئاسة الديوان الملكي، فكان يقضي في كل منصب ساعتين يوميا. وبذلك صار الملك والبلاط معاير للوزارة بحكم خضوع الاثنين لرئيس واحد، بينما كان في عهد الملك فيصل ندا لها ينفذ إلى داخلها ويسقطها عند الضرورة. والآنكى من ذلك، ولكي يسيطر الأيوبي على آخر مؤسسة يمكن أن تهدد مركزه القوي ممثلة بمجلس النواب. أقنع الملك غازي بحله وأجرى انتخابات كان التزوير فيها كبيرا جدا. وجاء بمجلس ضم جماعته من حزب جديد ألفه أطلق عليه حزب الوحدة الوطنية، ووزع بعض كراسي المجلس على بعض أصحاب الصحف المحلية ليمنع انتقاداتهم لوزارته، فصار هذا المجلس ليس فقط يسير في فك الوزارة، وإنما أيضا ضم كثير من الشخصيات غير المعروفة والمؤثرة على الصعيد السياسي والاجتماعي. وأبعد عنه بعض كبار الساسة وشيوخ القبائل<sup>(١٠)</sup>، وبذلك أنهار مبدأ "التوازن بين الساسة" الذي كان الملك فيصل حريص عليه، وأخذ الصراع بين الساسة على كراسي الحكم يأخذ منحني جديدا.

جاءت المعارضة الأولى والقوية لوزارة الأيوبي من نوري السعيد الذي أدرك ضرورة الحد من تأثير وسيطرة الأيوبي على الملك، وذلك بأبعاده عن رئاسة الديوان الملكي وتعيين صهره جعفر العسكري بدلا عنه إلا أن محاولته فشلت. ثم واجهه الأيوبي بمعارضة أكثر قوة من أعضاء مجلس الأعيان، الذي صار "خلية نحل" تلتسع الوزارة بانتقاداته وكثفت الصحف المعارضة حملتها ضد الحكومة، التي لم يسلم الملك منها أيضا فقد حملته جماعة الأهالي القسط الأكبر من مسؤولية سوء الأوضاع، وذلك عن طريق مناشير وزعتها في ١٨ أيلول ١٩٣٤، فاضطرت الحكومة إلى إلغاء القبض على بعض المتهمين ومنهم عبد القادر إسماعيل محرر جريدة الأهالي وحكمت عليهم بالسجن لمدة سنة<sup>(١١)</sup>.

وأخيرا وبعد فشل تلك الوسائل في إسقاط الوزارة اتجه حزب الإخاء إلى قبائل الفرات الأوسط، تلك القبائل التي ارتبط معظم الساسة معها بعلاقات مصالحية زادت أهميتها بعد وفاة الملك فيصل على اعتبار أنها كانت إحدى مراكز القوى في الدولة العراقية -آنذاك- وهي وحدها القادرة على ملء الفراغ في الحياة السياسية. فتحركت هذه القبائل ضد الوزارة. بينما حاول الملك امتصاص نغمة المعارضة بإبعاد الأيوبي عن رئاسة البلاط وتعيين رستم حيدر بدله في ٢٦ تشرين الثاني

(١٠) فاروق صالح العمر، المصدر السابق، ص ٢٣٢.

(١١) F.O., 371-17871, 10-10-1934, No. 596. P.R.O.P, 238.

١٩٣٥، غير أن محاولته هذه جاءت بعد فوات الأوان. فقد استمرت القبائل بحركاتها المسلحة حتى استطاعت إسقاط وزارة الأيوبي ومن ثم وزارة المنفعي الثالثة. وغني عن القول أن سلطة البلاط الملكي استمرت في التدهور حتى في عهد وزارة ياسين الهاشمي الثانية، التي أعقبت وزارة المنفعي الثالثة في ١٧ آذار ١٩٣٥. فقد ثبت من تشكيلة هذه الوزارة تدهور سلطة الملك حين فرض الاخاثيون عليه قبول الأمر الواقع بإسناد حقبة وزارة الداخلية إلى رشيد عالي رغم المعارضة لهذا الاختيار.

والأكثر من هذا أتجه ياسين الهاشمي إلى الحكم الدكتاتوري فحل المجلس النيابي وألقى الأحزاب السياسية بهتف دمجها في هيئة واحدة. وصفى الصحف المعارضة ولاحق أنشطة جماعة الأهالي ونزوي الاتجاهات اليسارية وفصلهم من دوائر الدولة<sup>(٢٢)</sup>. وعلى أثر ذلك توجهت المعارضة لبث شكواها إلى البلاط الملكي الذي كان أضعف من أن يعمل لها شيئاً رغم عودة رستم حيدر إلى رئاسته. إلا أن عدم انسجامه مع الملك غازي جعلته لا يستطيع أن يضع حداً لضعف هذه المؤسسة وتدهورها رغم خبرته الطويلة فيها. وبهذا الصدد قال عبد الكريم الأزرى:

"كان المالك لا يهتم بنصائح رستم، ولا يحفل بها مثلما كان يحفل بالأيوبي فقد استنقل رستم بسبب رزانة طبعه في حين تجاوب مع الأيوبي لأنه كان يشعر بأنه يمتلك سلطة عليه".

وجاء فرار الأميرة "عزة" أخت الملك غازي مع خادم يوناني ليزيد أوضاع هذه المؤسسة سوءاً بعد سوء، فاستغل الهاشمي ذلك وأبعد عن البلاط العناصر التي لا يرغب فيها في محاولة لبث حركة الملك. فأصدر قانون الأسرة الملكي رقم ٧٥ لسنة ١٩٣٦، الذي حاول فيه مشاركة الملك في بعض الصلاحيات الملكية، ووضع ياسين الهاشمي الملك تحت المراقبة من قبل البلاط، وجرده عن كل صلاحياته بل وفكر بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية<sup>(٢٣)</sup>.

وإزاء كل ذلك لم تجد المعارضة بداً من استخدام نفس السلاح الذي أسقط الوزارات السابقة، وذلك بتحريك القبائل ضد وزارة الهاشمي. إلا أن هذه الوزارة استطاعت سحق هذه الحركات بقوة الجيش العراقي، الذي ظسهر لأول مرة كقوة جديدة وخطيرة في الميدان بحسب لها حساباً فاتجهت المعارضة السياسية إلى هذه القوة التي غاب تأثير البلاط عليها، فاستطاع حكمت سليمان الذي لم يحصل على منصب في وزارة الهاشمي من اقناع رئيس أركان الجيش بكر صنقي للقيام بأول انقلاب عسكري في العراق أطاح بوزارة الهاشمي.

(٢٢) د. ك. و. البلاط الملكي، ق/١٧، ١٥٣٤-٣١١، المطبوعات وثيقة رقم (٢٢).

(٢٣) لطفي جعفر فرج، الملك غازي، بغداد، ١٩٨٧، ص ص ١٠٦-١٢٠.

وكما يبدو من بعض الوثائق، فإن البلاط الملكي لم يكن أحسن حالا في عهد بكر صدقي منه في عهد الهاشمي. فقد قام بكر صدقي بفصل عدد كبير من موظفي البلاط، حتى اضطر رئيسه رستم حيدر إلى الهرب خارج العراق خوفا من الاغتيال، ووضع مكانه جميل الوادي. وأحاط بالملك بشبكة من الجواسيس تمنعه من الاتصال بأحد<sup>(٢٤)</sup>، وبذلك تلاشى نفوذ البلاط الملكي كقوة فعالة وموجه في السياسة العراقية وانتقل مركز النفوذ إلى رئيس الوزراء ومن ثم إلى رئيس أركان الجيش كما ظهر واضحا في عهد بكر صدقي.

ولم تضع نهاية بكر صدقي حدا لضعف البلاط أمام الوزارة والجيش فقد حدا جميل المنفعي عام ١٩٣٧ حنو زملائه من الساسة في محاولة السيطرة على البلاط. فأجرى تنقلات بين موظفي البلاط وعين رشيد الخوجة رئيسا لهذه المؤسسة رغم معارضة الملك غازي الذي أراد تعيين الدكتور عبد الله النملوجي بدله. وأصدرت وزارة جميل المنفعي قرار بتأليف مجلس عرش لإبداء المشورة للملك الشاب. إلا أن هذا القرار لم ينفذ لاعتراض وزارة العدل وناجي السويدي عليه، إذ اعتبره منافيا للدستور<sup>(٢٥)</sup>. أما الجيش فقد أطاح ضباطه القوميين ببكر صدقي دون علم البلاط ورغما عنه، ثم اسقطوا وزارة المنفعي، وجاءوا بنوري السعيد إلى الحكم رغم معارضة الملك غازي أيضا.

عموما يمكن القول أن بداية عهد الملك غازي شهد غياب تأثير البلاط عن كل القوى البارزة في الحياة السياسية كالأحزاب والبرلمان والقبائل والجيش. ولكن الملك غازي شيئا فشيئا بدأ يقيم علاقات قوية مع بعض القوى الوطنية والقومية، كنادي المثلي الذي شجع الملك نشاطه ووضع إذاعة قصر الزهور في بلاطه لخدمة أهداف النادي وإذاعة خطبه.

ووصل تأثير البلاط الملكي إلى ذروته عام ١٩٣٩، عندما أصبح رشيد عالي رئيسا له. فأرجع فعالية هذه المؤسسة، وبدأ الملك عن طريق رئيس بلاطه بإقامة علاقات أكثر قوة مع بعض رؤساء القبائل وقادة الجيش والقوى الوطنية. وشجع الكيلاني الملك على أن يكون العامل المؤثر والمسيطر في سياسة البلاد، كما وحش الملك على المطالبة بالكويت التي كانت خاضعة للحماية البريطانية. خاصة وأن رشيد عالي قد ارتبط بعلاقات قوية مع بعض رجالات الكويت ومنهم عبد الله الحاج صقر. وفتح أبواب البلاط أيضا للكثير من رجالات سوريا وفلسطين وشجعهم على تحرير بلادهم

(٢٤) العراق في الوثائق البريطانية، وثيقة رقم (١٠٨)، ص ٤٢٤.

(٢٥) د. ك. و، البلاط الملكي، ط ١/١٠/٣١١، وثيقة رقم (٦) والمطبعة ٦-٣١١، الوثائق رقم ١٢٩.

من الاحتلال الاجنبي<sup>(٧٦)</sup>، ومن الطبيعي أن هذه الروح الجديدة للملك غازي في توجيه القومي ومطالبته بالكويت، وفي تحول البلاط الملكي عبر إذاعة قصر الزهور إلى واجهة إعلامية كبيرة تهاجم بريطانيا وسياستها في المنطقة، فضلا عن تحدي الملك لكبار الساسة، الذين ارتبطت مصالحهم مع بريطانيا من أمثال نوري السعيد، الذي فرضت وزارته عليه فرضا عام ١٩٣٩. كل ذلك زاد من نقمة البريطانيين عليه. الذين لم يقتصر رد فعلهم على الاحتجاجات التي قنموها، بل وأصبحوا أكثر قناعة من السابق على ضرورة التخلص من الملك غازي<sup>(٧٧)</sup>. الذي سرعان ما لقي مصرعه وبصورة غامضة في نيسان ١٩٣٩.

<sup>(٧٦)</sup> H. Batatu, *Old Social classes and the revolutionary Movements of Iraq*, 1978, p.208.

<sup>(٧٧)</sup> F.O., 371-23700-E939, No. 35-34-9-39, January 25, 1939. M. Peterson, *North sides of the Curtain*, London, 1950, p.151.

## البحر الأحمر حلف الشمال الأطلسي<sup>(\*)</sup>

وليم دروزدياك<sup>(\*\*)</sup>

ترجمة

مصطفى نعمان احمد

تحول المد

تعد إعادة بناء الشراكة عبر الأطلسي واحدة من أهم التحديات الاستراتيجية التي تواجه الرئيس جورج بوش في ولايته الرئاسية الثانية. فبعد أن بددت التعاطف العالمي الذي تبلور إثر هجمات الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، ومدت القوات المسلحة الأمريكية إلى أبعد مما هو متوقع في أفغانستان والعراق، ولحذت عجزاً في الميزانية جد هائل بحيث لن يكون بالإمكان نقادي تكفي في قيمة الدولار إلا بضخ دفعات كبيرة من رأس المال الأجنبي، فإن واشنطن تتعلم الآن درساً قاسياً مفاده أن حتى القوة العظمى الوحيدة في الكون بحاجة إلى حلفاء. فكونها تقتصر على قوات كبيرة وأموال هائلة تتمكن بواسطتهما من صياغة العالم كما تريد، فإن الولايات المتحدة ستكون بحاجة إلى اقناع أخلاقي بدلاً من القوة للوحشية إذا ما أرادت الاستحواذ على القلوب والعقول في الخارج والبقاء على قوتها التي لا نظير لها طوال القرن الواحد والعشرين.

والمكان الذي ينبغي البدء منه هو في الديمقراطية الأربعين المنتشرة على امتداد أوروبا. فخلال السنوات الأربع المنصرمة، عانى حلف الأطلسي من ضرر جسيم. فقد تأكلت الثقة، بين كلا الجانبين، بسبب الخلاف حول حرب العراق والميل الأمريكي المتزايد للقيام بعمل أحادي، لاسيما مبدأ بوش المتمثل بالحرب الوقائية. وفي الوقت نفسه، فإن توسع الناتو والاتحاد الأوروبي انتهى صدع الحرب الباردة وأوجد

<sup>(\*)</sup> مقال منشور في مجلة "شؤون خارجية" الأمريكية ٢٠٠٥.

William Drazadiak The North Atlantic Drift Foreign Affairers, January-February 2005, pp.89-98.

<sup>(\*\*)</sup> وليام دروزدياك الرئيس للمجلس الأمريكي الخاص بألمانيا في مدينة نيويورك. وسبق أن شغل منصب المدير التنفيذي للمركز عبر الأطلسي التابع لصندوق مارشال الخاص بألمانيا الذي يتخذ من بروكسل مقراً له.

فرصاً لواشنطن لاعادة صياغة العلاقة عبر الاطلسي-الجع تحالف في التاريخ على الاراج.

ومع شروع الرئيس بوش بولايته الرئاسية الثانية، فسيكون بحاجة الى ان يبرهن لمنتقديه ان بإمكانه اعادة اكتشاف قيم الدوليين الجمهوريين. وسيتوجب عليه اعادة صياغة العلاقة عبر الاطلسي وذلك بتحويل الصراع الموحد للحرب الباردة الى تصميم جديد مشترك لمحاربة الارهاب وانتشار اسلحة الدمار الشامل، فضلاً عن الترحيب بالمبادرات الطرية لتحقيق السلام في الشرق الاوسط وازالة فتيل ازمة محتملة في الطاقة العالمية. فالتوترات بين الولايات المتحدة والدول الاوروبية لن تعمل الا على تفاقم عدم الاستقرار العالمي. ولكن هذه الامم تشكل، معاً، الاماس الوطيد لتحالف فعال للديمقراطيات التي بإمكانها قيادة دعم عالمي النطاق لجملة من المسائل المهمة. ولتحقيق هذا الفهم الاستراتيجي الجديد، يتعين على الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي دعم الجوانب الحاسمة الثلاثة لتحالفهما المتمثلة في شراكتهما الاقتصادية، واستراتيجيتهما الامنية، وسياستها الخارجية.

### زواج مصلحة:

ان أي اعادة تقييم للتحالف عبر الاطلسي ينبغي ان يبدأ بمقدمة مهمة بيد انها غالباً ما تكون مهمة: ان الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي ما انفكا المحركين التوأمين للاقتصاد العالمي ومعاً، ينهضان باعباء اكثر من نصف التجارة والتدفقات الاستثمارية في العالم. فتجارتهما مع بعضهما تتجاوز (٢,٥) تريليون دولار امريكي سنوياً وتوفر وظائف لزهاء (١٢) مليون عامل.

وخلال السنوات الثمان المنصرمة، استثمر الامريكان ما مقداره ضعفين في هولندا والمكسيك وعشرة اضعاف في الصين. وخلال هذه المدة، استثمر الاوروبيون في تكساس اكثر مما استثمر الامريكان في اليابان. واليوم، تستثمر التجارة الامريكية اكثر بمقدار (٦٠%) في أوروبا الشرقية مما تستثمره في الصين: (١٦,٦) بليون دولار مقابل (١٠,٣) بليون دولار، طبقاً لحدث بيانات صادرة عن وزارة التجارة الامريكية. وعلى العكس، توفر أوروبا (٧٥%) من مجمل خارجي للوظائف في امريكا؛ فشركة سيمدس الصناعية الالمانية العملاقة توظف لوحدها زهاء (٧٠) ألف امريكي.

لقد اثبتت هذه الاستثمارات عبر الاطلسي انها جد مربحة. ففي عام ٢٠٠٣، وبينما اوردت وسائل الاعلام ان الامريكان كانوا يسكبون نبيذ بورفو في البالوعات احتجاجاً على موقف فرنسا من الحرب في العراق، فان شركة امريكا المتحدة وجنت ان الارباح والتدفقات الاستثمارية من فرنسا تصاعدت الى اعلى مستوى لها خلال ما



يقارب عقد: (٢,٤) بليون دولار و(١,٧) بليون دولار على التوالي. فالأرباح التي حققتها المؤسسات الأمريكية في أوروبا ارتفعت إلى (٧٧) بليون دولار، والاستثمارات الأمريكية في أوروبا قفزت بنسبة (٣٠%) إلى (٧٨) بليون دولار. وشركات التكنولوجيا الأمريكية الكبرى، كميكروسوفت وإنتل، تتبأت أن ضعف عوائدها العالمية ستأتي من أوروبا في ٢٠٠٥.

ولذا يقول قادة القطاع التجاري الأمريكي إن المستهلكين الاتحاد الأوروبي الأثرياء مازالوا يشكلون المجموعة الأكبر للقوة الشرائية في العالم. ويقولون أيضاً إن المصلحة الشخصية الاقتصادية ينبغي أن تكون كافية بحد ذاتها لاقناع الديمقراطيين والجمهوريين في الولايات المتحدة إذا ما أراد حماية الشراكة الأطلسية-ذلك إن القوة الاقتصادية المشتركة للولايات المتحدة وأوروبا ستمنحها طاقة هائلة للتعامل مع التحديات العالمية الرئيسية.

ورغم بلايين الدولارات المستثمرة فعلياً في كلا الجانبين، فإن الامكانية الكاملة للعلاقة الاقتصادية الأمريكية-الأوروبية لم تتحقق بعد. فما زالت ثمة أربعة تحديات كبيرة. يُمثل التحدي الأول في إدارة العالم الغربي لازمة الوظائف المتناقصة (التي تسبب بعض الشيء جراء وجود أماكن للآجر الرخيص كالصين والهند) دون اللجوء إلى إجراءات حمائية شديدة القسوة كتلك التي أحدثت الكماد الكبير. والتحدي الثاني يكمن في أن الولايات المتحدة وأوروبا، بوصفهما المستهلكين الرئيسيين للنفط، والفحم، والغاز في العالم، بحاجة ماسة إلى دراسة الطاقة المشتركة والاستراتيجيات البيئية لتقليل اعتمادهما على الوقود الأحفوري وتقليل انبعاث الغازات من البيوت الزجاجية. ويمثل التحدي الثالث في وجوب قيامهما بعقد دورة الدوحة لمفاوضات التجارة العالمية وذلك باتفاقهما على تخفيض المزيد من (٣٠٠) بليون دولار الخاصة باعانات التصدير الحفلي، التي تضر بالمنتجين في الدول النامية وتعمق الانقسام بين الدول الغنية والفقيرة. وأخيراً، يتعين عليهما دراسة الإصلاحات المالية العالمية لتجنب أزمة في قيمة الدولار والاعتماد بالحسبان الأهمية المتزايدة لليورو.

وبدون شك، فإن أوروبا والولايات المتحدة سيختلفان أحياناً حول قضايا تجارية، فالتوترات قد تتفاقم جراء الرغبة المتزايدة للاتحاد الأوروبي المتوسع بمواجهة الولايات المتحدة حول الإعانات المالية للطائرات، والأنظمة المضادة للتروستات أو التجميع لضخم للرسميل، والأغذية المهندسة لحياتياً، والاستسناخ. غير أن للتجارة جد تعمل على نشر الشراكة عبر المحيط الأطلسي بحيث إن المصالح الفعالة في أوروبا والولايات المتحدة ستدفع باتجاه اتخاذ قرار سلمي فيما يخص هذه الأمور. أوجدت حقيقة أن كلتا الشركتين توظفان آلاف العمال في كلا جانبي الأطلسي جماعة ضغط هائلة تبحث عن تسوية للحفاظ على الوظائف والمنافسة السليمة. ولهذا،

ورغم بعض الاختلافات التي لا يمكن تجنبها، فإن قوى العولمة والاسواق التنافسية تقربان الولايات المتحدة واوربا من بعضهما، ولا تجعلهما بعيداً عن الآخر.

### الاهداف المتحركة

ستتمثل المهمة الاصب في تقريب الثقة فيما يخص السياسة الامنية والخارجية التي اتسعت بشكل جد مفاجئ جراء الاختلافات حول الحرب في العراق. وحتى افضل نوايا الطرفين قد لا تكون كافية لتهدئة الخلافات الحالية. وفي الواقع، فإن الاختلافات الجوهرية حول الاحادية ومنع استخدام القوة طرحت سؤالاً مزعجاً: هل بإمكان اوربا والولايات المتحدة تطوير جدول اعمال استراتيجي مشترك للتعامل مع تهديدات القرن الواحد والعشرين، ام هل سيتجاهلان فكرة النفاق الجماعي مع انتهاء الحرب الباردة وبسيران بطرق منفصلة؟

ان التوترات في هذه المنطقة ليست بالشئ الجديد. فمنذ انشاء الناتو لمواجهة السياسة التوسعية السوفيتية قبل اكثر من نصف قرن، يحاول الامريكان والاوربيون تجنب الازمات التي تتحدى ديمومة الحلف. فهزيمة السويس، وضغينة حرب فيتنام، وطرده شارل ديغول للناتو والجنود الامريكان من فرنسا، والاحتجاجات الجماهيرية في الثمانينيات على نشر معدات نووية وصواريخ كروز في اوربا كلها دعمت التخمين ان الحلفاء الغربيين كانوا على شفا الاطلاق. ومع ذلك فإن النفور الحالي يبدو اشد خطورة. فانهيار الاتحاد السوفيتي وهجمات الحادي عشر من ايلول غيرتاً تغييراً جوهرياً الاعتقاد بأن لاوربا والولايات المتحدة مصالح امنية خاصة.

وخلال الحرب الباردة، تملك الاوربيون الخوف من ان بلدانهم قد تتحول الى ساحة حرب نووية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. بيد ان هذا الكابوس بدأ بالتلاشي مع انهيار جدار برلين في التاسع من تشرين الثاني ١٩٨٩ (التاسع من تشرين الثاني هو التاريخ الذي ترد صداه عند الاوربيين بذات القوة التي ترد فيها صدى التاسع من ايلول عند الامريكان تقريباً). والان، وللمرة الاولى منذ اجيال عدة، فإن الاعمال العدائية بين فرنسا والمانيا باتت امراً لا يمكن التفكير فيه. وفي الواقع، فإن الحربين للعالميتين الضروستين جعلتا العديد من الاوربيين حزينين من استخدام القوة العسكرية لاي سبب كان. فانهيار الاتحاد السوفيتي، وتفاؤل الصراع الداخلي في البلقان، والتوسع الناجح للناتو والاتحاد الاوربي ليشمل اوربا الوسطى والشرقية ازلت كل التهديدات المنظورة للنظام السلمي للقارة.

منذ الحادي عشر من ايلول والامريكان يشعرون بعدم الارتياح. ونتيجة لذلك، تبلورت لديهم دوافع مادية قوية، مع القليل من الكواج حوا استخدام نفوذ بلدهم العسكري المرعب، لاسيما في الحرب على الارهاب. والاوروبيون لا يفهمون الجرح

الأمريكي فهما كاملاً، بعض الشيء لانهما، على الجانب الآخر من الأطلسي، يتمتعون بدرجة لا سابق لها من استتباب الهدوء. ولخشيتهم من تعكير صفو هذا الاستقرار يبدو العديد من الأوروبيين الآن معارضين للتدخل في صراعات بعيدة وغير شرعية في العراق أو إيران إيفاءً للالتزامات العسكرية مع الولايات المتحدة. فالى جانب الازدراء بقيادة بوش، فإن الخشية حفرت أوروبا على دراسة الحكمة من حشد القوات العسكرية والموارد لصالح لجندة أمنية تقودها واشنطن. فما من رئيس أمريكي، مهما كان موقفه ودياً تجاه حلفائه الأوروبيين، يأمل الأمن باستعادة الولاة الأوروبي للقيادة الأمريكية الذي ساد طوال النصف قرن الذي تلا الحرب العالمية الثانية.

ومع ذلك، فإن الصدع في العلاقات عبر الأطلسي ليس عصبياً على الإصلاح. ففي استطلاع حديث للرأي أجراه صندوق مارشال الألماني في الولايات المتحدة في حزيران ٢٠٠٤ وجد، للمرة الأولى منذ ان بدأت استطلاعات كهذه في ٢٠٠١، ان (٥٨%) من مجموع عشرة آلاف أوروبي تقريباً استطلعت آراؤهم في تسعة بلدان اعتقدوا انه من غير المرغوب فيه وجود قيادة أمريكية قوية في العالم. وفي الوقت نفسه، وجد استطلاع أجرته مؤسسة ترانس اتلانتيك تريندس (Transatlantic Trends) ان (٧٩%) من مجموع أربعة آلاف أمريكي أرادوا ان يخضع الاتحاد الأوروبي لقيادة عالمية. وهذه النتائج عكست زيادة في الغضب الأوروبي على ادارة واشنطن للشؤون العالمية وفي الدعم الشعبي الأمريكي للمزيد من تأكيد الشراكة مع الاتحاد الأوروبي. واعتقدوا ان للادارة الأمريكية الجديدة فرصة عظيمة في بناء شراكة أكثر عدلاً تتال رضا كل من المصوتين الأمريكيان، الذين لم يعودوا راغبين بضبط الأمن في العالم لوحدهم، ومن الأوروبيين، الذين يرغبون بتقييد القوة الأمريكية.

ان التغييرات الدولية للحالية في أوروبا قد تعمل على تعقيد مهمة واشنطن. فالمناقشات ضمن الاتحاد الأوروبي حول المصادقة على الدستور الأوروبي واستمرار التوسع في العضوية قد تؤخر حواراً جديداً حول المسائل العالمية الملحة مع الولايات المتحدة. فالنقاش القديم حول "ماهية أوروبا؟" - الذي جعل الفيدراليين يؤيدون نوعاً من الولايات المتحدة لاوربا مقابل القوميين الذين يفضلون اتحاداً طليقاً يعزز السيادة الوطنية - قد جرى تجاوزه جراء الجدل الملهب حول "لين أوروبا؟". فرومانيا وبلغاريا من المزمع ان تنضم الى الاتحاد الأوروبي في ٢٠٠٧. ومع تركيا التي تنتظر مفاوضات القبول في عضوية الاتحاد، يشعر الأوروبيون بالحاجة الى التأكد فيما لو انهم سيفقدون وسائل الأمان التقليدية بانضمام تركيا ذات الـ (٧٥) مليون مسلم وامتداد الاتحاد الأوروبي الى حدود الشرق الأوسط.

وزيادة على ذلك، تحركت النانو ابعاد بكثير من مسرح عملياتها الطبيعي، حين اضطلعت بقيادة جهد ضغط السلام الدولي في افغانستان. وكان بإمكان تفويضها المتنامي ان يخلق خلافاً لاسيما بين النانو والاتحاد الاوربي، رغم ان تسع عشرة دولة اوروبية تنتمي الى كلتا المنظمتين. واعضاؤها يناضلون، على سبيل المثال، من اجل ارضاء وجهات النظر الروسية المتعارضة. فجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق ودول اوربا الشرقية حذرة من ان تصبح تابعة للمخطط السابق في الكرملين. وفي غضون ذلك، فان حكومتي فرنسا والمانيا تواقفتين لكسب ود الرئيس فلاديمير بونين بغية الوصول الى النفط الروسي وتجهيزات الغاز.

وعلى الرغم من ذلك، قدمت التغييرات الهيكلية لاوروبا فرصة نادرة لواشنطن لاعادة صياغة الاجندة الامنية لحلف الاطلسي في هذا القرن. فمعظم فترات نصف القرن المنصرم، انصب التركيز للرئيس للسياسة الامريكية الخارجية على الحيلولة دون غزو الاتحاد السوفيتي وحلفائه لاوروبا الغربية وبلورة اوربا معافاة وحررة. وبما ان هذه الاهداف قد تحققت، فان الولايات المتحدة بحاجة الى اعادة تنظيم مصالحها الامنية الحالية والمستقبلية التي ستكون على الفضل حال جعل اوربا شريك كامل في ادارة الشؤون العالمية.

ورغم الخسارة التي لحقت بصورة واشنطن جراء التمرد في العراق والانتهاكات في ابي غريب وغوانتانامو، اعترف الاوروبيون بأنه لا يمكن السماح للولايات المتحدة بالاختفاق في اعادة بناء افغانستان والعراق وفي جلب الديمقراطية الى الشرق الاوسط الكبير. فادارة بوش ما زالت معتمدة على الدعم المهم الذي تتلقاه من المملكة المتحدة، فضلاً عن هولندا، ودول البلقان، والديمقراطيات الجديدة في اوربا الوسطى والشرقية التي ما فتئت ممثلة امتناناً عميقاً دور امريكا في تحريرها من الديكتاتوريات الشيوعية.

ولكن حتى في هذه الدول، فان النية بمقدور واشنطن الحفاظ على الدعم الا باعادة سلك الطريق الذي قامت بوساطته بادارة العلاقة عبر الاطلسي، واخذ الحساسيات الجغرافية الاوروبية، والاحتياجات الامنية، والمصالح السياسية المتميزة في الحسبان. وفي بعض الحالات، قد تحتاج الولايات المتحدة الى التخلي عن المبادرة فيما يخص بعض الامور الامنية الاقليمية كي تشجع اوربا على انجاز طموحاتها ومسؤولياتها العالمية الابرز.

ويعترف منتقدو الاتحاد الاوربي ان الدول الاوروبية قد حققت نجاحاً مذهباً في اضعاف الاستقرار على قارة عبثت بها الحرب بصورة دائمية - اولا بالمصالحة الفرنسية الالمانية، وبعدها بضم الدول الشيوعية السابقة ضمن سوق موحد والمنطقة الامنية للنانو، ولكن بما ان اوربا بمنأى عن التهديدات التي تستلزم تدخلاً امريكياً

كبيراً، فإن المتشككين الأمريكيين-لأسيما المحافظين الجدد الذين يعتقدون ان اوربا لم تعد تشاطر وجهة النظر الامريكية العالمية-يعتقدون ان حلف الاطلسي لا يستحق ان يمثل اولوية رئيسة في السياسة الخارجية ل واشنطون. ويزعمون ان عدم الاهتمام باوربا له ما يبرره لان اوربا برهت على انها معارضة لظهور قوة سياسية وعسكرية تتناسب ووزنها الاقتصادي لمساعدة الولايات المتحدة في مواجهة التهديد الجديد للارهاب الجهادي، وازدراءً باجراءات الاتحاد الاوربي، فان هؤلاء المنتقدين اطلقوا على خافيير سولانا، مفوض الاتحاد الاوربي للسياستين الخارجية والامنية، تسمية "المفوض السامي للمستوى الاقل شيوعاً".

ومع ذلك فان هؤلاء المنتقدين ليسوا محقنين تماماً، ولم يعترفوا بأن قلقهم قد اخذ على محمل الجد. فسولانا، الذي بالامكان ان يصبح اول وزير خارجية لاوربا بموجب الدستور، اعترف بان اوربا بحاجة الى اتخاذ موقف اصعب، واكثر فاعلية لزاء خطر المتطرفين الاسلاميين، بدلاً من توجيه النقد غير الموجب للسياسة الامريكية. وقال ان الاتحاد الاوربي يكافح من اجل رصف سياسته الخارجية واولوياته الامنية مع مثيلاتها الامريكية. ففي كانون الاول ٢٠٠٣، صادق قادة اوربا على استراتيجية أمنية جديدة تشجع على بسط قوة في الخارج لتعمل كدفاع متقدم لزاء التهديد الذي تشكله الدول المخدولة، والارهاب، واسلحة الدمار الشامل. وصادقوا ايضا على تقاسم المعلومات الاستخبارية، وتنسيق جهود مناهضة الارهاب، وايجاد امر اعتقال اوربي يسهل تسليم الارهابيين. وكلما حققت اوربا قدرة اكبر على التعامل مع التهديدات العالمية، فسان الولايات المتحدة ستجد ان بالامكان استخدام مواردها الخاصة بصورة اكثر فاعلية بالترافق مع شريك اوربي اقوى،

#### شرطي جيد، شرطي رديء

بامكان اوربا والولايات المتحدة الامريكية ان تجدا أيضاً ارضية مشتركة تخص السياسة الخارجية. فرغم الانقسامات العاطفية المترددة ضمن اوربا حول التدخل الامريكي في العراق، فلا يزال ثمة دعم كبير عبر الاتحاد الاوربي لاجراء تنسيق اكبر مع واشنطون، فقد واصل سولانا عملية الوثيق مع وزير الخارجية كولن باول للبقاء على جهود حفظ السلام في البلقان والشرق الاوسط. ومع ان وضع كوسوفو لما يزل دون حل و"خارطة الطريق" لاحلال سلام اسرائيلي-فلسطيني وصلت الى طريق مسدود، فإن تقدماً متواضعاً قد تحقق في التعاون عبر الاطلسي فيما يتعلق بكلتا المسألتين. فخليفة باول، كوندوليزا رايس، بمقنورها بل ويتوجب عليها ان تعتمد على التطورات الجديدة، كاضطلاح اوربا بهمام حفظ السلام في البلقان والقيادة الفلسطينية الجديدة اثر وفاة ياسر عرفات.

فالموجودات الامريكية والاوربية مكملة لبعضها البعض. والميل الاوربي لتقديم حوافز دبلوماسية ينبغي ان يتوافق مع الميل الامريكي باستخدام تهديد القوة العسكرية. فالدبلوماسية المتناسقة ستساعد على انجاز طموحات اوربا بلعب دور اكثر فاعلية في الشؤون العالمية مما يشجعها على العمل بصورة وثيقة في شراكة مع الولايات المتحدة. وفي الوقت ذاته، فإن اقامة جبهة موحدة سيعيد للجراء الامريكي الشرعية الدولية التي افقدتها الاحادية للعنيفة لادارة بوش.

وعلى واشنطن السماح لحلفائها في اوربا بنزع المبادرات السياسية الجديدة في مناطق يتمتعون فيها بنفوذ اكبر او صلات تاريخية. خذ ايران على سبيل المثال. فادارة بوش كانت متشككة حوا اعلان ايران ان انشطتها النووية مكرسة للاغراض السلمية فقط، بيد انها شجعت اوربا على القيام بمحاولة اخيرة لاقتناع طهران بايقاف أنشطة تخصيب اليورانيوم والتأكيد للعالم انها لا تحاول انتاج اسلحة نووية.

ويقول الدبلوماسيون الاوربيون ان رفض ايران قبول العرض الاوربي، الذي يشمل تعزيز الامكانيات التجارية وتأكيد تجهيزات الوقود النووي، سيؤدي قطعاً الى دعم الاتحاد الاوربي لعقوبات الامم المتحدة التي تؤيدها الولايات المتحدة الامريكية. وفي الواقع، فإن توافق الدبلوماسية الاوربية والتهديدات الامريكية بفرض عقوبات اشد قد عززت الآمال من ان ايران ستلتزم في نهاية الامر باتفاقيتها الاخيرة بوقف كل أنشطة تخصيب اليورانيوم.

ان دور ناشط لاوربا كان من الممكن أيضاً ان يتمخض عن تأثيرات مفيدة تخص جهود الوساطة بين الاسرائيليين والفلسطينيين. فطالما كان ينظر الى الولايات المتحدة على انها القوة الخارجية الوحيدة القادرة على الحصول على تكاليفات من اسرائيل تشمل تفكيك المستوطنات في غزة والضفة الغربية بينما انحصر دور اوربا بتقديم المساعدات الانسانية والدعم المالي الى الفلسطينيين. ومع ذلك فإن نورا ناشطاً للاتحاد الاوربي يتم من خلاله تقديم الحوافز التجارية والمساعدات الى اسرائيل من الممكن ان يساعد في اعادة الطرفين الى طاولة المفاوضات. لكن، ورغم العلاقات الانمينة الوثيقة مع الولايات المتحدة الامريكية، فإن اسرائيل ما انفكت تعد الاتحاد الاوربي شريكها الاقتصادي الاهم.

ان دبلوماسية اقتسام الجهد ستخفف من عبء الولايات المتحدة التي تحمل حصة الاسد من مسؤوليات حفظ السلام الاقليمي. ويقول المحللون انها ستساعد على دحض سمعة "التهرب" التي اكتسبها الاوربيون جراء تهربهم احياناً من المهمات العسكرية الصعبة علماً بأن الولايات المتحدة هي التي كانت تعوض هذا التهرب في اداء الواجب. ففي البلقان، حيث سرعان ما سبضطلع الاتحاد الاوربي بالسيطرة على حفظ السلام الدولي، فإن نوعاً كهذا من اعادة التقييم جارياً فعلياً.

وقد يكون ثمة تغيير اكبر في الواجبات. وفي الحقيقة، فإن الحلفاء الاوربيين قد كیفوا قواتهم العسكرية لبيئة ما بعد الحرب الباردة بشكل افضل مما يعتقد المنتقدون في امريكا. فالقوات المسلحة الامريكية تضم حوالي (١,٤) مليون رجل وامرأة، مع حوال (٤٠٠) الف جندي في قوات الانتشار الخارجي. ولدول الاتحاد الاوربي الخمس والعشرين (١,٩) مليون عسكري في قواتهم المسلحة، ومع ان (٥٠) الف منهم فقط بالامكان ارسالهم الى الخارج، فان هذا الرقم من المتوقع ان يصل الى (٢٠٠) السف خلال العقد القادم. والميزانية السنوية لاعضاء الاتحاد الاوربي البالغة (١٧٥) بليون دولار الخاصة بشؤون الدفاع قد تبدو ضئيلة قياساً بميزانية الولايات المتحدة التي تبلغ (٥٠٠) بليون دولار للسنة المالية الجارية، لكنها تتجاوز الميزانيات العسكرية للصين، واليابان، وروسيا مجتمعة.

وعلاوة على ذلك، جرى تنفيذ عدد من المشاريع الرئيسية لاصلاح النواقص العسكرية لاوربا وتجهيزها باسطول نقل جوي طويل المدى، ومنظومة استطلاع مستقلة ذاتياً للاقمار الصناعية، واسلحة جديدة دقيقة للتوجيه، ومئات الطائرات السمنية الخفيفة المستعملة في النقل. وهناك الان (١٩) الف جندي من خمس عشرة دولة اوربية من اعضاء الناتو في العراق وسبعة آلاف جندي اوربي في قوات حفظ السلام التابعة للناتو في افغانستان.

وفي البلقان، فان القوات الاوربية البالغ عددها (٣٠) الف جندي والتي تضطلع بقيادة قوات حفظ السلام في كل المواقع الساخنة للمنطقة تقريباً، وتشمل البانيا، البوسنة، وكوسوفو، ومقدونيا، يفوق عددها عدد القوات الامريكية. ولتوقعها ان المهام المستقبلية ستستلزم دوريات شوارع بدلاً من قوة نارية، فقد تم انشاء قوة شرطة جديدة يبلغ تعدادها (٥٠٠) جندي تابعة للاتحاد الاوربي للقيام بواجبات حفظ السلام في الخارج. وثلاث مهام من هذا النوع اجريت تحت علم الاتحاد الاوربي في ٢٠٠٣، في جمهورية الكونغو الديمقراطية، والبوسنة، ومقدونيا.

### نزعة ثالثة

"اذا اردت الحصول على وجبة رخيصة من احياء معينة في امريكا، فكل ما يتعين عليك عمله هو ان تعنف الامم المتحدة، او الفرنسيين، او الفكرة القائلة ان الحلفاء مؤهلون لبلورة افكارهم الخاصة" هذا ما قاله جريس باتين، مفوض الاتحاد الاوربي آنذاك امام البرلمان الاوربي في شهر ايلول. ومضى قائلاً ان الاوربيين يعتقدون ان اشارة واشنطن للحروب سيجعلهم في حل من وجوب قيامهم بتحديد سياستهم الخارجية. ومضى محذراً "ان العالم يستحق افضل من التهرب من المسؤولية في جانب والاستكبار في جانب آخر".

ورغم ان الخلافات للحادة في الرأي ستستمر ، لاسباب تتعلق بالوضع السياسي، فانها ينبغي ان لا تعوق التزامات الحلفاء بالعمل معاً. فاوربا ستبقى تدين عقوبة الاعداء واقحام القومية الدينية في السياسة الامريكية، والامريكان سينتقدون البرامج السخية للرعاية في اوربا وانظمة السوق الابوية فيها. ولكن بسبب مواردها الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية الهائلة، فان الولايات المتحدة والاتحاد الاوربي بحاجة الى انتهاز الازمة الحالية كفرصة لتجديد تحالفهما. فلكي تتال الشراكة الاطلسية فرصة حياة جديدة، يتعين على الحلفاء اعادة اكتشاف الاحترام والتسامح المتبادلين والسعي، وفقاً للتقاليد الديمقراطية، الى تسوية خلافتهما بدلاً من توجيه النقد لسدواف بعضهما البعض.

تلك الادارات الجديدة تتسلم الان السلطة في واشنطن وبروكسل وبحوزتها جداول اعمال دسمة تمثل فرصة غير متوقعة لاعادة الاهمية للشراكة الامريكية-الاوربية. وحين يقيم اولوياته وينقق في اختيار فريقه للامن القومي، فان الرئيس بوش يبدأ ولايته الجديدة وصورة امريكا في العالم اكثر قتامة من أي وقت مضى في التاريخ الحديث. ورغم ان معظم الاوربيين يساورهم الشك من التزام بوش بالتحالف، فلما يزل بإمكانه الاعتماد على الدعم من رئيس الوزراء البريطاني توني بلير ووجهات النظر الاطلسية لمفوض تنفيذي جديد للاتحاد الاوربي يرأسه رئيس الوزراء البرتغالي السابق، جوس مانويل باروسو. ومعاً، بإمكانهم مساعدة القادة الامريكان والاوربيين كي يضعوا نصب اعينهم ان الحلف الاطلسي سيبقى مؤسسة حاسمة للنظام العالمي، والذي بالامكان بل يجب الحفاظ عليه بتوافق القوة العسكرية الامريكية والشرعية الدبلوماسية للديمقراطيات الاوربية المتعددة. وقد زعم احد هذه الشعارات التي رفعها بوش في ادارته الاولى ان المهمة تحدد الائتلاف. وبما انه يبحث عن مكان له في التاريخ-وليس مجرد الرئاسة-فان بوش سيفعل ما بوسعته لتعديل هذا الشعار. وولايته الرئاسية الثانية ستكون اكثر نجاحاً بكثير اذا ما تمكن من الاعتراف باهمية ضمان الدعم بين حلفاء الولايات المتحدة الامريكية للتقليديين قبل الشروع بمهام في الخارج.



## قسمه العتول

الحماية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي

تأليف: فيليب تايلور

ترجمة سامي خشبة

معرض: أ.د. ناظم عبد الواحد الجاسور

السلطة السياسية والاعلام قوتان لكل منهما  
كيان معنوي وشخصية اعتبارية ودور اساسي

لم يكن الاعلام بكل مفاهيمه والنظريات التي عالجته، غير تلك الاداة التي يتم من خلالها الاتصال ما بين السلطة والشعب. الا ان الشيء اللافت للانتباه، هو ان هناك دائماً تقاعلاً بين السلطة السياسية والاعلام كقوتين لكل منهما كيان معنوي وشخصية اعتبارية ودور اساسي، مما يجعلها يتناقضان بحكم طبيعة تكوينهما واهدافهما، حسب النظم الاجتماعية والاقتصادية السائدة. وهذا التناقض القائم، هو ان السلطة السياسية احياناً تطوع الاعلام كاداة اتصال و"تثوير" لصالح اهدافها السياسية، من خلال ترسيخ وعي سياسي يتناسب، ليس فقط مع مصادر سلطاتها، وانما بالشكل الذي تستطيع ان تكون ممارستها للسلطة وآلية صنع قراراتها السياسية تحظى بالاقناع والقبول الشعبي، وخاصة تكريس نزعاتها الحربية والقرارات التي تتخذ بهذا الصدد. اذ ان الدعاية للحرب تشكل في تلك اللحظة من اهم اولويات القرارات السياسية والعسكرية التي تتخذها السلطة مستندة الى الاجماع الوطني-القومي الذي لا يمكن الحصول عليه بدون اعلام مدروس ودعاية منسقة أخذة بنظر اعتبارها كل الجوانب السياسية، الايديولوجية النفسية، وفي إطار ظروف تاريخية، اجتماعية وسياسية وثقافية محددة.

وهذه الحالة لم تتغير منذ برز الى الوجود اول تكوين جنيني للسلطة السياسية، وحتى الوقت الحاضر حيث التقدم التكنولوجي اعطى لسلطة وسائل ذات قوة رهيبية وجبارة لكي تمارس عملية غسل الدماغ او ترويج افكار وراء معينة، او عقائد، او

تسويغ مبررات قد توصف من قبل الآخرين بأنها غير عملية، او غير موضوعية، او لا متوازنة، الا انها تصب في الهدف النهائي الذي تنتظره السلطة وخصوصاً في دعايتها الاعلامية للحرب التي لم تكن حسب تعبير كلاوفيلز غير "امتداداً للسياسة بوسائل مختلفة".

والكتاب الذي نعرضه للقارئ العزيز يقدم لنا صورة بانورامية مترامية الابعاد عن كيفية صياغة الدعاية عن الحرب في اطارها السياسي، الثقافي والاجتماعي والتكنولوجي، وعلى مر العصور الانسانية، حتى ان هناك من امن ما للدعاية من قوة بحيث يجعلها قادرة على تغيير مسار التاريخ، وهناك من يعتقد بالمقابل بأنها عامل مساعد للعوامل الالهية المكونة للحركة الفعلية للتاريخ.

## تهاجم الحرب الجسد وتنقض الدعاية على العقل

ويؤكد الاستاذ سامي خشبة في مقدمة ترجمته للكتاب، بأنه على الرغم من الموضوع الذي يحدده العنوان للكتاب وتخصص مؤلفه يضعان الكتاب في دائرة العلوم السياسية، فإن موضوع الدعاية ذاته يضع الكتاب بقوة في "خانة" العلوم الاعلامية الحديثة، ولكنه يضع داخل هذه "الخانة" في مكان لا بد ان يكون من ناحية قريب اشد القرب من دائرة العلوم النفسية، وعلم النفس الاجتماعي وعلم نفس الحشود او الجماهير بشكل خاص، وقريباً من دائرة العلوم العسكرية: علوم التعبئة الاجتماعية/النفسية للحرب، وعلوم او فنون القيادة، اضافة على علم تاريخ الجيوش شديد الارتباط بالتاريخ السياسي الاجتماعي وتاريخ كل من الاسلحة والجندية، وشديد الارتباط بتاريخ التطور التكنولوجي والتعليم، وانه كتاب في علم تاريخ وسائل الاتصال ووسائل توظيفها لخدمة الهدف الذي تحدده السلطة.

وعلى ضوء ذلك، فان كتاب الاستاذ تايلور، "قصص العقول، الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصور النووي"، ضم خمسة اقسام عالجت اربعة وعشرين موضوعاً اضافة الى التمهيد والمقدمة التي تناولت الحرب والدعاية والعمليات النفسية، حيث وصفت الحرب بأنها لم تكن في جوهرها غير تبادل منظم للعنف. والدعاية في جوهرها عملية اقناع منظمة. وبينما تهاجم الاولى الجسد، فان الثانية تنقض على العقل. (ص ٢٣)، ويؤكد مؤلف الكتاب بأنه على الرغم من ان الدعاية للحرب قد ازدادت تعقيداً واتساعاً-زيادة مثيرة في القرن الحالي، فانها نشاط يرجع الزمن الذي النقطة فيه انسان ما، للمرة الاولى، عصا غليظة في سورة الغضب. والكتاب كرس

لتحدي الفرضية القائلة بأن الدعاية شيء مختلف تماماً بوصفها عملية مرفوضة رفضاً كلياً، لأنها الوضع لكي تتسبب ارادة الاثتراك في فن الحرب المقبول، كونها نشاطاً انسانياً وطبيعياً ومجيداً، اذ يقول بأن الدعاية ذاتها ليست عملاً خبيثاً ولا شريراً. انها في الحقيقة ليست اكثر من تنظيم الوسائل التي تصمم لاقناع الناس بأن يفكروا ويسلكوا بطريقة معينة. وان هدفه في ذلك ابعاد أي نقد اخلاقي عن الدعاية ذاتها ص ٢٤.

وبعد ان يعطي تعريفاً للدعاية وعلاقاتها بنجاح الحرب وفشلها، وبالتاريخ الانساني، يؤكد على ان الدعاية-اذن-في زمن الحرب هي عملية ترسم خططها لاقناع الناس بأن يخوضوا القتال.. والحرب النفسية-من الجانب الآخر-هي الدعاية المخططة لاقناع الطرف المقابل الا يخوض القتال (ص ٢٦).

### امدتنا الامبراطورية الآشورية بمصدر اكثر ثراء للدعاية للحرب من الامبراطورية البابلية

فقد كرس القسم الاول لتسليط الضوء على الدعاية للحرب في العالم القديم، حيث البداية التي عاشها الانسان في العصر الحجري القديم كانت بداية عذبة، وان البيئة كانت اكبر اعدائه الامر الذي اختلف فيه العلماء الانثروبولوجيون حول "عدائية" او "سلمية" الانسان القديم، وما هي الاسباب التي دفعت الى ان ينظم نفسه لخوض الحرب من خلال ابتكار لقنعة وصيحات الحرب واشارات التهديد، سواء كان لكي يخيف اعداءه، او لكي يؤثر في اصنفائه (ص ٣٣). ويشير الاستاذ تايلور بأنه مع وصول "الحضارة" قد ادى الى تطوير منظمات اجتماعية منظمة ومؤسساته وبنى طبقية وهندسية معمارية وتجارة ودين، وان ذلك اول ما حصل في دلتا القسرات حوالي ٥ آلاف ق.م، حيث اشرق ظهور اسلحة ثورية كالمقلاع والقسوس والمسهم والخنجر، اضافة الى ما كانت تطوق به المدن المنشأة نفسها بأبراج عالية وحصينة دفاعاً للاخطار. وقد وصل طول الجدار حول مدينة اوروك الى ما يقرب من ستة اميال مع اكثر من ٩٠٠ برج، وهذا يدفع الى الاستنتاج بأن وجود مثل هذه الجدران يوحي بأن العمليات الحربية المنتظمة كانت قد تطورت الى درجة لا بأس بها مع بداية العصر الحجري الحديث، ولا نستطيع ان نبدأ الحديث للصائب عن العمليات الحربية وعن الدعاية للحرب الا مع تنظيم العنف (ص ٣٥).

ومن خلال استعراض المؤلف للامبراطوريات التي برزت في حضارة وادي الرافدين، يؤكد بأن الامبراطورية الآشورية امدتنا بمصدر اكثر ثراء بكثير-للدعاية للحرب-مما امدتنا به الامبراطورية البابلية، حيث ان هناك دوراً كبيراً للكهنه في تأليف وحك الدعاية الحربية، وكانت النذور والتنبؤات والكهانات اشكالاً من الاقناع

الاجتماعي، وكان للدين-مبدئياً- هو المصدر الذي استمدت منه الدعاية المتعلقة بالنتائج المتوقعة للحروب الوشيكة. وكان استحضار الآلهة وسيلة مثلى للمحافظة على سلطة ومكانة الكهان في مجتمع تحكمه الخرافات، ولكنه أيضاً وسيلة مناسبة لرفع المعنويات قبل القتال اذا ما كان الكهنة على رأي واحد. (ص ٣٦).

ويؤكد تاييلور بأن التحول التدريجي من الحرب التي شنّها اصحابها بأسم الآلهة الى الحرب التي تشن باسم الملك، يرجع جزئياً الى تأثير الملوك المصريين السنين طوروا اشكال الدعاية الخاصة بهم، وخاصة الابنية والنصب العامة مثل الاهرام وابي الهول. (ص ٤٠).

### حصان طروادة:

#### اقدم امثلة الخداع في الحرب

اما في اليونان القديمة فقد اعتبر جميع غير اليونانيين "برابرة"، أي الناس الذين لا يتكلمون اليونانية. ومن بين اشهر الحروب التي قدمت واحداً من اقدم امثلة الخداع في الحرب، هي حصان طروادة، بين الروايات المحلية مثل الالابذة وغيرها قدمت الكثير من الأدلة على توضيح النظرات المتعمقة على مفاهيم الاغريق عن اساليب الدعاية للحرب. إذ يشير تاييلور الى ان اليونانيين خاضوا حروبهم كما لو كانت مبارزات جماعية، حيث الحملات كانت قصيرة المدى، وعادة ما كانت المعارك حاسمة، وكان مدى تكتيكاتهم محدوداً نسبياً، وتعكس تطور نظام المدينة-الدولة، وهم يتصدرون لخصومهم مواجهة كتلة واحدة، الا انها تحتاج الى الكثير من جهود رفع المعنويات كان القتال واجباً ينبغي ادائه للدولة، ولكنه كان أيضاً عملاً مرعباً. ودائماً ما خطب القادة اليونانيون في قواتهم قبل المعارك في محاولة لرفع الروح المعنوية. (ص ٤٦).

وقد كان للدين في الحروب اليونانية اهمية نفسية، فالبشائر والنذور والخوارق كانت تستخدم في الاستعدادات النفسية للمعارك بوصفها علامات من الارباب. وقد ارسل اليونانيون طبقاً لما يقوله هيرودوتس سفينة لتعود بأله الحرب عندهم قبل معركة ساملاميس. وتشير الحكايات المعاصرة للمعركة نفسها الى ظهور بعض الارباب ظهوراً فعلياً وسط القتال، الامر الذي ادى الى ان يعتقد المحاربون انهم يقاتلون جنباً الى جنب ابطالهم واربابهم، بل ان الاسكندر الاكبر قد استغل مدرباً مزوداً برأس انساني مصنوع من اللقماش لكي يثبت لجنوده ان الآلهة اسكليبيوس الذي كان يرسم عادة على شكل افعى يقف الى جانبهم. فلقد كان الخداع وتشويه المعلومات او

نقصها ملامح رئيسية عضوية في اعمال الحرب اليونانية التي حظيت بدراسات وافية من قبل الفيلسوف شيشرون، وآخرون. وإذا كان افلاطون في كتابه "الجمهورية" قد نصح بالزام الصديق على الاقل وتحرير الاوصاف الكثيية التي تشبث العزائم، فإن ارسطو فقد وضع في كتابه "الخطابة" اسس ارشادات الخطباء الذين يجب ان يقيموا حججهم على الحقيقة: "الحقيقة تهزم الزيف" حيث ارسمى بذلك احدى الدعايم الاساسية للدعاية الناجحة بالشكل الذي استخدمتها به النظم الديمقراطية الحديثة. غير ان اكسينوفون تلميذ سقراط هو من يستطيع ان يدعي لنفسه وضع اول دراسة تفصيلية لدور المعنويات في الحرب، حيث كتب يقوله في كتابه "الزحف"، انني لعلي ثقة من انه لا كثرة العدد ولا القوة هي ما يجلب النصر في الحرب، وانما الجيش الذي يزحف الى المعركة امضى-عزماً واقوى روحاً فان اعداءه-عموماً-لا يستطيعون الصمود امامه" (ص ٥٠). ومن هنا، فانه وعلى يد الاغريق بلغت الدعاية للحرب سن الرشد، وبسدت توجه منذ ذلك الحين بقدر متزايد من الاتقان والتدبير. وحسب الاغريق انفسهم فان الدعاية عنصر اساسي من عناصر قيام وبقاء مجتمع منظم وفعال.

### الحرب هي دماء الحياة القادرة على توفير الوجاهة السياسية والعسكرية لاي ارستقراطي روماني

اما الموضوع الثالث من القسم الاول الذي وضع تحت عنوان: ما كان لروما من المجد (ص ٥٥)، فقد انصب على توضيح الحالة التي كانت تعيشها روما التي كانت تنظر الى المصادر الاسطورية مما دفعها الى اختلاق الاساطير، حتى انهم اضحوا مبدعين لا نظير لهم للدعاية الاسطورية. غير ان قصة صعودهم كانت قصة عنيفة، فلقد شيد "ما كان لروما من المجد" وبقي بواسطة العنف. حيث كانت الحرب جزءاً اصيلاً من الحياة الرومانية الباكرة وكانت هي مفتاح التوسع للروماني الذي امتد الى كل الاصقاع ومن بينها الخليج العربي، وبحر قزوين في الشرق. وكان اداء الخدمة العسكرية من المؤهلات الاساسية للحصول على منصب سياسي على مدى تاريخ الجمهورية الرومانية، أي ان الحرب هي دماء الحياة القادرة على توفير الوجاهة السياسية العسكرية لاي ارستقراطي روماني. فقد كان الشعب مشبعاً بالعقيدة للحريسة ذاتها بحيث ان مجلس الشيوخ لم يولجح أي معارضة في قرارات الحرب التي اتخذها، حيث ان الرومان وعلى حد ما قاله الكاتب الاغريقي بوليبيوس، كانوا من الحكمة بحيث "اتخذوا سبيل إثارة الشعور الديني لمصلحة اعوام الناس" ص ٥٥. اذ قال شيشرون بأنه "يجب ان نقنع مواطنينا بأن الالهة هم سادة وحكام كل شيء... لانه من

المؤكد ان العقول المشبعة بمثل تلك الافكار لن تعجز عن ان تشكل اراء صائفة ونافعة".

وقد كانت روما تعلن دائماً في حروبها على الاهداف المهمة للدعاية في القول بان الحق كان دائماً الى جانب روما وذلك من خلال انتصاراتها التي تعبر عن الشعور بالكبرياء القومية والانتاج التاريخي. (ص ٥٧).

### ان مفتاح النجاح الحربي الروماني يكمن في تدريب الجيوش وتنظيمها

وتوضح المصادر الرومانية الاكثر (حصافة)، كما يشير المؤلف، ان مفتاح النجاح الحربي الروماني يكمن في تدريب الجيوش وتنظيمها. وكثيراً ما منحت هذه الحقيقة للجيوش الرومانية ميزة نفسية على خصومها، فقد كان الانضباط والمعنويات العالية عنصرين اساسيين فيما يتعلق بأسلوب شن الرومان للحرب، اذ قاتل الرومان بالعكس من الكتيبة الاغريقية، في خطوط اقل كثافة، او في موجات، مما جعل جميع الجنود يشتركون في القتال. وكانت تلك وسيلة اكثر فاعلية لنشر اكبر عدد من الجنود في الخط الامامي، ولكنها تطلب ايضاً اهتماماً اكبر بتفاصيل كيفية قتال الرجال ولماذا يقاتلون (٦١). وكان الذعر اذا ثار لدى الاغريقي يثور في مؤخرة الكتيبة الاغريقية، ولكن لم يكن ثمة مكان لذوي القلوب الواهنة في الفيلق الروماني. وكانت المعارك الرومانية تتطلب عملية تعبئة (استراتيجية) اكثر تفصيلاً واطول امداء، الامر الذي يجعل من الضروري تنظيم حملة دعائية اكثر كثافة واطول زمناً توجه الى "روح الجنود" في القوات الرومانية.

ولقد كان يوليوس قيصر واحداً من اعظم القادة العسكريين في التاريخ، وكان، مثل القادة العظام، مدركاً تماماً الدور الذي تستطيع المعنويات ان تلعبه قبل المعركة وفي انتائها وبعدها. وكذلك الامر بالنسبة الى الامبراطور اوكتافيان ابن اخت قيصر فقد كان رجل الدعاية اكثر نجاحاً من حيث تمكنه من البقاء الى ان مات ميتة طبيعية (ص ٦٤).

وقد ارسى اوكتافيان الذي اصبح الامبراطور اغسطس تقليداً امبراطورياً قدر له ان يبقى قروناً عدة. وكان نجاح القوة الرومانية العسكرية في حد ذاته دعاية ممتازة، استخدمت لاختافة الخصوم المحتملين. كما جرى تثبيت ذلك النجاح العسكري وتخليده بغرس الاعتقاد في القوة التي لا تقهر بالشكل الذي نراه في الاعمال الفنية والاحتفالات ومباريات الالعاب والعملات المعدنية. وكانت ذروة اية حملة من حملات الدعاية الحربية الرومانية تأتي مع موكب النصر الذي يشل روما عقب كل نصر عسكري

لهم. وعلى الرغم من ان اقامة مثل هذه المواكب لم يكن كثير التكرار، فان شعبيتها وسط الجماهير كانت هائلة، وخاصة في عصر الجمهورية، حيث وظيفتها السياسية من حيث اثباتها اهلية الامبراطور للحكم، وبهدف شحن الجماهير الفقيرة بمعان محددة. (ص ٦٨).

وفي القسم الثاني من الكتاب الذي كرس لتناول الدعاية للحرب في العصور الوسطى، فقد انبرى في كشف هذه الدعاية خلال العصور المظلمة، والفن الفورماندي، وفي قانون الفروسية، والحروب الصليبية ثم لينتهي الى حرب المائة عام. ويشير الاستاذ تايلور بان الانهيار البطيء الشاق للامبراطورية الرومانية في الغرب على ايدي الغزاة الجرمان شهد اختفاء الفيلق الروماني بوصفه الاداة الرئيسية للعمليات الحربية، واختفى معه ذلك النوع من التنظيم والانضباط الذي كان، باشكال مختلفة بديلا لعملية رفع العضويات، وامتد الاسلام نحو الغرب من الجزيرة العربية حتى اسبانيا (ص ٧٥). ويؤكد الاستاذ تايلور بانه في العصور المظلمة سوف يكون خطأ بالقدر نفسه ان نزع ان الدعاية ايضا أصبحت عاملا اقل اهمية، سواء في سواء في المجتمع او في العمليات الحربية بعد سقوط روما. لقد ظلت الحرب تجربة مرعبة، وبالقدر نفسه ظل الاقتناع مكوناً رئيسياً في اعمال التجنيد، ورفع المعنويات والتحضير للقتال، بل ان الدعاية أصبحت اداة أكثر اهمية لتحقيق السيطرة الاجتماعية وفي المحافظة على النظام الاجتماعي والسياسي والديني السائد وبدأ ظهور مبدأ "حكم القساوسة مع بداية الكفاح للسيطرة ليس فقط على الكنيسة، بل ايضا على الدول التي خلفت روما. فقد وفرت الدعاية التماسك المطلوب، في شكل مجموعة من الاجابات في عالم مضطرب ومحير (ص ٧٧).

ولكي يضمن القساوسة والوعاظ سلامة القصيدة واصوليتها فيحفظوا بذلك وحدة الكنيسة ومكانتها، عمدوا على اقامة "خدمات" او صلوات-منتظمة، ساعد فيها كل السلوك الطقسي، والصور المرئية والشعائر على تدعيم الولاء وعلى هداية من لم يكن نور الهداية قد دخل قلوبهم بعد (ص ٧٨)، وخصوصاً في "تحويل الكفار على المسيحية بدلاً من استرقاقهم، حيث ان الكنيسة في ذلك استلهمت تعاليم القديس او غسطين الذي امن بان السلام على الارض مستحيل، وان الحرب باسم العقيدة الصحيحة هي نتيجة للخطيئة وعلاج لها (ص ٨٢).

وبالنسبة للامبراطور شارلمان، فانه ادرك اهمية الدعاية في الحروب، وكان متحمساً حماسة جنوبية لرياضة الصيد، وانه كان يشن الحرب بالقدر نفسه من الحماسة.

## ادرك الاميراطور شارلمان اهمية الدعاية في الحرب وكان متحمساً حماساً جنونية لرياضة الصيد وانه كان يشن الحرب بالقدر نفسه من الحماسة

وان جيوشه كانت تعد لخوض المعارك باداء الصلاة (ص ٨٤)، اضافة الى الاحتفال بالانتصارات الكبرى من اجل رفع المعنويات بين قواته، وتقرأ الخطب او تتشد الاغاني -وتحث الرجال على ان يسلكوا سلوكاً مسيحياً. حيث انه فرض الصيام والصلوات على قواته، أي انه هيا الرجال للقتال بينما كانت الصلبان والرايات تسير بين ايديهم وفي مقدمتهم وهم في الطريق الى المعركة. فقد كان شارلمان في كل سنوات حكمه وحروبه مرتدياً وحاملاً دروعه واسلحته الثقيلة كاملة بكل بهاء مجده العسكري، الامر الذي جعل عهد شارلمان موضوعاً لقدر كبير من الدعاية بعد موته في العام ٨١٤م. (ص ٨٦).

وبخصوص الغزو النورماندي لانجلترا في العام ١٠٦٦، حيث تم تأشير الدور القيم للدعاية في العمليات الحربية في العصور الوسطى، حيث لن الحرب ثرحها الشجاعة لا عدد الجنود، وكذلك الحيل النفسية التي استخدمها وليام الفاتح من خلال الصلوات والذنور والهدايا. وربط الدوق نفسه، في ثقة مطلقة بإدارة السماء، ودعاء بالحق في شريعة الحكم والنتاج (ص ٩٠). ولقد ظل الغزو النورماندي موضوعاً للخلاف والجدل طوال العصور الوسطى، ومن ذلك فقد شكل المؤرخون المحدثون في الشهادة عن خدعة الفرار الكاذب، حيث تم وضع تسجيل فريد للمعركة في لوحة بابو النسيجية لكانترائية مدينة بابو، والتي صممت لكي تعرض على الجمهور، حيث أن الغرض منها اثبات شرعية مطالبة ويليام لعرش انجلترا أمام الشعوب التي أصبحت شعوباً محتلة، وتكشف عن مقدار، ما حظى به مشروع الغزو من تأييد من جانب الكنيسة والعائلة معاً. ولذلك فإن اللوحة تهدف الى استخدامها كوسيلة دعائية لنظام احتلال يحاول أن يرسخ مشروعيته في بلد كان تعاونه أمراً اساسياً. لقد كانت اللوحة وسيلة لدفع معنويات امة مهزومة ولكنها ذات كبرياء. (ص ٩٢).



## الدين والحرب والفروسية كلمات ثلاث لا يمكن فهم عقل العصور الوسطى المتأخرة من دونها

وفيما يتعلق بقانون الفروسية، فإن الأستاذ تايلور يؤكد بأن الدين والحرب والفروسية كلمات ثلاث لا يمكن فهم عقل العصور الوسطى المتأخرة من دونها. وربما كانت الفروسية بعد الدين (عني الأقوى بين جميع المفاهيم الأخلاقية التي سيطرت على عقل وقلب) إنسان العصور الوسطى المتأخرة (ص ٩٥). لقد كان على الفارس أن يظهر البسالة والشجاعة في الالتحام. وكانت هذه واحدة من طرق قليلة لحيازة الشرف والمجد في المجتمع، ولحسب المكافآت المالية والترقي الاجتماعي، وكان للفروسية، على الرغم أن هذه المبادئ كانت أكثر ارتباطاً في العادة بالاثرياء من الفرسان. وبتعبير فيليب كمونتامين فإن الحرب عدت (ظاهرة ثقافية) وتحدد الطريقة التي نخاض بها الحرب تحديداً دقيقاً من خلال مجموعة التعابير الخلقية السائدة التي تؤثر في الأفراد المشاركين في الحرب. وقد لعب الأدب دوراً مهماً في تحديد العقيدة الفروسية وصياغتها بين أعضاء طبقة النبلاء المستقراتية. وقد نصح أحد النبلاء ابنه بأن يقرأ النصوص الكلاسيكية لكي يكشف معنى الشرف (ص ٩٨). ولقد مزقت الحروب القرنين الحادي عشر والثاني عشر اللذين زودهم بنيران الحرب قساوون الفروسية التي كثيراً ما أدى إلى الولوج بالحرب للحرب في ذاتها، وإلى نوع من التمجيد الرومانتيكي لمهارات القتال (ص ١٠٠).

وبصدد الحروب الصليبية فإن مؤلف الكتاب يشير إلى أنه من هذه الحروب تحصل دراسة الدعاية على أكثر الأدلة خصوصية حتى زمن بداية تلك الحروب. ولم تكن لدى فرسان الحملة الصليبية الأولى التي دعا إليها أوربا الثاني في موعظة له بمدينة كليرمون عام ١٠٩٥، ولم تكن لديهم من معرفة عن خصومهم المسلمين سوى أنهم (كفار). وكانت الحرب الصليبية حرباً مقدسة أفتى بها البابا باسم المسيح، وبذلك كانت عنفاً مشروعاً أو مبرراً وذلك من خلال التذكير كدعاية في احتراق كنيسة القبر المقدسة بهدف الهاب مشاعر الناس (ص ١٠٢). وكذلك ركزت الدعاية الصليبية على "وحشية المسلمين" في تدمير الكنائس وأجبار النصارى على اللختان، وشق البطون، وانتهاك النساء. ويؤكد الأستاذ تايلور (ص ١٠٣) بأن الحروب الصليبية لعب فيها الطمع والجشع دوراً أكثر أهمية من عملية حشد النصارى العالمي ولا تلك الأهمية النفسية التي تحتلها القدس في العالم المسيحي.

ومع امتلاء قلوب الصليبيين بالحماسة الدينية فقد عرفوا أيضاً المكاسب المالية للقتال في الشرق الأوسط الثري... إذ نجد في (اغنية أنطاكية) للكلمات التالية (هنالك

على الارض المعشبة اما ان نفقد رؤوسنا واما ان نصبح أثرياء بالفضة والذهب  
(البراق).

## هنالك على الارض المعشبة اما ان نفقد رؤوسنا واما ان نصبح أثرياء بالفضة والذهب والبراق

وبعد ان وقع صلاح الدين الهزيمة بالصلبيين في موقعة حطين عام ١١٨٧  
واعاد فتح القدس شنت الحملة الصليبية الثالثة ١١٨٩-١١٩٢ لاستعادة الارض  
المقدسة، اذ ان اياك جريجوري الثامن حرض العالم المسيحي للثأر لضحايا (البرابرة  
المتوحشين) وتعين ان تصبح الحجج الدينية اكثر عنفا وقوة . وبدلا من (الخلاص  
الابدي) راحت الكنيسة تعرض حمايتها للأراضي والممتلكات والسلع التجارية . وبدا  
تبرير العنف بالرجوع الى العهد القديم وإلى كتابات القديس أوغسطين. ومن هنا جاء  
التبرير القائل (اننا لا نبغي السلام لكي نشن الحرب ولكننا نشن الحرب لكي نحصل  
على السلام (ص١٠٧).

وفي الحرب المائة عام (١٣٢٧ و ١٤٥٣) كانت صراعا بين الملوك الأنجلترا  
والفرنسيين. ولم تكن سوى واحدة من صراعات عدة اجتاحت أوروبا في القرون: الثالث  
عشر والرابع عشر والخامس عشر. انها حرب المائة عام، حيث الصراع الذي يصور  
بشكل جيد الكثير من التغيرات التي لحقت بالفنون الحربية، والتي أولاها الأستاذ تاييلور  
اهتمام دراسته حيث ان كل امة أوروبية أولت الاسلحة والتشكيلات الجنود اهتمام  
خاصا، وخصوصا وان السويسريين هم أول من نبهوا أوروبا الى القيمة المشاة،  
والانجليز الى القوس الطويل، وكذلك الحراب الطويلة، والفرسان المعتملين صهوات  
خيولهم (ص١١٣). ولكن ظهور البارود جعل الحرب باردة غير شخصية، للنقيض  
الكامل للمثل الفروسية التي سيطرت على الفنون الحرب والاعمال الحربية الأوروبية  
طوال ما لا يقل عن أربعمئة عام.. وقد صنعت للمدفعية في البداية كجزء من سباق  
التسلح الانجليزي-الفرنسي خلال حرب المائة عام لتحسين فنون الحصار والاسراع  
بعمليات الاقتحام ولكن المدفعية، ثم الاسلحة الشخصية ازدادت شيوعا بالتدريج في  
العمليات الحربية منذ اواخر القرن الرابع عشر. أن النقطة الأساسية وضعتها في  
الاعتبار من وجهة النظر النفسية فيما يتعلق بالمدفع حيث انه زاد من المسافة بين  
الجندي وبين العدو وبالنسبة لقل من الحاجة الى رفع معنويات الجنود (ص١١٦). الا  
ان الانتصار الانجليزي (في حرب المائة عام) في المعركة أجينكورت (١٤١٥) ابقت  
على الموضوعات المتعددة للدعاية الحربية في القرون الوسطى فقد ظل الدين  
والخرافة والنبأ كلها عوامل نفسية مهمة.

في القسم الثالث من الكتاب الذي جاء تحت عنوان: "الدعاية للحرب في عصر البارود والطباعة"، فقد تناول سبعة مواضيع حيث الاول كان سديم جونتبرج والذي تمثل في اختراع يوهان جونتبرج للمطبعة حيث فتح البوابات أمام فيضان النمو الهائل لكل انواع الاقناع المكتوبة، والتي لم تكن الدعاية للحرب اقلها اهمية. ويعود الى الكتب الفضل في ان اصبحت (حقائق) الحرب اقرب منالاً للناس الذين لم يكونوا قد الفوا الحرب كحقيقة فعلية. فقد انتشرت الصور المكتوبة للحرب وللعمليات الحربية بين جموع عربية من القراء لكي تؤثر في الخيال الجمعي بدرجة لم يكن ابداً في مقدرة النصب التذكارية او الرسوم الجامدة الساكنة في الزمان والمكان ان تحققها (ص ١٢٢). وهذا انسحب بالتأكيد على الفنون للحربية في عصر النهضة، حيث تزامن ظهور المطبعة وكما يشير تابلور، مع تطورات مهمة اخرى في النشاط البشري وخاصة في مجال ادارة العمليات الحربية التي نفي منها الطابع الشخصي (كما كان يجري) للقتال وزادت من البعد المادي بين للقوات المتحاربة بعد اكتشاف البارود، والمدفع والاسلحة التي تحمل باليد، وازداد حجم الجيوش وظهور تكتيكات جديدة لعمليات خوض المعارك وعمليات الحصار. ان افضل ما يذكر الانسانية بالدول، المدن الإيطالية التي ازدهرت فيها النهضة في القرن الخامس عشر، هو متجزاتها الفنية. غير ان نظرة سريعة الى الفن سوف تؤدي الى تذكيرنا بأن فكرة الحرب والعنف كانت ما تزال حية وفي خير حال. لقد تجسد الاقناع من الصور في الفن وفي الكتابة حيث القابلية للتصديق والمعقولة لضرورة للنجاح. ومن هنا انشغل عصر النهضة بالاسلوب والمشروعية التاريخية (التي هيأت للعقل اراء وصوراً للماضي اقل واقعية ولكنها اكثر مصداقية) (ص ١٢٤). لقد كان وعلى مر العصور من هم على استعداد للتأثر بالدعاية للحرب. هؤلاء هم الناس (من لم تغسلهم حياة البحر ابداً) (ص ١٣٣)، الذين كانوا قد حرموا حتى من التعليم الاساسي الذي كان يمكن ان يعلمهم كيف يفكرون لأنفسهم، فاصبحوا الاكثر قابلية لأن يتأثروا بالقيم الاجتماعية والثقافية السائدة، سواء من خلال الخرافة او من خلال السلطة وهم بهذا الشكل هيأوا تربة خصبة لرجال الدعاية.

### كان الاصلاح الديني اول حركة دينية تحظى بمساعدة المطبعة

لا بل، أنهم هيأوا لحركة الاصلاح الديني ومهتوا السبيل لحروب الافكار الدينية التي سيطر عليها الاستاذ تابلور الضوء بشكل ساطع والتي ميزت عصر النهضة الأوروبية بأفكارها وطروحاتها التي أحدثت تغييراً جذرياً في العقلية الأوروبية اساساً. فقد كتب فرانسيس بيكون يقول ان الطباعة والبارود والبوصلة (قد غيرت صورة العالم

كله وحالته) فمن المؤكد ان المطبعة قد وفرت للمدفعية ما ساعد على حشد الصفوف وتخطيطها في حرب دينية بين الافكار لم يكن لها مثيل من قبل. ويكتب احد المؤرخين قائلا: (كان الاصلاح الديني اول حركة دينية تحظى بمساعدة المطبعة) (ص ١٣٤) حيث ان مؤلفات مارتن لوتر اصبحت اكثر الكتب مبيعا، وتستخدم الدعاية المكشوفة والاثارة ضد مؤسسة مستقرة الا وهي كنيسة روما وضد الكاثوليكية وسلطتها البابوية والذي اطلق عليه (البواب للوثرى) (ص ١٣٩).

وفي انجلترا، فان الدعاية كانت موجهة لدعم اسرة تيودور (ص ١٤١)، حيث كانت قوانين الاصلاح الديني التي اصدرها هنري الثامن في ثلاثينات القرن السادس عشر قد استأصلت الكنيسة الكاثوليكية واجتثتها من جذورها، حتى قبل ان توماس كرومويل وزير هنري الثامن قد شن اول حملة على الاطلاق تطلقها حكومة فيسي أي دولة في اوروبا لكي تستبدل امكانات المطبعة الدعائية. وكان هنري السابع مؤسس اسرة للثيودور مدركا ادراكا قويا لاهمية الدعاية بوصفها وسيلة لتدعيم سلطته. وكان هنري مصمما على اضعاف المشروع على اسرته امام الرب واوروبا. حيث اراد ان يولد الانطباع عن انجلترا يجعلها قوة اوروبية اكبر بكثير مما كانت بالفعل، وتحدي نفوذ الكنيسة الكاثوليكية وتأثيرها على المجتمع الاوروبي من خلال ما طرحه لوتر من افكار جديدة الهبت مشاعر الناس، الى تكثيف هائل للحرب الدعائية التي قادها هنري ومن بعده توماس كرومويل الذي استمر على ايمانه بالدعاية المطبوعة واعتماده عليها (ص ١٤٦). الا ان قوة حملة الدعاية التي شنها كرومويل ضد البابوية لم تستمر بعد وفاته، الا ان اسرة ثيودور بقيت من بعده خمسة واربعين عاما اخرى وذلك استادا الى اسلوب الدعاية الذي انتهجته اسرة ثيودور كوسيلة لتكمية وعي قومي انكليزي (ص ١٤٨).

الا انه في الواقع، فان هذه الدعاية قد اشعلت الحماسة الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت التي اشعلت سلسلة من الصراعات الدينية بين تدخل عدد من الدول الاجنبية مثل الدنمارك واسبانيا والسويد، فعصفت باوروبا طوال الثلاثين عاما التالية (١٦١٨-١٦٤٨). وبذلك تحولت حرب اهلية المانيا الى صراع ضار بين الدول الكبرى. ولكن حرب الثلاثين عاما كانت من بعض وجهات النظر المختلفة، سلسلة من الحروب المفضلة بقدر ما كانت صراعا اوروبيا بواسعا، بدافع من الولاءات الدينية والدينية كما باي دافع اخر. ولا يمكن المبالغة في تقدير دور هذه الحرب في نمو النزعة القومية وظهور الدولة القومية، كما لا يمكن التقليل من تأثيرها التدميري في اوروبا مع مصرع ما يقدر بربع سكان اوروبا في المعارك (ص ١٥٢).

ومن خلال ما عاشته اوروبا خلال هذه الفترة من حروب طاحنة، فان الاستاذ تابلور يؤكد بأنه على ضوء هذه الخلفية ينبغي ان ننظر الى الدعاية الحربية في حرب

الثلاثين عاماً. فإذا كانت أهداف الحرب قد طرحت وراء القناع القديم للدين، فلا بد أن يذهب الكثير من (الفضل) في ذلك إلى الشعراء وكُتاب الأغاني ومؤلفي الكتيبات والرسامين الذين وصلت أعمالهم إلى كل طبقة من طبقات المجتمع (ص ١٥٦). إذ يقول الأستاذ كامين بأن (القرن التاسع عشر كان قرناً من التجديد والابتكار بسبب حجم الدعاية الضخمة فيه). ولقد كانت حرب الثلاثين عاماً خطأ فاصلاً في التاريخ بسبب ما شهد من تهويل الدعاية.

### القرن التاسع عشر كان قرناً من التجديد والابتكار بسبب حجم الدعاية الضخمة فيه

وبخصوص الحرب الأهلية الإنجليزية (١٦٤٢-١٦٤٦)، فإن الدعاية الثورية حسب ما صرح به الأستاذ كامين، كانت أكثر من مجرد تمرين في الإقناع، حيث أزاء هاذ (التمرد الكبير)، فإنها كثيراً ما كانت تعكس مواقف شعبية حقيقية، ووضعت السلطة موضع المسألة والشك وفتحت أبواب الرقابة المتحكمة (ص ١٦٠) وقد سبق ذلك حينما قام خصوم الملك تشارلس الأول بشن الهجوم ضده حيث كان اعتقادهم بأنه كان يحاول أن يدمر وضعهم الدستوري، فأنهم بدفاعهم عن حقوقهم كانوا أيضاً يطورون الدعاية بوصفها قوة تحرير جديدة. وخلال الحرب الأهلية التي أدت إلى انهيار نظام الرقابة والترخيص، أعقبها تدفق كميات هائلة من الدعاية المعتمدة على النشرات المطبوعة للأنباء، وأصدرت كل الأطراف المتصارعة الصحف الخاصة بكل منهما، حيث صحيفة الملكيين، والبرلمانيين ولكن في الحرب الأهلية يكون تحديد الطور ورسم صورته مهمة بالغة للصعوبة بالنسبة لرجل الدعاية، وخاصة في حرب بدأت دون إصرار شديد وفي تردد قوي (ص ١٦٣).

### كان لويس ينظر إلى الحرب باعتبارها وسيلة يمكن بواسطتها أن يستعرض مجده

أما بالنسبة للملك لويس الرابع عشر الذي توج وهو ذو الاعوام الخمسة من العمر (حكم فيما بين ١٦٤٣-١٧١٥) وأصبحت فرنسا خلالها في قبضة للكاردينال مازاران. وفي عهده تم توقيع معاهدة وستفاليا التي أنهت حرب الثلاثين عاماً في ١٦٤٨، فإن هذا الملك قد تأثر تأثراً عميقاً في صباه بتجربته مع جماعة الفروند التي بدأت في شكل احتجاج ارسنقراطي ضد تآكل الامتيازات الطبقية، والتي سرعان ما

ضمت غوغاء باريس وجنود الجيش الفرنسي الذي تم تسريحه، التي اصدرت العديد من الكتيبات ضد مازاران الذي مات في عام ١٦٦١، وتسلم لويس الرابع عشر-فسي الثانية والعشرين من عمره-مسؤولية فرنسا شخصياً، وقرر ان ينقل بلاطه الى قلعة فرساي ليرمز الى عظمة لويس الرابع عشر ومجد حكمه لفرنسا التي كانت في ذلك الوقت القوة الكبرى في اوروبا. اذ كتب جوزيف كليتس بوصفه مؤرخ دعاية لسويس الرابع عشر يقول: كان على الرجل الذي وضع اللتاج على رأسه ان يقوم بدور نصف الاله وقد قام لويس الرابع عشر بهذا الدور ببراعة خير قيام (ص ١٦٩).

وكان على الحرب ان تبين حقيقة تأثير هذه الدعاية وفاعليتها. واكن لويس ينظر الى الحرب بالنظرة نفسها التي كان ينظر بها الى بلاطه الزخرفي او الاحتفالي، ولكنه لم ينظر اليها باعتبارها مجرد شيء ترفي، وانما باعتبارها وسيلة يمكن بواسطتها ان يستعرض مجده، وان يوسع نطاقه، الا ان هذه الملكية المطلقة سرعان ما سقطت في النهاية ضحية للتوار الفرنسيين عام ١٧٨٩.

في الواقع، فقد انصب القسم الرابع من الكتاب على تناول موضوع الدعاية في عصر الحروب الثورية، حي المطبعة او الصحافة بوصفها اداة للحرية، من خلال الثورة الامريكية، والثورة الفرنسية، ليعرج الاستاذ تايلور في تناول موضوع الحرب والرأي العام في القرن التاسع عشر. وقبل هذا القسم قدم تايلور صوراً عن الدعاية من اشور الى فوكلاند (ص ١٧٥-١٩٤).

لقد شهد القرن الثامن عشر زيادة في درجة استخدام الصحافة بوصفها اداة سياسية. وسارعت حكومات عدة الى ادراك مغزى هذا الوضع الجديد الذي سوف يهز كل قوانين الحظر والرقابة التي سنتها بخصوص تنظيم عملية تدفق الافكار. ففسي انكلترا ادى ظهور الحرية البرلمانية والتسامح الديني اللذين اعقبا ثورة ١٦٨٨ الى ايجاد متنفس للاختلاف الايديولوجي، واصبحت للصحافة جزءاً اساسياً من العملية السياسية الانجليزية. (ص ١٩٥).

اما في فرنسا، فعلى الرغم من ازدهار حركة التنوير بعد لويس الرابع عشر في عام ١٧١٥، فلم يمكن السماح بمثل ذلك المتنفس للتعبير الشعبي. وان التسليم بمبدأ حرية الصحافة لم يكن الا ثمرة جهود مضنية ومحاولات عديدة كانت في مجملها دروساً كان على حكومات اوروبية عدة ان تتعلمه وتقر به بأسلوب صحيح. الا انه بالمقابل، وكما يؤكد تايلور (ص ١٩٨) فانه لا شيء يشجع توزيع الصحف اكثر من الحرب، التي اصبحت اداة اكثر اهمية بكثير مما يتخيله الناس. الا ان اللورد كامدين قال ان الصحف محملة بالكثير من سموم الزيف الى الدرجة التي تجعلني عاجزاً تماماً عن تمييز الحقيقة ومعرفتها. ولكن، فان (التاريخ الحقيقي لدولة ما يوجد في صحفها) (ص ١٩٩).

ومن هنا، فإن سكان المستعمرات الأمريكية كانوا واعين تماماً بأهمية الرأي العام والدعاية في عدم قضيتهم ضد البريطانيين، وضد قوانين الضرائب، ولذلك بدأت حرب الشعارات بالشعار المشهور (لا ضرائب دون تمثيل نيابي). وأصبحت بوسطن هي المركز العصبي لدعاية الثورة من خلال جريدة (بوسطن جازيت). لعب صامويل ادامز على أوتار الرأي العام المعادي للبريطانيين والهيبة. غير أن المستوطنين الأمريكيين الذين قاموا في عام ١٧٧٤ بتنظيم المؤتمر القاري الأول وأصدروا إعلان الحقوق والمظالم، قاموا في حملاتهم الدعائية بتكثيف النداءات الداعية إلى الاستقلال (ص ٢٠٢).

ولاشك في أن رجال الدعاية الأمريكيين كانوا من بين أكثر نظراتهم فصاحة وقدرة على التعبير في التاريخ، مثلما أوضحت لنا السطور التي جاءت في بيان واشنطن. ولقد ضرب انطلاقهم في عصر العقل، باسم حقوق الإنسان - على الوتر الصحيح في عقول محبي الحرية. وبعد إعلان الاستقلال الذي صدر في ٤ تموز ١٧٧٦ تجسداً لامتزاج الأيديولوجيا أو الفكر العقيدى - السياسى الثابت، وبالكلام الدعائي. وقد لعبت الدعاية دوراً كبيراً في الثورة الأمريكية، وكانت من موادها التي تتمتع بأهمية ومغزى بعيد المدى، كتابات جون لوك وخاصة كتابه: مقالات في الحكم، الذي نشر في العام ١٦٩٠ والذي يحض فيه مبدأ حق الملوك الإلهي المقدس والحكومة الاستبدادية والحكم المطلق (ص ٢٠٧).

### مدام دي بيناي: ما يحصل عليه الشعب من معرفة لابد أن يؤدي إلى الثورة عاجلاً أو آجلاً

وفيما يتعلق بالثورة الفرنسية والحروب النابوليونية، فإن الاستاذ تاييلور يشربان غياب التحول (الديمقراطي) في فرنسا قد ساهم في انفجار الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، بالعكس عما حصل في لنكلترا حيث أصبحت الصحافة حرة نسبياً. إلا أن المصادر أشارت بأنه على الرغم من الرقابة فإن صحافة القرن الثامن عشر الفرنسية كانت أكثر نشاطاً وفاعلية في نقل الأفكار السياسية وإشاعتها مما كان معروفاً من قبل (ص ٢١٥). ولقد صحح ما تنبأت به مدام دي بيناي في عام ١٧٧١ من أن (ما يحصل عليه الشعب من معرفة، لابد أن يؤدي إلى الثورة عاجلاً أو آجلاً). ولكن الثوريين الفرنسيين لم يكونوا مجرد خطباء غلاظ وسط القوغاء، وإنما كانوا مؤمنين كباراً باستخدام الرموز وسيلة لنقل وتوصيل الأفكار المعقدة في شكل بسيط، حيث أن العلم الثلاثي الألوان من الأحمر والأبيض والأزرق جاء لكي يمثل مختلف التكتلات الثورية، وأن ارتداء

البعض له كوشاح لكي يمثل الدعوة الى (الحرية والمساواة والاخاء، كما عرف الثوريون منذ البداية اهمية الرموز بوصفها وسائل للدعاية (ص ٢١٩).

وبتأسيس جمهورية تحل محل الملكية في العام ١٧٩٢، وجد الثوريون انه يتعين عليهم ان يتبعوا اساليب الدعاية الثورية قد افضت الى انضمام الغالبية الساحقة من الجيش الفرنسي الى الجموع الثائرة، الامر الذي ادى، وبهذه الوحدة المنصهرة التي ضمت الامة وجيشها ان امتزجت الدعاية الحربية بالدعاية المدنية، حيث حملات تجنيد الجنود للقتال في الحرب لمقاومة الغزو البروسي-النمساوي والانتصار عليه في فالي. ولهذا فان ظهور نابليون بونابرت في هذه الفترة مثل بروزا بوصفه قائداً لثورة ظلت طريقها وللجيش الثوري معاً، وخصوصاً عام ١٧٩٨ (ص ٢٢٦). وقد كانت المعنويات الجنية بالنسبة لنابليون هي جوهر للنجاح. فهو القاتل (في الارباع الباقي). فقد كان رجل دعاية لا يقهر ومضخماً للغاية من انتصاراته وقادراً على التهورين من هزائمه. وفي ظله اصبحت فرنسا اول دولة حديثة تقوم بالفعل على الدعاية (ص ٢٢٧).

وبهزيمة نابليون اطلقت اوربا انفاس الارتياح الطويلة لعودة السلام، بعد جيل كامل من الحرب. وبدأت اوربا تتكيف مع قوى التغيير التي اسرعت الحرب بتطورها، والتي لم يكن الرأي العام والدعاية اقلها اهمية، والتي عاجلها الاستاذ تايلور في النقطة الاخيرة من القسم الرابع (ص ٢٣٣). وقد استند في الدلالة على هذا التغيير الى كلمات الاستاذ كوالتر الذي قال: حتى اولئك الذين لم يتغير موقفهم تجاه الرأي العام في السياسة قد وجدوا انه من الضروري ان يتعلموا آليات الاقناع السلمي بواسطة الدعاية. ومع امتداد الحقوق والامتيازات السياسية وتزايد عدد السكان اصبحت القيام باي شيء آخر مكلفاً للغاية وفادح الثمن، فبينما كان بالامكان شراء اصوات الناخبين، اصبحت من الضروري الان اقناعهم. ولذلك فلقد اصبحت على السياسيين ان يهتموا بالدعاية (ص ٢٣٤)، اذ برزت بريطانيا بوصفها الدولة الرائدة التي لا تبارى في ميدان الدعاية السياسية. وفي القرن العشرين، اصبحت هي الاستاذ الذي لا يجادل في مجال الدعاية للحرب (ص ٢٣٦).

وقد وجدت الدعاية، بوصفها اداة للسيطرة الاجتماعية، ولضمان ان تفكر الجماهير، وان تسلك بالشكل الذي تريده لها النخبة الحاكمة، وجدت الدعاية-بوصفها هذا-في النزعة الاستعمارية (او الامبريالية) التعبير المثالي عنها. فقد احتوت هذه النزعة على كل المكونات الصالحة للدعاية: المغامرة العسكرية، والتفوق العرقي والاماكن الغربية البعيدة، حيث "مسؤولية الرجل الابيض"، ووسام "صليب فيكتوريا" بوصفه اسمى رموز الشجاعة العسكرية (ص ٢٤٤) وفي الولايات المتحدة التي عرفت في الحرب الاهلية عام ١٨٦١، فقد اصبحت امريكا لمة من قراء الصحف الذين يعتمدون على ما يبعثه المراسلون الحربيون من تقارير وابناء الذين غاب عن قسم



الموضوعية، وكذلك في حرب القرم. ومن هنا، وكما يخلص اليه الاستاذ تايلور، فإنه إذا كانت تجربة كلا من حرب القرم والحرب الاهلية الامريكية قد علمت السلطات ان تبدأ معالجة جادة لمسألة الرقابة علمتا الصحافة، انها يجب ان تلتزم بالمعايير المهنية في تغطيتها للحرب. (ص ٢٤٩). وإذا كانت السلطات العسكرية قد أبطأت في تقدير الدور الذي يمكن للصحافة ان تلعبه لـ"تمجيد" رياضتهم" فان السياسيين لم يبطؤوا في ذلك لمعرفة الكاملة باحتياجهم الى التأييد الجماهيري لـ"مسايرهم". ان السياسيين في اواخر القرن التاسع عشر عرفوا انهم كانوا يعملون في عالم من نوع جديد: عالم. أصبح للرأي العام فيه أهمية متزايدة، وفي مجتمع جماهيري صناعي. لقد أصبحت السياسة بالفعل شأنًا عامًا، ولم يعد ممكناً ان تظل السياسة ولا الحرب على ما كانتا عليه من قبل (ص ٢٥٠).

في القسم الأخير-الخامس، من كتاب قصص العقول للاستاذ فيليب تايلور، فإنه كرس لموضوع الدعاية في عصر الحرب الشاملة، الذي تطرق فيه المؤلف الى الحرب وثورة الاتصالات، والحرب العالمية الأولى، والثورة البلشفية وحرب الايديولوجيات، والحرب العالمية الثانية، ومن ثم الدعاية والحرب الباردة وعصر التلفزيون.

اذ يشير المؤلف الى ان القرن العشرين شهد ظهور نوع من مختلف اختلافات اساسياً من الاعمال الحربي: "الحرب الشاملة". وعلى الرغم من ان الحروب النابولونية وحرب الاستقلال الامريكية كانتا نذيراً بوصول هذه الظاهرة بسبب حجم ومستوى المشاركة الشعبية، فان الحروب العالمية في القرن العشرين اختلفت بقدر ملحوظ عن الصراعات السياسية، ليس فقط في مدى اتساعها وانما في درجة تأثر المدنيين بها ومساهماتهم المباشرة في أحداث خطها الاول (ص ٢٥٣). ومن خلال ما جاءت به فنون الحرب الحديثة بالمعارك، والتجنيد الاجباري، والاذنار من الغارات الجوية، وتقنين الطعام، حتى انه يمكن القول بأنه أصبح الناس انفسهم هم جبهة القتال الجديدة، الامر الذي جعل من غير الممكن ابداً للنظر ثانية الى الحرب باعتبارها رياضة الملوك والنبلاء.

وفضلاً عن ذلك فقد شهدت القرن ظهور وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة، وخصوصاً التصوير السينمائي لجبهات القتال، والصحافة الصفراء في الولايات المتحدة، ناهيك عن الارسل للبرقي اللاسلكي الذي غير وجه القرن من خلال ثورة الاتصالات، الامر الذي اعطى الدعاية الحديثة للحرب اهميتها وتأثيرها في القرن العشرين، وخصوصاً للحرب العالمية الأولى، حيث انطلقت قاطرة التغيير التاريخي بكامل سرعتها بالنسبة لكل من الحرب والدعاية. لقد كانت حرباً بجيوش المتطوعين التقليدية تنتهي بفرض التجنيد الاجباري وسقوط اربع امبراطوريات اوروبية-هي:

الروسية-الالمانية، النمساوية-المجرية والعثمانية. لكنها شهدت تأسيس دول عدة جديدة مستقلة، ولكنها لا تملك الامان ولا تعيش آمنة: رومانيا، يوغسلافيا تشيكوسلوفايا بولندا، وهي الدول التي قدر لها ان تكون غرساً ليذور الصراع التالي (ص ٢٥٦). فالحرب العالمية الاولى لم تكن حرباً بين شعوب اوروبا بأسرها، وإنما كانت حرباً بين مكاتب الدعاية السرية البريطانية والالمانية بوجه التحديد، حيث استطاع مكتب الدعاية الحربية السري البريطاني في ويلنجتون هاوس ان يكسب تعاطف الامريكيين بكل سهولة، والاتيان بهم الى الحرب وتثبيتهم بقوة الى جانب الحلفاء، حيث ان نشر برقية زيمرمان يمثل اعظم انجاز توجهه حملة الدعاية البريطانية في امريكا، وهي البرقية التي بعثها وزير الخارجية الالمانى زيمرمان الى سفيره في واشنطن يعلمه ببدء اطلاق حرب الغواصات ويقترح اقامة تحالف مع المكسيك في حالة بدء تدخل امريكي (ص ٢٦٤).

لقد كان البريطانيون قد اظهروا للعالم قوة للدعاية الهائلة في الحرب العالمية الاولى، الى درجة ان اللورد بوتسوئي كتب في عام ١٩٢٦ عن الدعاية يقول: "ان نسسم الكراهية في عقول البشر عن طريق للتزييف والتزوير لشر اعظم في زمن الحرب من الخصائص العقلية في الارواح، وان تكليس النفس الانسانية لاسوأ من تدمير الجسد الانساني" (ص ٢٨٤).

لم تكن الحرب العالمية الاولى، للحرب التي انتهت كل الحروب، اذ لم يحف بعد حبر معاهدة السلام في قصر فرساي حتى بدأت حروب من نوع جديد، الا وهي حرب الايديولوجيات، مما جعل الوضع الدولي في حالة من الصراع غير المستقر، وحيث لعبت الدعاية في ذلك دوراً محورياً، اذ اصبحت الدعاية حقيقة من حقائق الحياة اليومية، واصبحت لدى القادة البلاشفة مكوناً اساسياً في الحرب الايديولوجية ضد الرأسمالية (ص ٢٨٥). وجاء الكساد الاقتصادي العالمي ليؤدي الى ضعفة الكتلة الرأسمالية التي تنزعها بريطانيا وانهيار سوق الاوراق المالية الامريكي، لتسرع بتحطيم تقاؤل اواخر العشرينات قصير العمر، الامر الذي سهل في المانيا ليبدأ هتلر صعوده السريع الى السلطة وعين مستشاراً في العام ١٩٣٢، وتأسيس الدولة الشمولية الالمانية مستخدماً الكثير من الاساليب في العام ١٩٣٢، وتأسيس الدولة الشمولية الالمانية مستخدماً الكثير من الاساليب الدعائية التي كان روادها هم البريطانيون، في الوقت الذي قرر فيه اليابانيون الذين ضربهم الكساد بعنف ان يتخلوا عن أي افكار تتعلق بالامن الدولي الجماعي ليزحفوا نحو منشوريا عام ١٩٣١، ولم تفعل عصبة الامم شيئاً لمعاقبة المعتدي، وانسحب هتلر من كل من المؤتمر العالمي لنزع السلاح وعصبة الامم، وشرع في اعادة تسليح المانيا، في الوقت الذي قام موسوليني بهجمة اثيوبيا، وسقطت فرنسا وسط لزمة سياسية واقتصادية، لما بريطانيا التي كانت القوة

العالمية الوحيدة ذات المصالح الممتدة من أوروبا عبر البحر المتوسط إلى الشرق الأقصى، فقد وجدت نفسها في مواجهة ثلاثة أعداء محتملين لكنها عاجزة عن مواجهة القوة بالقوة لوحدها. وقدر الصراع الأيديولوجي بين قوى اليسار وقوى اليمين، أن يصبح أكثر حدة حينما انفجرت الحرب الأهلية الأسبانية في تموز ١٩٣٦ (ص ٢٩٦). لقد توقع الكل أن تكون الحرب الأهلية الأسبانية مقدمة لحرب عالمية ثانية، ولكن هذه المرة كانت بولندا، لا إسبانيا، السبب المباشر، بعد أن تم تطويق الحرب الأسبانية ضمن إطارها المحدد. إلا أن أوروبا تحولت إلى ساحة قتال كبرى في حرب الدعاية الدولية التي أصبحت حقيقة راسخة، إلا أن الحقيقة أصبحت ضحية كبرى قبل أن يبدأ القتال الفعلي بوقت طويل.

يبدو أن موضوع الحرب العالمية الثانية احتل أكثر الصفحات في كتاب الأستاذ تابلور من بقية الموضوعات الأخرى، والسبب في ذلك هو أن هذه الحرب شهدت أكبر المعارك الدعائية في تاريخ الحروب. فطوال ست سنوات استخدم جميع الأطراف المشاركة في الحرب الدعاية على نطاق تتضائل بالمقارنة معه جميع الصراعات الأخرى (ص ٢٩٨). لقد كانت حرباً بين أمم بكاملها. وكانت معركة بين نوعين من الأنظمة السياسية يتصارعان في سبيل السيادة فيما بينهما، وفي معركة من أجل المستقبل، وحيث الدعاية كانت بدلاً للدبلوماسية. وكانت نتيجتها انتصاراً للدعاية البريطانية أكثر ما تكون للتحالف الكبير، حيث أن من الأمور ذات المغزى الكبير للمعركة الدعائية هو أن الحرب بدأت على (الراديو) من الخطاب الذي القاه رئيس الوزراء صباح الأحد الثالث من أيلول ١٩٣٩، حيث كانت كلمات تشمبرلان خطاباً دعائياً بارعاً القاه السياسي حاذق لم تكن صورته الشعبية، بوصفه "رجل ميونيخ" المذنب" متطابقة مع الحقيقة التاريخية، وتعبيراً آخر، كما يؤكد تابلور، كان ذلك هو الخطاب الذي أسس التبرير الأخلاقي والمعنوي الرئيسي لخوض بريطانيا القتال، وسبب إعلانها مع فرنسا، الحرب على ألمانيا بدلاً من أن تعلن ألمانيا الحرب عليهما، الأمر الذي ترتب عليه بناء جهاز دعاية يمكن الوثوق به حيث أصبح واضحاً أن المعنويات ستكون عنصراً حاسماً، ويتعين على وزارة الإعلام التي أنشئت لدى انفجار الحرب أن تتنافس مع جهاز الدعاية الألمانية الذي يقوده جوزيف غوبلز (ص ٣٠٢). وبول ما أثار انتباه البريطانيين هو موضوع الرقابة، وهو ما يكاد يكون خاصية يميز بها البريطانيون، حيث أنها بوصفها دعاية سلبية لا تفرض فقط لغرض منع وصول المعلومات المهمة إلى العدو، وإنما تفرض أيضاً بهدف منع الأخبار التي قد تضر بالمعنويات، وهو ما تحقق الإقرار به منذ وقت طويل بوصفه عاملاً مهماً في توجيه الرأي العام وتوظيفه. ومن هنا كان التركيز على السيطرة الاجتماعية أو أدائها الرئيسية، أي الرقابة. لقد كان مبدأ غوبلز في الدعاية هو: اكتب، ثم اكذب حتى

يصدقك الناس. ثم اكنب واكنب، واكنب، حتى تصدق انت نفسك. اما الشعاع الذي رفعته وزارة الاعلام البريطانية فهو: الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة، وبقدر الامكان، كل الحقيقة. (ص ٣٠٤).

اما بخصوص الدعاية والحرب الباردة وعصر التلفزيون وهو الموضوع الاخير في الكتاب، فقد اكد بأنه مع هزيمة دول المحور، تحلل "الاسمنت" الذي كان يربط حلفاء زمن الحرب بعضهم ببعض. وسرعان ما تحول العداء المتبادل بين الدولتين العظيمين الى "الحرب الباردة": حرب ايدولوجيات، حيث اصبحت الاسلحة فيها اقل اهمية من الكلمات، وعادت الى السطح الخلافات الايديولوجية الجذرية العميقة بسبب التخلص من العدو المشترك، حيث الهيمنة السوفيتية على الشرق الاوروبي وبسبب عملية "امركة" اوروبا الغربية بواسطة مشروع مارشال (ص ٣٥٦).

فقد اسفرت الاسلحة النووية عن نشوء موقف جديد تماماً لم تعد معه مخاطر شن الحرب مساوية بوضوح للمكاسب المحتملة، ففي صراع نووي، لا يحتمل ان يخرج احد الاطراف منتصراً فائزاً بشكل واضح. وتعتبر الحروف الاولى للكلمات (الانجليزية) التي سميت بها نظرية (الدمار المؤكد المتبادل) - (Mad) أي Assured Destruction Mutual (التي تعني: مجنون) تعبر عما اسفرت عنه تلك الاسلحة النووية. وفي مثل هذه الظروف برزت الدعاية بوصفها بديلاً للحرب الحقيقية، أي انها تعتبر تهديداً للسلام. والدعاية لا تعمل في فراغ منفصل عن الحقائق الاجتماعية او السياسية انها وسيلة اساسية يحاول القادة بواسطتها ان يكسبوا التأييد العام من الجمهور لسياستهم.

وفي الحرب الباردة اصبحت الدعاية استمراراً للسياسة بوسائل اخرى. وفي العصر النووي اصبحت الحرب بواسطة الكلمات بدلاً من الحرب المادية حيث المحافظة على (التوازن النووي) بهدف ردع الطرف الاخر عن بدء الحرب (ص ٣٥٨). وفي الحرب الباردة حيث انتضحت خطوط القتال، فقد برز (التهديد الاحمر) يحتل مساحة كبيرة من على شاشات التلفزيون، والكتب والمجلات وجماعات المراقبة حيث لجنة النشاط المعادي لأمريكا في مجلس النواب لا يمكن ان تتسامح مع أي تعاطف مع (العدو)، هذه النشاطات التي كان يمولها ويشجعها مكتب التحقيقات الفيدرالية، حيث التركيز على (الاعداء) الذين لا يهددون فقط اوروبا وجنوب شرق اسيا وانما كانوا يهددون اسلوب الحياة الأمريكية (ص ٣٦٠). وهكذا شنت (الحرب الصليبية من اجل الحرية) بدافع ظاهري هو تدعيم قدرة شعوب شرق اوروبا على التخلص من النير العسكري السوفيتي، حيث لعبت اذاعة (راديو اوروبا الحرة) الجديدة ثم اذاعة (راديو التحرير) التي تغير اسمها الى (راديو الحرب). ولكن رغم ذلك، فان التلفزيون لعب دوراً كبيراً في التسبب في اول واكبر هزيمة عسكرية بالغة ودائمة

الأثر في التاريخ الأمريكي (ص ٣٦٧)، خاصة الحرب الفيتنامية، عندما كشف حقيقة الحرب المرعبة، الأمر الذي أدى إلى دفع الأمريكيين إلى رفض هذه الحرب. إن التلفزيون بطبيعته ذاتها وسيط قادر على الاقتناع. وتكمن قوته في أنه يسبب الرأي ويقول به حسب صياغة خاصة سواء كان في حرب فيتنام، أو في مظاهرات السلم التي احتاجت أوروبا ضد الصواريخ، أو في حرب الفوكلاند وغيرها من الحروب الأخرى حيث الدعاية ليس إلا عملية اقتناع، وإن الاقتناع وسيلة ضرورية. إن وسائل الاتصالات بعيدة المدى وتكنولوجيا الأقمار الصناعية ثمنا بالفعل من الإنباء والآراء بدرجة تفوق أي عصر سابق، وسوف تستمر هذه العملية في القرن الحادي والعشرين حيث الإنترنت الذي دخل كل بيت ولم يعد هناك حاجة للقرابة أو مجال لحجب الكلمة المحظورة.

في الواقع، إن هذا الكتاب يحتل لوحة واسعة مختلفة الألوان التي تعددت تعدد أنواع واساليب الدعاية التي ابتكرها العقل الإنساني منذ القدم وحتى الآن، وتتطور بتطور المجتمع والتكنولوجيا، حيث هدفها المركزي هو العقل البشري لا غير.





Ministry Of Higher Education  
And Scientific Research  
Al-mustansiriyah University  
College Of Political Science

